مِحْنَة الماجِدين

صلاح الدين عثمان مصطفى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذا الكتاب منشور في

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مِحْـنَة المُلحِدين

محاولة للرد على بعض إفتراءاتهم و تسفيههم العقــول وبيــانٌ للمحنة الكبيرة التي يعيشون فيها!!

" وَإِذْ أَخَــذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُــورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْــهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُـوا يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ "

صدق الله العظيم

172 - الأعراف

مقـدمة

يا سادتي:
قرأت كتابا لأحد الملحدين ما سمعتُ بمثل ما فيه ولا قرأتُ من قبل. فيه من الإفتراء والجرأة والهُزء والاستهتار ما لا يفوقها الا ما فيه من الحقد والغل.
الكتاب دعوة مُلحّة للإحاد والكفر. فالكاتب "عباس النور" في كتابه "محنتي مع القرآن ومع الله في القرآن" يجتهد ويبذل قصارى جهده في محاولة إثبات ان القرآن ليس كتابا من الله وإنه لا يعدو أن يكون كتابا عاديا كتبه "محمد" ولا علاقة له بالسماء.
لابد ان أقول ان بعض ما جاء به الملحد يبدو – للوهلة الاولى ككثير من إدعاءات الملاحدة – منطقيا و عقلانيا حتى إني خشيت إن ذكرت إسم الكتاب و قرأه بعض ضعاف العقل والايمان ذهبوا معه و كفروا بربهم كما كفر بعض المؤمنين يوم الاسراء. ولكن شجعني على ذكر اسم الكتاب ما قرأته لأحد الإخوة ممن تطوعوا بالرد الموجز على بعض ما جاء في الكتاب، إذ يقول: " وأن كتابه لا يصلح للقراءة قط، ولا يضر أحداً، ولا خوف منه، ولا من غيره على الحق أبداً، ولم يصل إلى مستوى أن يُطلق عليه أخطر كتاب إلحاد في تاريخ البشرية !"[(1)]
كثيراً ما جادلت الملحدين عبر الوسائط الاجتماعية. و كثيرا ما بدت أسئلتهم عقلانية و لكن تمنعني ابدا قاعدة أساسية من الانزلاق في الكفر بالله. وهذه القاعدة بسيطة وسهلة وهي "انا موجود فاذاً هناك من أوجدني". لن أشك في وجود الخالق طالما انا لا أشك في وجودي. هل تستطيع ان تشك في أنك موجود؟
و بناءً على هذه القاعدة فإن وجود الله عندي ليس فوق مرحلة الشك فحسب، بل انه يقين ثابت لا يزول الا ان يشاء الله.
إن ما يقول به بعض الملحدين من أننا وُجِدنا صدفةً هو في الحقيقة كلامٌ يحطُّ من قدَر العقل. هم يزعمون دائما أنهم يرفعون من قيمة العقل ولا يقبلون بشئ لا يسنده العقل، ورغم ذلك فإنهم يقولون بصدفة الوجود. وهذا إنحطاط عقلي لا يماثله إنحطاط.
في مجادلاتي مع الملحدين كنت أسالهم ما هي الصدفة؟ فكان بعضهم يتمتم بكلام غير مفهوم عن "الميتافيزيقا" وكان البعض الآخر يسكت محتاراً كالذي إستهوته الشياطين في الارض فهو حيران.

---

1 ( ) www.eltwhed.com/vb/showthread.php

و كنت اقول لهم: هـذه الصـدفة هي في الحقيقـة لا شئ و اللاشئ لا يصنع شيئاً.
وكــانوا دائما – اذا أعيتهم الحِيلــة وخــذلهم العقــل – يقفــزون الى سـؤالهم المحبب الـذي يظنونه السـؤال المفُحِم لكل مـؤمن بالله ألا وهو: "إن كان لكل شئ خالق فمن خلق الخالق؟".
وهــذه نقطة مهمة جــدا لنفــرق فيها بين الحــقّ والباطل. وهــو مثل كلامهم عن إستحالة المعراج و انه من أسـاطير الأولين. هنا اقف بهم في النقطة الفاصــلة، اقــول لهم: إن أســئلة كثــيرة من تلك الــتي تسألون عنها هي أسئلة في خارج إطارها الفكـري بالنسـبة لكم. أنتم هنا تبدون كأستاذ جامعي يضع أسئلة إمتحانات كلية الطب أمام طلبة كلية الآداب. تُرى كم منهم سينجح؟ لا أحد بطبيعة الحــال. فلن يجيب على تلك الأســـئلة إلا من دخل كلية الطب ودرس فيها. ومثل هـــذا تماما، فإن في الكون أسئلة لن يعرف الملحدون إجوبتها إلا إذا دخلوا كليّة الإيمان بالله.
بعضـهم يقـول لي: إن كنت تعـرف أخبرنا. فـأقول لهم نعم أعـرف و سـأخبركم لكنكم لن تقتنعـوا بإجـابتي. يسـألون: لمـاذا؟ أقـول لهم: لأنكم تكفــرون بالاســاس الــذي اســتند إليه في أجوبــتي. ومن كفر بالاساس كفر بكل بناء يقوم عليه.
أنا اؤمن بالاسراء والمعراج لأنـني أؤمن باللـه. والله عنـدي لا يُعجِـزه شيءٌ في السموات ولا في الارض. فهو خالق كل شيء.
حينما نادى ابوجهل أهـل مكـة ان هلمـوا وأسـمعوا صـاحبكم – يعـني رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم – انــه يــزعم انه ذهب الى بيت المقدس وعاد في ليلته، وحينما هرع الناس الى ابي بكـر وقـالوا لـه: "هل لك الى صاحبك يزعُم انـه أسـريَ بـه الليلـة الى بيت المقـدس. قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لئن كـان قـال ذلـك فقـد صـدق. قـالوا: أو تصـدقه انـه ذهب الليلـة الى بيت المقـدس وجـاء قبـل ان يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه فيما هـو أبعـد من ذلـك، أصـدقه بخـبر السماء في غدوةٍ او روحة"[(2)]
هنا تكمن الاجابة التامة الكاملة.

---

[2](السلسلة الصحيحة – الالباني -306

يقولون "مشركي قريش" و انا أقول إن أبا جهل لم يكن مشركا أبداً بل كان ملحداً لا يؤمن بأي إله، ولا يؤمن حتى باللات والعُـزىَ اللـتين كان يُقسِم بهما ليل نهار.

سـؤال ابي جهل و رد أبي بكر يبيّنـان لنا الفـرق بين الأُسس الـتي ينطلقان منها. كفر متجذّر وايمانٌ راسخ، ولا يمكن لهما ان ينظرا الى الكون بنفس الطريقة ولا يمكن ان تكون إجاباتهم عن أسـئلة الكـون متماثلة فهذا محال.

وما لبثت الايام حتى تأكد في زماننا هـذا صـدق ما كـان يظنّه ابوجهل تخريفا وتجديفا ولا عقلانيا. فأصـبح الملحد يمكنه ان يسـافر الى بيت المقدس ويعود في ليلته.

ولن تلبث الايام وتكشف ان ما يراه ملحدو عصرنا لاعقلانيا هو حقيقة من حقائق الدنيا يرونها أمام أعينهم. و من لا يراها حال حياته سيراها يـوم مماته حين لا ينفـعُ نفسٌ إيمانُها لم تكن آمنت او كسـبت في إيمانها خيرا.

لم يقل ابـوبكر لأبي جهل وزمرتـه "أجلسـوا وسـأخبركم كيف حـدث هذا". لأن هذه الاشياء لا يفهمها إلا من إطمأنّ قلبه بالايمان. ولو بقى أبوبكر بقيّة عمره يجادل لما أقتنع عمرو بن هشام لأنه لا يـؤمن بالله فكيف يؤمن بقدرته. وهذا بيت القصيد وهنا تكمنُ مِحنة الملاحدة.

هنا لابد ان أتمثل بقصة: سأسأل أي شخص هذا السؤال:

كم لترا من المياه تشرب العنقاء في اليوم الواحد؟

تُرَى. كيف ستكون الاجابة على هذا السؤال؟

لا أشك في انه سيقول: لكن لا يوجد في الكون حيوان إسمه العنقاء.

وربما يتمثل بالحكمة التي تقول: "المستحيلات في الدنيا ثلاثة: الغول والعنقاء والخِلّ الوفي"

واذا تمسـكت بسـؤالي وقلت لـه لابـد ان تجيب. سـيتهمني بلا شـك بالجنون. اذ كيف يكون لشيء لا وجود له، القدرة على أي شيء!!

هذا تماما ما يفعله معنا الملحدون الذين يجادلوننا في قدرة الله.

إن من يجادلني منهم في أشياء وردت في القرآن مثل الاسـراء، أو المعراج في السُـنّة فـإني أبـادره بسـؤال واحد: هل تـؤمن بالخـالق؟ سـيقول: لا. فـأقول له: إذاً لمـاذا تجـادلني في قدرتـه؟ من الغبـاء و اللاعقلانية أن تجادل في قدرة شئ لا تؤمن بأنه موجود أصلا.

سيقول الملحد: انا اجادل في المعراج كأثر من آثـار الخـالق - حسب زعم المؤمنين - فـإن إقتنعت بهـذا الأثر – المعـراج – سـأقتنع بوجـود الخـالق. فـأقول لـه: أنت مخطئ. ما هكـذا سـتعرف الخـالق. فـإن للخالق آثاراً لا حصر لها باقية بينما المعـراج أثر إنقضى في زمنه. ان كنت تريد ان تبحث عن الخـالق فـأبحث عنـه في آثـاره الباقية. أنت نفسك ايها الملحد من أعظم آثار الخـالق. بِنيتُك، عَقلُك، طريقة عمل جسمك وخلاياك و كل شئ فيك. إن هذه الآلة التي تنبض في صدرك وتضخ الدماء الى شراايينك والـتي تعمل سـبعين او مئة سـنة او أكـثر دون ان تتوقف ثانية واحـــــدة أليست معجـــــزة بل هي من أعظم المعجزات؟ انت تترك كل هذه الآثار و تذهب بعيدا لتبحث عن الخالق في قصة المعراج!! انت تلهو في الحقيقة ايها الملحد. بل انت تسـفّه عقولنا.

وقصة أخرى بطلها سادات قريش وعلى رأسهم ابوجهل:

مـرة اخـرى وفي معركة حاسـمة بين الايمـان و عقل الملحد، يخـرّ العقل صـــريعا ويُهلِك صـــاحبه. وهي قصة واضـــحة في ان العقل الانساني ليس معيارا لفهم كثير مما يجري حولنا.

في يومٍ نادى رسولُ الله صلى الله عليه وسـلم اصـحابَه في المدينة وأمر القرشـيين منهم خاصـةً للخـروج معه لاعـتراض قافلة قـريش التجارية التي يقودها ابوسفيان. لان كثيرا من المهـاجرين لهم حقـوق في تلك الاموال الـتي أجـبرتهم قـريشٌ على تركها و الفـرار بـدينهم. يومها خـرج مع الرسـول ثلاثمائة رجل بينهم فارسـان فقط. ولم يكن يخطر على بالِ أحـدٍ منهم، حـتى الرسـول نفسه، انهم خـارجون الى حرب. وفي الجانب الآخر سمعتْ قريشٌ بخروج المسلمين لمطـاردة القافلة فخرجتْ بجيشٍ مجهزٍ للحرب والقتـال قوامه الف رجل منهم ثلاثمائة فارس. نجا ابوسفيانٌ بقافلته وأرسل لقريش "أنْ ارجعـوا قد نجوت"، لكن الملحدين رفضوا الامتثال لامره، وقال أبوجهل في قـوة وحـزم: والله لا نرجع حـتى نـردَ بـدرا ونمكثُ ثلاثا، فننحـر الجـزور، ونطعم الطعـام، ونسـقي الخمـر، وتعـزف علينـا القِيـان، وتسـمعُ بنا العرب و بمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها.

كـــان أبوجهل مقتنعا من أنه ســيبيد ثُلة المســلمين تلك عن آخرها وسيقتل محمدا. وهل يستطيع العقل ان يقول غير هذا؟

الف جنـدي في مواجهة ثلاثمائة جنـدي، وثلاثمائة فـارس في مواجهة فارســـــين!! ان العقل والمنطق لا يقـــــولان الا ما قاله ابوجهل ولا يفكران الا فيما كان فكر فيه.
ولكن ما حدث عند إلتقاء الجيشين وبعد إنجلاء المعركة كـان شـيئا لا يصدقه عقل. هُزِم جيش قريش أيمّا هزيمة، بل وسـقط في المعركة ساداتها. و خرّ زعيم الإلحاد صريعا.
هذه المعركة، معركة بدر، لم تكن هزيمةً للمشركين فقط وانما هي، في الحقيقة، تبقى أبد الدهر هزيمةً للملحدين في كـل زمـان ومكـان إلى أن تقوم السـاعة. إن اي ملحد قبل أن يتكلم عن تقـديس العقل عليه ان يقرأ بتدبُّر قصة معركة بدر ليفهم كيف يسير هذا الكون.
لنعُدْ الى كتـاب الرجـل، ففيه جُل تسـاؤلات الملحـدين. و هـو يحـاول الإجابة عليها بطريقة تبدو اكثر قسوة وطعنا في القرآن من كثـير من كتابـات بعضـهم. ذلك لأن الملحد هنا مختلف بعض الشئ عن أقرانه. فهو لم يكن إنسـانا عاديا بل كـان شـيخا من شـيوخ الاسـلام ومعلما للقــرآن. ثم حينما بلغ من العمر أرذله أظهــر كفــره باللــه وبـالقرآن وكتب كتابه هذا يبكي فيه نفسه وشبابه الذي افناه في خدمة القــرآن والاسلام، فهو يقول عن نفسه:
(فقد نشأت نشأة المسـلم وترعـرعت في اعتـاب الـدين والهـدى ... فأنا غــارق في الــدين من مفــرق رأسي الى أخمص قــدمي. فكنت منقطعا للصلاة والعبادة وحضور حلقات الذكر و كنت لا اغادر مجلس علم او وعظ في احد المســـــاجد الا لاحضر مجلسا آخر لاجمع العلم من اطرافه والدين من مظانه واكون القدوة والاسوة والمثل. بل لقد ابتليت بعد وفـاة والـدي بـان انضم لهيئة علمـاء المدينة حفاظا على العلم الشريف الذي ورثته كابرا عن كابر واشـفاقا عليه من ان ينـدثر في اسرتي التي ظلت راعية له طوال خمسة قرون على الاقل. وقد قمت بنصـيبي الكامل في الوعظ والارشـاد والامر بـالمعروف والنهي عن المنكر .... في وجهي سيماء تـدل عليّ لا يخطئها البصر هي اول ما يبـدو مـني ويـبرز من ملامحي، تلك هي الـتي أشـار اليها القــرآن الكريم "سيماهم في وجوههم من اثر السـجود" إنها تلخص دهـرا من الصــلاة والتهجد والــدموع والخشــوع والعبــادة والتوبة والاســتغفار والمجاهـدة ومحاسـبة النفس. لقد كـانت الصـلاة قـرة عيـني وغاية مهجتي، فيها جلاء قلبي وصفاء روحي وسكينة نفسي. لقد كان قلـبي

معلقا بالله لا يغفو عنه طرفة عين ولا يطيق فراقه وكـان مهيئا دائما لاستقبال فيضه النوراني .... لقد كانت روحي بحب الله سكرى وبتنسم نفحاته نشوى وكل غايتي انما كانت ان يتحقق وجودي في الوصول الى الله وان احظى بلقائه، فلا حق ولا خير ولا جمال كلا ولا محبوب الا الله، وكل ما عداه سبحانه اثر من آثاره وعطر من طيب جوده وذرة من خزائن قدرته ولمعة من انوار حضرته ..... كنت متيما بحب الله متحرقا الى وصاله أتلظى بنار الشوق اليه واوار العشق لذاته، أراه في كل شئ واسمع صوته يناديني في كل مكان، لم اترك بابا للتقرب اليه الا طرقته، ولا عملا يرضى به عني الا فعلته باقصى ما يتطلب مني ذلك من التقوى و الخشية والاخلاص في العمل بما يليق به سبحانه .... وكنت دائم الذكر له مقبلا عليه متضرعا اليه شاكرا لانعمه الظاهرة والباطنة وكنت كثير التوبة والاستغفار والبكاء على ما فرطت في جنب الله .....)

يا سادتي دعوني اقف بكم قليلا هنا.

عندما أعدت قراءة كتاب هذا الشيخ الملحد، وقفت في هذه النقطة، فكرت فيه كثيرا، و سألت نفسي: لماذا تزلّ قدمُ عبدٍ كان هـذا ديدَنه حتى بلغ الثمانين و أفنى عمره و زهرة شبابه في خدمة الله والـدين، وفوق هذا كان قلبه عامرا بالايمان وحب الله، بل وعشقه كما يقول؟ أنا على يقين من ان الله ليس بظلّام للعبيد، فما الذي جرى إذاً؟

لقد رأيت – ههنا – آية من آيات القرآن الكريم تمشي على قدمين أمام ناظري. فأزداد يقيني بالقرآن الذي لم أشك لحظة في أنه كلام الله، لكن إزداد إيماني به. وأدركت ان كثيرا من آيات القرآن التي تبدو لنا مسطوراً على ورق هي في الحقيقة آيات مجسّمة أمام أعيننا يراها من يراها و تُخفَى على من تُخفَى عليه.

قال تعالى في كتابه العزيز: "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ * مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ"[3] صدق الله العظيم.

---

[3]) الايات 175 – 178 سورة الاعراف

لقد برقت هذه الآية في عقلي كوميض برقٍ ساطعٍ في ليلة دهمـاء، و أيقنت إن للرجل لابد من مصـــــيبة لا يعلمها هو لكنها لا تخفى على الله الــــذي لا تخفى عليه خافية. إن الله لا يظلم مثقـــــال ذرة في الســموات ولا في الأرض. ولا يمكن أن يظلم رجلا بلغ الثمـــانين من عمره في عبادته و التضرع اليه. رجلا يحبه بل ويعشقه.
اذاً ماذا هناك؟ أين تكمن مصيبة الرجل؟ تعالوا لنقرأ ماذا يقـول ايضا عن نفسه.
يقول: (والآن جاء دور الامتحان، ففي الامتحان يكرم المـرء او يهـان، هو ذا الامتحان الصعب الذي تنكشف فيه حقيقة الرب والوعـود الـتي لطالما أغدقها علينا الرب ... فقد وقعت في أزمات وشدائد، وركبتني ديــون وهمــوم وغمــوم لا مخــرج منها، لقد اقفلت الــدنيا في وجهي وأنســــدّ امــــامي كل افق، فلم اتــــرك بابا الا قرعته ولا طريقا الا سلكته .... ثم لما احسست بعجزي وسـقط بالكليّة إختيـاري تـذكرت قوله تعــــالى "أم من يجيب المضـــطر إذا دعــــاه" فقلت اللهم إني ألتجىء اليك إلتجـاء المضـطر الـذي لا حيلة له فـأجبني، اللهم أرحم ضعفي، وفـرج كـربي، ويسر أمـري ... لقد تـراكمت ديـوني وعظمت كثـــيرا، إلهي، لقد إدخرتك لهـــذه الســـاعات الســـوداء، كيف اقضي ديـوني .... وانتظـرت ثم انتظـرت عسى الله ان يـاتي بـالفرج ولكن عبثا. واخـــذت الشـــكوك تســـتيقظ في نفسي بعد ان كـــانت هاجعة مقموعة. لقد تجـددت الشـكوك وذرّ قرنها مـرة اخـرى لتفتنـني في ديني .... لقد بذلت الكثير لقمع هذه الشكوك ابتغـاء مرضـاة الله فما له سبحانه يخزيني؟، وكم تجددت الدموع وكم تجدد الدعاء والابتهال، بل لقد لاحظت بعد هذه الادعية والابتهـالات – ويا لهـول ما لاحظت – ان الله يستجيب بالمقلوب)
يريد الرجل هنا ان يمتحن ربه، بلى ويعلنها دون حيـاء. و يصـرح بجلاء ودون مواربة ويقـول انه عبد ربه وتضـرع إليه سـنين عـددا و قد آن الأوان لينال حقه!!
ألم يعلم من كل ما قــرأه وحفظه عن ظهر قلب وممــا كــان يُعلمُــه للناس ان الجزاء الحقيقي هو في الآخرة وليس في الدنيا؟ وقبل هذا ألم يتعلم من كل ما قــرأه إنه إنما عبد الله كل تلك الســنين وصــلى وصــام وســبح وذكر، بفضل الله وبنعمته؟ ألا يعلم انه انما قــام بكل تلك العبادة لان الله وهبه الصحة ونعمة العافية في عقله وبدنــه؟ ألم

يقرأ إن الله قد قال لأقوام قبله: "لا تمُنّوا عليّ إسلامكم بل الله يمُنّ عليكم أنْ هداكم للايمان إن كنتم صادقين"؟
ثم أعلن الرجل كفــره البــواح الــذي لا شك فيه فهو يقــول: (لقد اصـبحت حيـاتي انا، بعد ان كـان خطـأ مشـتركا بيـني وبين من كنت اسميه "ربي" الذي كان يقاسمني وقتي وينتزع مني اخصب سـاعات حياتي، كنت اخلو فيها إليه، و اترك نفسي بين يديه، لقد أصبحت حرا طليقا بعد ان كنت عبدا رقيقا، يا حسرتي على عمر ابتزّ فيه سـبحانه جهدي وعرقي وحرمني شبابي)
تعالى الله علوا كبيرا.
وهنا يا سادتي رأيت ايضا آية من آيات الله، قال تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَـأَنَّ بِـهِ ۖ وَإِنْ أَصَـابَتْهُ فِتْنَـةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِـهِ خَسِـرَ الـدُّنْيَا وَالْآخِـرَةَ ۚ ذَٰلِـكَ هُـوَ الْخُسْـرَانُ الْمُبِينُ"[4] صدق الله العظيم
نعم والله إنه الخسران المبين نقيّا صافيا لا تشوبه شائبة.
نحن أصلا نعبد الله سـبحانه وتعـالى لانه خالقنا و المتفــرد بالالوهية والمسـتحق للعبـادة هـذا اولا وثانيا رغبة في الجنة وخوفا من النــار والله يقـول (إن الـدار الآخـرة لهي الحيـوان) وهو سـبحانه وتعـالى يذكّرنا في كثير من آيات القـرآن الكـريم (وما الحيـاة الـدنيا إلا متـاع الغرور)، و (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو)، لكن أهواء الناس تهلكهم.
لقد كـان إبليس من خـير عبـاد الله لكنه سـقط سـقطة أودت به الى التهلكـة. ذلك لأنه كــان يعبد الله بهمّة ونشــاط وهو في داخله يبحث عن مجد لنفسه. وتلك هي المصــيبة الكــبرى الــتي وقع فيها إبليس وبعض بـني البشـر. و هـذا الملحد واحد منهم. عبـادتهم مع كثرتها لم تكن خالصة لوجه الله تعالى بل إنهم في الحقيقة ما كانوا يعبـدون إلا أنفسهم. و كان الله عليما بما في نفوسـهم فاسـتدرجهم ليخـرج لهم ما في قلوبهم ثم ياخذهم بها اخذ عزيز مقتدر.
لا يظننّ احد إن كثرة العبادة تعني قوة الايمان فان الله امتحن كثــيرا ممن يـدّعون الايمـان والصـلاح والتقـوى فسـقطوا من عليـائهم الى أعماق الهاوية. لقد قيل: ما بلغ ابوبكر ما بلغ بكثرة الصلاة او الصــوم وانما هو شئ وقر في القلب" ذلك هو الايمــــان بالله الـــــذي جعل الصديق يردّ بقوة وبلا تردد على ابي جهل "إنْ كان قالها فقد صدق".

---

[4]) الاية 11 سورة الحج

يقول الاخ " سامر إسلامبولي" في كفر هذا الرجل: "إن الموقف الذي اتخذه عباس كان نتيجة ظروفه النفسية والمادية السيئة، والسؤال الذي يفرض ذاته هو : هل كان من الممكن أن يبقى عباس على ما هو عليه من أفكار لو تم تغيير ظروفه السيئة !؟ فأنا أظن أن هناك جهة ما، استغلت ظروف عباس السيئة، وساومته على مبدئه، وعرضت حلاً مادياً لكل مشكلاته، بشرط أن يقوم بكتابة كتاب يدفع ضعاف الناس إلى الإلحاد، والتشكيك بدين الإسلام، وهذا ليس بتأثير نظرية المؤامرة، فمن الخطأ أن نرفض تحليل الأمور، ومن يقف خلفها بحجة نظرية المؤامرة"[5]

ولكن الحقيقة التي قالها الملحد بصراحة في كتابه هي، إنه لم يكن مؤمنا في يوم من الأيام. نعم لم يكن مؤمنا أبدا!! هو لا يدري إنه لم يكن مؤمنا. بل كان يظنّ نفسه من كبار المؤمنين. لكن الحقيقة غير ذلك. فهو يقول إن الشك كان (هاجعا ومقموعا) داخله. وهذا قول صريح في ان الشك لم يغادر قلبه أبدا. و يقول: (الشكوك لم تكن شيئا جديدا في حياتي، بل كانت تنتابني قبل ذلك بوقت طويل، ولكنني كنت أسارع الى دفنها في الحال وإخفاء معالمها، فأنا شكاك منذ نعومة أظفاري).

أن تخفي جُرحَك دون أن تكشف عنه و تداويه لا يُخرِجُك من زمرة الجرحى.

وهكذا هو لم يخرج طوال عمره من زمرة الكفار. صام وصلى و سهر وإبتهل وتضرع الى اللـه وهو لا يدري انه يفعل كل ذلك وهو على الكفر. وتلك كانت مصيبة الرجل. وهي مصيبة كثير ممن يدعون الصلاح و التقوى و يزاحمون الناس في الصفوف الاولى في الصلاة.

فليحذر الناس من إستدراج الله و ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء. وكل من كان في قلبه ذرة من الشك في الله عليه ان يبادر بإزاحة هذا الشك قبل أن يستدرجه الله.

ثم بعد أن أظهر الرجل كفره بالله رأى أن يكتب كتابه هذا ليبُثَّ فيه كل إلحاده الذي كان مختفيا تحت قشرة التدين السميكة التي كان يلتحف بها دهرا من عمره المديد. كالذي أخفى جرحه عن العيون حتى إستفحل و تقيّح وفاحت رائحته الكريهة وملأت الأرجاء.

5

www.eltwhed.com/vb/showthread.php) (

هو يظن – بل يعتقد جازما – انه كتب كتابا لم يكتب مثله الأولـــون اذ يقول: (ويظهر ان القدر قد اختار كتابي هذا ليكون هو هذه الشـرارة، فلابد مما ليس منه بد، واقولها مدوية، بلا فخر: لن تجد في اللغة العربية طـوال تاريخها بما فيها العصر العباسي الـذي شـهد حركـات إلحادية جريئة، كتابا ككتـابي هـذا صـراحة ووضـوحا وجدية وتسـمية للأشياء بأسـمائها بلا مواربة ولا التـواء ولا نفـاق ولا تكـاذب .... وهـذا فخر لي اعلم جيدا انه سيكلفني حياتي ولكنه سيكتب لي الخلـود بعد مماتي).

ويذهب ابعد من ذلك حين يظن ان كتابه سيكون مفتاح باب الثـورة و الاساس الذي سيقوم عليه نظام جديد خالٍ من القـرآن والـدين. فهو يقــول ســادرا في أحلام يقظته: (و سنشــهد بعد طبع هــذا الكتــاب عاصـفة هوجـاء من التشـنج و التعصب والسـباب والشـتائم والقـذف وكيل الاتهام بحساب وبغير حسـاب وسـينفجر البركـان كما لم ينفجر من قبل ..... ان كل ذلك لا يهمني، فالمهم عندي اني ارضـيت نفسي وقلت كلمـتي وانا على شـفا حفـرتي، وكنت اول من شق الطريق و نهج السبيل).

فلا غرو فهو يرى منذ البدء ان كتابه (دعـوة ملحة و صـريحة من اجل قـراءة القـرآن من جديد لنفهمه على حقيقته، وكسر القيـود والاغلال الــتي شــوهت تفكيرنا وافســدت قراءتنا للحيــاة والكــون والمصــير وفرضت علينا ان نــرى الوجـود والاشــياء من منظورها الايــديولوجي الواحد).

وهو يــرى كغـيره من الملاحــدة ان الثـورة على النصـوص القرآنية و تحكيم العقل عليها هو السبيل الوحيد للإنعتاق نحو التقـدم المنشـود، إذ يقول: (ولا همّ لي في هذا الكتاب الا اقتحام عرين النص، يجب ان نــنزع عن النص اولا قشــرة القداسة الــتي تحيط به، وبغــير ذلك لا يســلس لنا قيــاد النص، ان تعرية النص والتشـكيك في قداسة النص وتطبيق المنهج العفلي على النص تفتح لنا آفاقا لا يبلغها اولئك الذين على ابصارهم غشاوة قدسية النص، هؤلاء هم عبدة اصـنام، ولا فـرق بين عبــدة الاصــنام وعبــدة النص .... لقد آن لنا ان نتخطى الاســوار التي تضربها علينا المصادرة، ولا سـبيل الى ذلك الا بـانقلاب معـرفي في كل ما يتعلق بالاصول، نصوصا وقراءات، انقلابا ينطلق من النظر اليها ومعاملتها على انها مــادة خاضــعة للعقل وافق مفتــوح امــام

العقل، قابل للنظر واعادة النظر، والا بقى النص مهيمنا ثابتا لا مبـدل لكلماته ومن ثم بقيت المعرفة ثابتة، محدودة، مغلقة).

لعل من أكبر محن الملاحـدة، بل محنتهم الكـبرى أبـداً، هي دعـوتهم الثابتة في كل زمـان ومكـان الى الاعتمـاد على العقـل وتقـديس العقل!!!

ليت شعري أي عقل؟

الا يدري هولاء ان عقل الانسان محدود لا يستطيع ان يحيط حـتى بما يدور حوله دعك مما يدور بعيدا عنه؟

يستطيع أي فرد من الناس ان يثبت قلة حيلة العقل الانساني في كل لحظة. ولا يستطيع كـائن من كـان من البشر أن يـدّعِي كمـال العقل الانسـاني. الملحد نفسه لا يسـتطيع ان ينكر نقصـان عقل الانسـان وهذا لا يحتاج مـني الى دليل لأنه واقع نعيشه كل لحظة من لحظـات حياتنا. وهـذا ما يجعل الانسـان يكتشف كل يـوم شـيئا جديـدا لم يكن يخطر على باله ولم يكن عقلُه يُحيطُ به. فكيف اذاً يريد الملحـــدون ان يجعلوا هذا العقل الناقص حَكَما يحتكمون اليه؟ أليس هـذا في حد ذاته نقصا في العقل ودعوةً الى الهُراءِ والعبث؟

حينما هـرول أبوجهل زعيم الملاحـدة العـرب وهو يجـرّ ثوبه ليُخـبر أبا بكرا الصديق بأنّ محمـدا زعم أنه ذهب الى بيت المقـدس وعـاد في ليلته الى مكة، في تلك اللحظة كــــان أبوجهل يُحكِّمُ عقله. إذ كيف لمحمد ان يذهب الى بيت المقدس ويعود في ليلته و نحن نسـير اليه شهرا ونعود في شهر!!!

لكن الصدّيق رضي الله عنه كان يدرك ان عقل الانسـان لا يسـاوي و لا يرتقي لمستوى ان يكون معيـارا لانه نـاقص ومحـدود بطبيعته، لـذا حَكّم إيمانَه وقال: انا اصدقّه في خبر السماء ياتيه في ساعة من نهار او ليل أفلا اصدقه في هذا؟!!

واني اتوجه بسؤالي الى ملاحـدة اليـوم والغد والى يـوم القيامة، من الـذي ربح قضـيته في هـذه القصـة؟ الصـدّيق الـذي حَكّم ايمانه ام ابوجهل الذي حَكّم عقله؟

ترى لو عـاش ابو جهل الى يومنا هـذا و رأى كيف انه باسـتطاعته هو ان يسافر الى بيت المقدس و يعود في ليلته ماذا كان سيقول؟؟؟

ولا شك ان كل من يحَكّم عقله سيكون مصيره مصير ابي جهل. وهو الخسران المبين.

وليس أدلّ على هـــذا مما وصل إليه مؤلف الكتـــاب من تخريف وتجديف، فهو يقول: (لو كان وجود الله حقا مبينا لكان لوجوده اثر ما في احداث هذ العالم الذي يجري كل شئ فيه كأن الله غـير موجـود، بقولون ان الانسان مفطور على الايمـان بالله، فالايمـان به بـديهي لا يسع الانسان ان يشك فيه، ويحتجون لذلك بهـذه الآية "أفي الله شك فـاطر السـموات والأرض"، نعم في الله شك و شـكوك فلو كـانت معرفة الله حقيقة مقـــررة لا تقبل الشك، لو كـــانت مغـــروزة في النفس بالفطرة، لما احتيج الى مئـات الآلاف من الكتب والفلسـفات والديانات لإثبات وجوده، وبالتالي لما شك أحد في وجوده).

لا شك عندي في ان هـذا الكلام لا يصـدر الا من عقل نـاقص. ليست تلك الآية وحـدها الـتي تقـرر وجـود الله. فالايمـان بالله مغـروزٌ في النفس البشـرية بـالفطرة حقا. وكما قلت سـابقا فـان إيمـاني بالله يقين ثـابت. ذلك لان هـذا الايمــان نـابع من حقيقة لا تقبل الشك ألا وهي وجودي أنا. فالملحد قبل أن يشك في وجــود الله عليه أن يشك في وجـــوده هو نفسه والا فليس للشك في وجـــود الله ســبيل الى العقل السليم.

اما قوله بانه لما أُحتِيج الى مئات الآلاف من الكتب لاثبات وجـود الله ان كان وجوده معروفا بالفطرة، فاقول: لا شـأن لي بكتب البشر من فلاسـفة وغـيرهم، لكن الكتب السـماوية لم تـأت في المبتـدأ لإثبـات وجـود الله وإنما جـاءت لتقرير وحدانية الإله. وذلك لأن الانسـان في كل زمـان ومكـان كـان يـؤمن بوجـود إله وخـالق لكنه ضـلّ عن كُنهِه فجــاءت الكتب الســماوية لتــبيّن له من هو الخــالق. اما الملاحــدة والكفار فهم فئةٌ قليلة من البشر لا يُعتدّ بهم، لذا نرى ان القـرآن في أكثر آياته يتكلم عن الشرك بالله والمشركين بينما الآيات الـتي تتكلم عن الكفار قليلة.

دعونا الآن نـــدخل الى لُب الكتــاب حيث جعل الرجل جـــلّ همه نقد القرآن الكريم نصاً و معنىً ولفظاً، فهو يقـول: (هـذا الكتـاب محاولة نقدية جادة للتحرير والانعتاق من الثوابت الـتي انتهت بنا الى ما نخن عليه اليـــوم، انه إضـــاءة للحظة المعتمة الراهنة مدعمة بالشـــواهد المـــاخوذة من النص القـــرآني ونقد له وتحليل لآياته .... كتبت هـــذا الكتــاب بقلب مخلص يشــتاق الى التغيــير ويريد العمل على القيــام بأعمق تغيير، وبالتالي تقديم صورة عن القرآن غير الصورة المعروفة

المتداولة في اسـواق العامة، بل حـتى في اسـواق الخاصة، واحيانا خاصة الخاصة. فعبـادة النص، والعكـوف على النص، والانحنـاء امـام النص لا تفـرق في كثـير من الحـالات بين عامة و خاصة. فكم من عملاق تصاغر امام النص حتى بـدا قزما يرتجف هلعا كفـأر رأى شـبح قط، هكـذا يفعل بعملاقنا المغـرور زئـير النص ... يجب اعـادة النظر في التفرقة بين المقدس وغير المقـدس .... فلا مقـدس الا الانسـان والعقل الذي يميز الانسـان .... لقد غـاب عنا ان النصـوص لها اعمـار تعيش الى اجل مسـمى فـاذا جـاء اجلها فمن الـواجب ان تفسح الطريق لغيرها .... ان النصـوص الـتي لا نجد لها اليـوم معـنى كـانت بالامس تشبع حاجـات اسـلافنا وتغـني حيـاتهم .... فقد انكب اجـدادنا على دراسة القرآن دراسة مليئة بالافتعال والصنعة والتكلف وحملـوه من الفصاحة والبلاغة والاعجاز ما لا يحتمل).

مـرة اخـرى يـزعم صـاحبنا ان المقـدس هو عقل الانسـان كـدأب الملحـدين و أذيـالهم من ضـعيفي العقل والفهم. و قد بيّنا هنا كيف هـزم ايمـان ابي بكر عقل ابي جهل. ثم ان التخبط ظـاهر في كلام الرجل. فهو يقـول ان القـرآن كـان يشـبع حاجـات اسـلافنا و تُغـني حياتهم ثم في ذات اللحظة يقول ان دراسات اسـلافنا للقـرآن كـانت مليئة بالصنعة و التكلّف!! لعمري لو كانت دراساتهم مليئة بالصـنعة و التكلّف كما يقول، لما اشبعت حاجاتهم و لما أغنت حياتهم كما يقـول أيضا في تخبط واضح بيّن، هو أصلُ داء الملحدين.

فلندخل الى أعماق كتابه الضحل لنقرأ سويا بعض ترهـات الملحـدين و لنستبين مدى حيرتهم وترددهم ....

وأنوّه هنا إنني كتبت العنـاوين كمـا كتبهـا هـو رغم مـا في بعضـها من سخف وإستهتار الا عنوانا واحدا كما سترون لاحقا....

"عن القرآن كلام الله"

تحت هــذا العنــوان يقــول الرجل: (في أرض قفر وواد غــير ذي زرع خرج محمد ليقول كلمته. واطلت كلمته قرآنا عربيا ظنه غير ذي عوج ... تجربة من الغيب آمن العـــرب والمســـلمون جميعا في مشـــارق الارض ومغاربها ان محمــدا اختــير لها ليقــود العــرب ويخــرجهم من الظلمـــات الى النـــور ... وبالفعل في جميع مراحل الـــوحي، او ما يسـمى كـذلك، تحس كأنما هي اللغة تسـعى الى تحقيق ذاتها ... لقد جاء الرجل الذي يقدرها قـدرها ويحفظ وردها ويفجر طاقاتها المبدعة وامكاناتها الخلاقة، واخيرا حققت هذه اللغة احلامها وبلغت مع القرآن اقصى امانيها وغاية ما تصبو اليه من آمال ومطامح ... وانتشر مـداها واتسعت آفاقها و اخترقت الحـدود والسـدود فـآتت ثمـارا يانعة وجنيا طيب الاكل حلو المذاق شهي المطعم والمشـرب و انجبت الفطاحل والافـــــذاذ في كل علم وادب وفن واســـــتوعبت كل شئ ولم تعي بالتعبير عن اي شئ وكأنما بطرفة عين او اقرب من ذلك انقلبت من لغة الســـــيف والناقة والبعـــــير الى لغة العلم والفن والفلســـــفة والحضارة. وانها لمعجزة تذكر لمحمد).

ان في هذا الكلام اعترافا من الرجــل بـأن محمــد هو افصح من تكلم بالعربية اذ نسب اليه كل مجد اللغة العربية. وكــون الرســول صــلى الله عليه وسلم هو أفصح العـرب هـو حقيقـة لا تقبـل الجـدال، ولكن دعونا نفضح الاضـــطراب الكبـــير الـــذي يعانيه فهم الرجل، وهو اضطراب شائع لدى كل الملحدين اينما وجدوا، ولندعم قولنا هذا من كتابه:

يقول عن القرآن و آياته: (القرآن ليس على مستوى واحد من البيـان وقوة التأثير، ومهما طالت لحى المتشنجين والمرجفين والمصطادين في الماء العكر، فضلا عن البسطاء من المؤمـنين وضـعفاء العقـول، فاني اعلنها مدوية على رؤوس الاشهاد، ان القرآن اذا كانت فيه آيات

في غاية الروعة والجمـــال، ففيه آيـــات اخـــرى في غاية الاســـفاف والتفاهة أربأ بنفسي ان اهبط الى مستواها).
تعالى الله علوا كبيرا.
ما أن وصف الرسول بانه افصح العرب ثم عاد ليقول مثل هذا القول الذي ليس دونه سقطة.
لنقل أولا إن الرجل - أي رجل - مهما كـــان فصـــيحا فلابد ان يكـــون قوله على درجات فيه الفصـيح والافصح. أما ان يكـون في قوله دون الفصيح بل والتافه من القـول، هـذا ما لا يصـدقه العقل. اذ مـا الـذي يمكن ان يجعل الرجل الفصيح يقول كلاما تافها؟؟ فما بالـك إذا كـان هذا الرجل هو افصح الناس؟!!
ما الـــذي يجعل أفصح العـــرب يقـــول كلاما تافها يربأ انســـان عـــادي بنفسه ان يتكلم بمثله كما يقول هذا الملحد؟
ليس هناك سبب سوى ان هـذا الانسـان العـادي لم يفهم ذلك الكلام الفصيح فلم يجد بدا من ان يصفه بالتافه، عجزا أوغيرةً وحسـدا. هـذا اذا كان الكلام أصلا كلام النبي. لكنه كلام رب النبي، الذي خلق النبي وخلق اللغة نفسها التي يتكلم بها النبي.
يقــول الملحد: (يقولــون ان الوليد بن المغـيرة ســمع القــرآن و اخذ بروعته وجماله وســحر بيانه، ولا اســتبعد ذلك فلا يعــرف الفضل الا ذووه، ولكنهم ينسـبون اليه انه قـال وهو العنيد المتمـرد "والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اســـفله لمغـــدق" ولا يكتفـون بـذلك بل يضـيفون اليه هـذا التعليق الخطـير "وما هو بقـول بشر" واعود فاقول اني لا استبعد وصفه للقرآن هـذا الوصف الجميل عن عدو لدود للقرآن، فمن احرى من امراء البيان من الانحنـاء امـام روعة البيان وتناسي خصومته لصاحب البيـان. ولكـني اسـتبعد تعليقه الاخير، والا فما منعه ان يـؤمن بـرب القـرآن ما دام اعـترف للقـرآن بهـذه المنزلة العليا. فـاذا لم يكن القــرآن بقــول بشر فهو قــول من إذن؟ وارجح الظن ان هذا التعليق هو من اضافة الرواة وما اسـخاهم بهذه الاضافات ... فاذا صح ما جاء على لسان الوليد بن المغـيرة، ولا مانع عنـدي ان يكـون صـحيحا باسـتثناء الاضـافة الاخـيرة، فـذلك انما يسري على بعض آيات القرآن لا على كله، وهو القرآن المكي ... ولو ســمع ما تلا ذلك من القــرآن المــدني وما فيه من تشــويش وتفكك

وهشاشة واختلال بل وابتــذال و تنــاقض لرجع في الحــال عن حكمه السابق ولرأينا من انكاره ونكيره العجب).
وههنا يريد الرجـل ان يلعب بعقولنـا. هل يمكن لرجل وصـفته بافصح العرب ان يقول كلاما مشوشا مفككا مبتذلا ومتناقضا مهما كان؟ هذا ما لا يكون ابدا.
ثم انه يتساءل عن السـبب الـذي منع الوليد بن المغـيرة من الايمـان بالله طالما انه اعترف بان القرآن ليس كلام بشر!! لكأن هذا الملحد لا يقرأ التـاريخ!! ألم يقـرأ قصة عتبة بن ربيعة الـذي ارسـله سـادات قريش ليستطلع امر محمد. وحينما إلتقى الشقيّ برسول اللـه صـلى الله عليه وسلم و عاد إليهم سألوه: ما وراءك؟ فقال لهم: ورائي اني سمعت قولا واللـه مـا سـمعت مثلـه قـط. واللـه مـا هـو بالشـعر ولا بالسحر ولا بالكهانة. يا معشر قريش أطيعـوني وأجعلوهـا بي، وخلّـوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه. فإتهموه بأنه قـد صـبأ و تبـع محمـداً. فنكص عتبة على أعقابه. فما الذي منعه من اتباع الدين الجديـد وقـد اقتنع به؟
ألم يقرأ سبب عدم إيمان ابي طالب وهو يعـرف تماما ان ابن اخيه نبيٌّ يُوحىَ اليه؟ ألم يقل ابو طالب انه يخشى ان تقـول عليه قـريش إنه أسلم خوفا من الموت؟
إن الوليد بن المغـيرة كـان واحـدا من سـادات القبيلة وكـان يخشى على مكانته بين قومه وهــذا منعه من الايمــان بالله كغـيره كثــيرون عرفوا ان محمدا نبي لكنهم رفضوا التسليم له.
ألم تقــرأ قصة ابليس وســبب كفــره باللــه؟ كـان ابليس من افضل الخلق عبادة لكنه كفروطـرد من رحمة الله لان عبادته كـانت لغـرض شخصي ولم تكن خالصة لله. و كل من كـــان له غـــرض شخصي لم يهده الله للايمـان. والـذي أظهر الايمـان منهم أرداه الله في الضـلال في آخر عمره. وهذا ما حدث تماما للملحد صاحب الكتاب نفسه. هو يتســاءل عن ســبب عــدم ايمــان الوليد بن المغــيرة و ينسى نفسه وسبب كفره. ألم يقل انه ظل يتضرع الى الله وحينما احس بـان الله لا يستجيب له كفر؟
يقول الرجل: (لا يزال القرآن يقف حجر عثرة امام الاتصـال بـالغرب واستيعاب ثورة الغرب. فالتباين بين مجتمع علماني دينامي حر منفتح

على التغـــيرات وبين مجتمع متخلف آسن لا عمل له الا انتـــاج ذاته وتكرار ذاته، اقول ان هذا التباين امر مثير للاشمئزاز حقا)

هــذا كلام يقوله كل الملحــدين والعلمــانيين. بل ويحفظونه عن ظهر قلب ويرددونه ليل نهار لكأنما هو آية من آيات دينهم. و رغم ذلك، اذا سـألت افقههم في دين الإلحـاد، كيف كـان القـرآن حجر عـثرة؟ فلا يسـتطيع ان يأتيك بجـواب مقنع. انهم فقط يؤمنـون بهـذا بلا دليل ولا برهـان. القـرآن الـذي ما فـتئ يـأمر النـاس بـالعلم والتعلم والتـدبر والتفكر في الكـون والخلق. وهل قـامت حضـارة الغـرب الا على ما نادى به القرآن من التعلم والتفكر؟

لكن الرجل ينـاقض نفسه و يهـدم قوله السـابق، كعـادة الملاحـدة، حينما يقول بعد ذلك مباشرة: (فبمقدار ما كانت المرحلة الكلاسـيكية مرحلة دينامية غنيّة قـــادرة على الاخذ والعطـــاء والخلق والابـــداع، والبحث والتمحيص، اتســـمت المرحلة الحالية بـــالركود والجمـــود والاصولية المتشنجة العمياء الـتي لا تحسن غـير لغة التعصب والعنف والدم والمـوت والعمل في الظلام. لقد جف النسغ، وضـعفت الهمم، واغلق بـاب الاجتهـاد الى غـير رجعة، لقد تـركت الدراسـات العلمية الخصبة مكانها شيئا فشيئا لخطاب الايديلوجيا الاستســلامية والتوكلية الغيبية الغبيّة، ولم يكن ذلك راجعا الى رقابة لاهوتية شبيهة بالسـلطة الكنســـية في العصـــور الوســطى المســيحية، بل الى تفكك الاطر الاجتماعية والسياسية للعالم العربي الاسلامي، وانحسار المد العقلي والروحي ابتداء من القرنين الحادي عشر والثاني عشر).

فهو بعد ان اتهم القرآن بانه يقف حجر عثرة امام الحداثة، وبــدلا من ان يقـدم الـدليل على ذلك، ذهب ليقـول ان المرحلة الـتي سـاد فيها القرآن، وهي المرحلة التي اسماها الكلاسيكية، كـانت مرحلة دينامية غنية قادرة على الاخذ والعطاء. ويقول ان الانهيار العربي والاســلامي بـــدأ مع انحســـار المد العقلي والـــروحي، اي بـــدأ التخلف العـــربي والاسلامي مع الابتعاد عن القرآن.

أليس هــذا الكلام دليلا على الاضــطراب الكامل الــذي يسـيطر على عقول العلمانيين و الملحدين؟

هم في الحقيقة لا يـــدركون ما هم ســـادرون فيه من الغي والضـــلال والبعد عن العقل.

يقول الرجل ومن خلفه الملاحدة والعلمـانيون: (لقد اسـتبقى القـرآن كثـيرا من الشـعائر والطقـوس الـتي كـانت سـائدة قبله في شـبه الجزيـــرة العربية، تقـــديس الكعبة والحجر الاســـود وشـــعائر الحج واسـاطير الجن وحكايـات الامم السـالفة، فجمع هـذه الانقـاض واحيا هذه الـرمم واعـاد تركيبها ليبـنى صـرحا ايـديولجيا جديـدا اضـاف اليه الكثـير من العناصر والقـوى الفعالة الـتي تخـدم قضـيته في مجـالات الحياة المختلفة)

لا أدري في الحقيقة لم حشر الرجل مثل هذا الكلام في كتابـه؟ اظن انه فقط احدى السبل للطعن في القرآن والاسلام. فإذا كان يتحــدث عن الحداثة فلمـــاذا لا يخبرنا كيف منعنا الحج من الحداثـــة؟ او كيف تســـبب تقبيل الحجر الاســـود في تخلفنا عن ركب الامم؟ هل منعنا إيماننا بوجود الجِن من انشاء مصـنع مثلا؟ ألم يقل هو نفسه من قبل ان الــزمن الكلاسـيكي للقــرآن كــان ديناميا وغنيــا؟ فهل أهل ذلك الزمان كانوا لا يحُجّون او لا يؤمنون بالجِن؟

كل هذا الهراء هو فقط لان الغشاوة السميكة الـتي تحجب بصـائرهم تزداد سمكا يوما بعد يوم حتى يبلغ الله بهم يومهم الذي يوعدون.

يقول الرجل: (ان تطـبيق المنهج العقلي على القـرآن هو في نظـري حـدث خطـير وكبـير سـيزلزل الارض تحت اقــدام التقليد والجمــود والعفن الآسن، وهو امر لابد منه، واخر الدواء الكي ... ألحّ في الشك واعتنقه منهجا، اذ الشـــكوك، كما يقـــول الغـــزالي، هي الموصـــلة للحق ... هذا هو منهاجي في العمل، وهكذا اخذت ابحث وافكر واقرأ واتدبر حتى انتهى بي الحال الى ما يشبه اليقين، ذلك بـان ما نسـميه بإعجاز القرآن وعصـمة القـرآن إنما هو عمل بشـري فيه الخطأ وفيه الصواب، وانا اقدر النتائج التي قد توصـلت اليها، لكن ذلك لن يثنيـني عن إثباتها و إذاعتها).

والله انه لأمر مضـــــــحك ما يريد الرجل ان يذيعه علينا، فهو بعد كل البحث والتفكـــير والتـــدبر لم يصل إلّا الى ما يشـــبه اليقين. وبما ان اليقين هو الحقيقة فهو يقـــول انه وصل الى ما يشـــبه الحقيقة لا الى الحقيقة نفسها. ورغم ذلك يريد ان يذيعه علينا على انه الحقيقة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها!!!

إن سـؤالا مهما لابد أن يجيب عليه كل من يـزعم ان القـرآن هو كلام محمد:

لقد أسس هذا الكتاب - كما يقول هذا الملحد نفسه - حضارة انسانية كاملة سادت قرونا. حضـارة بكل آدابها و فنونها وعلومها مما اسـماه هذا الملحد، معجـزة محمد. فهل لفـرد واحد من النـاس مهما بلغ من العقل والعلم ان يضع كتابا واحــدا يؤسس لمثل تلك الحضــارة؟ هل يستطيع كبار علماء أعرق الجامعات الـتي يـؤمن بها الملحـدون، مثل هارفــارد وييل و اكسـفورد وغيرها، مجتمعين ان يكتبـوا كتابا واحــدا ليكون أساسا لحضارة إنسـانية تـدوم قرونـا؟ هل يمكن لكتـاب يؤلفه رجل من الصحراء لا يكتب ولا يقرأ ان يؤسس لمثل هـذه الحضـارة؟ ثم هل يمكن لكتــاب وصــفه الكــاتب بانه ركيــك ومليء بالتافــه من القول أن يقيم دولة ناهيك ان يقيم حضارة كاملة؟!!

بالله عليكم، كيف يعقل هذا؟ ان الملحد الذي يقدس العقل يريدنا ان نقتنع بكلام، لا يجتمع هو والعقل في مكان واحد.

ثم يتكلم الرجل في اعجاز القرآن فيقول: (اجمع اهل العربية قاطبة، واهل اللُسن منهم والبيان خاصة على ان القــرآن معجز بذاته، أي ان اعجــازه انما كــان بنظمه العجيب، اي بفصــاحة الفاظه وروعة بيانه واسـلوبه الفريد الـذي لا يضـاهيه اسـلوب، ومسـحته اللفظية الخلابة التي تتجلى في نظامه الصوتي وجماله اللغوي وبراعته الفنية).

ثم يقــول في نقلة مفاجئة كأنما هبط من شــاهق الى ســحيق: (ان عقيدة اعجاز القـرآن لا تعـدو ان تكـون اسـطورة من الاسـاطير، كلا ليس القــرآن من اســرار الآلهة، انه لا يمت بــأي صــلة الى الإلهــام السماوي ... انه انجاز بشري ... ان القرآن كتاب عادي جدا).

كيف يُجمِع اهل العربية قاطبة واهل اللُسن والبيــان منهم خاصة على اعجاز القرآن باعتراف الرجل ثم يخرج هو عن هذا الاجماع ليقول ان اعجاز القرآن اسطورة وانه كتاب عادي؟

من يكون الرجل ليخرج على اجمــاع اهل الصـنعة؟ هل هو افصح من تكلم العربية ونحن لا ندري؟

ثم انظـروا اليه وهو يعـترف، من حيث يــدري او لا يــدري، ان كل مَنْ طعنوا في القرآن كانت لهم ثارات مع القــرآن ورب القــرآن سـبحانه وتعالى علوا كبيرا.

اذ يقول: (إن الكثير من كبار الزنادقة، وهم شعوبيون، جــرح الاسـلام كبرياءهم فأخذتهم العزة القومية بـالاثم وحملتهم على التعصب لـدين الآباء من المجوس والثنوية المانوية والحقد على الاسلام الـذي قضى

على امجـــادهم وحطم احلامهم في البقـــاء والعيش الكـــريم وانضم اليهم رهط من الشعراء ممن ينتمـون الى عصـبة المُجّـان فـرارا من تكاليف الدين وطلبا لحياة حُرّة لاقيود فيها ولا رسـوم. ثم جـاء العصر العباسي الذي نشطت فيه الحركة الشـعوبية جنبا الى جنب مع حركة الزندقة و اشـتدت الحملة على الاسـلام والطعن في قـدس اقداسه وهو القرآن).

تُرَى، من أي الطائفتين من الملاحدة كان هو؟

بالطبع هو ليس من طائفة الشعراء المُجّان، لكنه بكل تأكيد يصلح ان يوصف بأنـه من ضـمن الطائفة الـتي قضى الاسـلام على احلامهم وامجـادهم. هـذا ليس افـتراءً مـني على الرجل، بل هو ما اعـترف به وأثبته في كتابه في اكثر من مكان حيث يقول: (ويح سخفي وغبـائي! يا لبلاهـتي! تـرى كم كنت سـاذجا عنـدما سـمحت للاسـاطير "يعـني القرآن" ان تأكل عمري وزهرة شبابي! يا حسـرتي على عمر قضـيته مع حـبيب "يعـني الله" لا يعبأ بي ولم يشـعر يوما بوجـودي! تبا لي وتعسا! كيف لم اكتشف ذلك وارجع الى رشـدي الا وانا على ابـواب ارذل العمر! مـذا دهـاني؟! مـاذا تبقى لي من العمر لاشـعر بمتعة وجودي؟!)

وهنا اذكر بكل خشوع وخضـوع ورهبة، حـديث النـبي صـلى الله عليه وسـلم حين يقـول: " إن الرجـل ليعمـل الـزمن الطويـل بعمـل أهـل الجنة، ثم يختم له عمله بعمل أهل النـار، وإن الرجـل ليعمـل الـزمن الطويل بعمـل أهـل النـار، ثم يختم لـه بعمـل أهـل الجنـة "([6]) وصـدق رسول الله. فلئن رأيت كلاما مجسدا فهو هذا الحديث الشريف في هيئة هذا الرجل وانه لأمر يزيدني رهبة وخوفا من الله حين يستدرج النـاس من حيث لا يعلمون.

كنت في السابق، أتعجب وأستغرب حينما اقـرأ ان عمر بن الخطـاب رضي الله عنه، ثـاني وزراء النـبي و الرجل الـذي يـزن ايمانه ايمـان الأمّة بدون النـبي والصـديق، كنت اسـتغرب حين يلحّ على حذيفة بن اليمان كاتم اسرار النبي في المنافقين، يسأله بإلحاح شـديد ان كـان النبي قد ذكره في المنافقين!!

وكنت اتعجب حينما أقـرأ ان الصـديق و الفـاروق كانا لا ينامـان الليل بكاءً من خشية الله.

([6]) صحيح مسلم

حينما قرأت كتاب هذا الرجل عرفت أشياء كثيرة كانت خافية عني.
كنت اقرأ هذه الآيات في القرآن ولا أعيرها إنتباهة " أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ * أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ"([7])، أما الآن فإني اعلم ما تعنيه . واعلم لماذا كان العلماء دائما هم اكثر الناس خشية لله " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ"([8])، ولماذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "انا اخشاكم لله "([9])
أن تعبد الله ثمانين سنة ثم تكفر به وانت على حافة قبرك!!! لا مصيبة بعدها الا دخول النار.
إنا لله وإنا اليه راجعون.
ثم يقول الرجل: (كما ان الغموض والالغاز يلفّ عددا لا يستهان به من الآيات بحيث يحار المرء في فهم المعنى المقصود من هذه الآية او تلك حتى ان بعضها ليبدو بلا معنى).
اول ما ينبغي قوله هنا لكل الملحدين هو ان وجود آيات غير مفهومة في القرآن له معنى وسبب، منها ان القرآن لم يكن كله لزمن محدد فما لا نفهمها نحن اليوم من الآيات قد تأتي اجيال بعدنا تفهم اسرارها. ثانيا: ليس من المعقول ان يحيط عقلنا البشري الناقص بكل ما ورد في كتاب الله وستبقى آيات في القرآن لا نفهمها حتى يوم القيامة والله يقول " هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ"([10])
أبعد هذا يأتي ناعق ويصرخ في الناس انه وجد آيات غير مفهومة في القرآن كأنه اكتشف سرا في القرآن لم يكن يعلم به أحد؟ لكنه في الحقيقة يريد بذلك خداع ضعيفي الإيمان من المسلمين ليجرهم معه الى بئر الإلحاد.

([7]) الايات 99 – 100 سورة الاعراف
([8]) الاية 28 سورة فاطر
([9]) متفق عليه
([10]) الاية 7 آل عمران

والشئ الثالث انه حتى الآيات المُحكَمـات يختلف النـاس في فهمهـا. فكل عالم او فقيـه يفهم حسب قدرته العقلية والعلمية و حسب بيئته و ما حوله. فتفسـير الآية الواحـدة قد تختلف من زمـان لزمـان ومن مكان لمكان بل ومن فقيه الى آخر حتى في الزمان والمكان الواحد. وما قصة نزول سورة النصر واختلاف الصحابة في فهمها ببعيـدة عن الاذهان، يعرفها حتى تلاميـذ المـدارس لكنهـا عُميت على من أضـلّهم الله. و من قمة اعجاز القـرآن قدرته على اسـتيعاب أشـكال متعـددة من الحوادث في مختلف الازمنة والامكنة.
ألا يعرف هذا الرجل، وقد كان معلما للقرآن، ان القـرآن هو دين لكل الناس بمختلف اوطانهم واحوالهم وازمنتهم الى قيام الساعة؟!
ثم اذا كانت كتبٌ كتبَها بشرٌ مثلنا، يختلف النـاس في فهم مقاصـدهم فيها، فما بالك بكتاب الله!!!
ثم يصف الرجل آيـات القـرآن بأنها غـير مرتبة ولا مترابطة وليست على نسق واحد وانها مفككة ومشوشة ويقـول: (ان اول ما يصـدم النظر في القـرآن هو تفككه، وهـذا التفكك لا يحسه المـؤمن لطـول ألفته للنص أولا ولأن الايمان درع واقية يحفظ صاحبه من التطلع الى ما في هذا النص من عيوب).
فهو يقول ان النفكك لا يحسّه المـؤمن لطـول أُلفتِه للنص، فمـا بالـه وهو الـذي قضى سـبعين سـنة او يزيد من عمـره في ألفة النص لم تمنعه ألفته للنص كل تلك السنين من ملاحظة التفكك ان كان هنـاك تفكك؟
الحقيقة التي قالها الرجل دون ان يشعر هي: انه رأى القرآن متفككا فقط بعد ان أبىَ الله ان يسـتجيب دعـاءه ويـنزّل عليه مائـدة من السماء او نقودا تنزل عليه بها الملائكة ليسدد ديونه التي أنهكته.
ثم انظروا شدّة الركاكة في كلامه هو لا في القرآن، حينما يقـول: ان الايمان درعٌ واقية يحفظ صاحبه من التطلع الى ما في هذا النص من عيوب!! منذ متى كان الحرمان من التطلع الى العيـوب حفظـا؟ بـل هو مهلكة إن كان للرجل فهم!!
ثم يقول: (انظروا الى هذه الآيـات، القفـزات، ودلـوني على ما يربط بينها: "الآيات 17/ 70 ـ 88 من سورة الاسراء، إن سورة الاسراء كلها من هذا القبيل قفزات ينتقل بها القرآن من واد الى آخر).

تــرى من الــذي قــال لهــذا الرجل ان آيــات القــرآن يجب ان تكــون ككتابات الجاحظ و غيرهم من الكُتّاب؟ من الذي قال ان آيات القرآن يجب ان تكون على نسق معين؟

اني لا ارى فيما يـراه الرجل تشويشا وضـعفا وركاكة. بـل لا ارى فيه الا دقّـةً وبلاغـةً لا يوجـد نظيرهمـا في الغربية. و لو كـان القـرآن من تأليف رجل بليغ كما قال لإجتهد مؤلفه أيما إجتهـاد في ان يـأتي كتابه على نسق معين ومعروف حتى لا يكون محلا للطعن والقيل والقــال. وبما انــه – القــرآن الكــريم - ليس من تـاليف رجل فـأراد له الله ان يكـــــون مختلفا تماما عن الطـــــرق المألوفة في الكتابة و هنا يكمن إعجاز القرآن.

ثم يقول: (ما قولكم دام فضلكم في الآية التالية؟ افتـوني في امـري يا ارباب الفصاحة والبيان ويا سدنة المنطق والبرهان. قال تعالى في حكايته قصة يــونس عنــدما إلتقطه الحــوت: " فَلَــوْلَا أَنَّهُ كَــانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَـوْمِ يُبْعَثُـونَ * فَنَبَـذْنَاهُ بِـالْعَرَاءِ وَهُـوَ سَقِيمٌ * وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَـجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ * وَأَرْسَـلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْـفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَـاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ * فَاسْـتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَـاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ" فما شــأن الملائكة هنا وانوثتها بقصة يــونس؟ ما بــالكم لا تضــيفون الى ابــواب البلاغة بابا تسمونه باب النشاز او النتوء).

لست ادري كيف لرجل كــان يــدرس القــرآن ان يســأل مثــل هــذا السؤال؟

يفهم الكل – حتى تلاميذ المدارس – من هذه الآيـات ان قـوم سـيدنا يونس عليه السلام كانوا يعتقدون ان الملائكة إناث وانهن بنات الله. فأرسل الله لهم النبي يـونس ليصـحح إعتقـادهم. وهـذا واضحٌ وجليّ، ولكن حينما يصـــرّ الملحد على الطعن في الـــدين فـــان الله يعمي بصيرته فيأتي بأسئلة عجيبـة عن معـانٍ يعرفهـا الجميـع كمـا لـو أنهـا معضلات تستعصي على الفهم. ثم ألم يقـرأ بـاقي الآيـات وهي الـتي تـبيّن بجلاء مـا خُفيّ عليـه؟ حيث يقـول تعـالى: " أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ"[11] وعلى هذا النسق فان كل إدعاءٍ له بتفكك القرآن هو هراء أملاه عليه غضبه من الله الذي لم يستجب له على علم.

---

[11] الايات 151 – 153 سورة الصافات

ويقـول ايضا: (والغـريب ان هـذا التفكك لا ينحصر في اختلال سـياق الآيـات في الصـفحة الواحـدة بحيث يجعل من هـذه الصـفحة حشـدا عجيبا من الآيات المتنافرة، بل ان الاختلال يشق الآية الواحدة ويباعد بين طرفيها، فاذا آخرها غير منسجم مع اولها: " إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَـا تَحْمِـلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَـعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَـهِيدٍ" فما علاقة آخر هـذه الآية باولهـا؟ ما بـال العـازفين على اوتـار فصـاحة القرآن واعجاز القرآن يتجاهلون هذه الآية وامثالها؟).

سبحان الله!!! يبدو ان هذا الرجل كلما كانت الآية شديدة البلاغة تـاه عقله في إدراك معناها!!

ان كـــــان حقا قد عجز عقله عن معرفة علاقة آخر الاية بأولها فإنه والله ليس له عقل يســـتحق ان يقدّسه او يحتَكم إليه في شئ. فهو كعقل الهالك في القليب، ابوجهل.

هـذه الآية بليغة وواضـحة وتتكلم عن الرجـال الـذين يزعمـون إنهم مُطّلِعـون على الغيب، امثـال شـيوخ الـدجل والشـعوذة، الـذين يلجأ إليهم بعض الناس بحثا عن الانجاب او الـرزق، معتقـدين في قـدرتهم على تحقيق ذلك، بـدلا من اللجـوء الى الله. يـأتي هـؤلاء النـاس يـوم القيامة فيسألهم الله أين أولئك الذين لجـأتم اليهم في الـدنيا فليـأتوا لينقذوكم مما انتم مقبلون عليه من عذاب. ثم يقول سـبحانه وتعـالى تمام الآيات: " وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَـدْعُونَ مِن قَبْـلُ وَظَنُّوا مَـا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ"([12]) وهذا ما لم يـذكره الملحـد تفتيتـاً للآيـات حـتى يظن القارئ الغافـل الـذي لا يطّلـع على القـرآن إن الرجـل على حـق في ثم يقول: (والآن دونكم هذه الاية فاعينوني على فهمها اعانكم الله: " وَآتُـوا الْيَتَـامَىٰ أَمْـوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَـدَّلُوا الْخَبِيثَ بِـالطَّيِّبِ وَلَا تَـأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًـا كَبِـيرًا * وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِـطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَـانكِحُوا مَـا طَـابَ لَكُم مِّنَ النِّسَـاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَـاعَ فَـإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْـدِلُوا فَوَاحِـدَةً أَوْ مَـا مَلَكَتْ أَيْمَـانُكُمْ ذَٰلِـكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا"، هذه الآية الاخيرة من الاعاجيب ... فاني رغم جميع ما قرأت في كتب التفســـير وما فيها من مقبـــول ومـــرزول وثرثـــرة فارغة واغتصاب للمعاني، لا ازال حتى الآن عاجزا عن فهم العلاقة بين عدم القسط في اليتامى وبين النكاح).

---

[12]) الاية 48 سورة فصلت

ان هذه الآية تتكلم عن حقوق اليتيم وهذا مفهوم.
لمن تتوجه الآية بـالاوامر؟ لا شك للقيّم على اليـتيم. فالآية الكريمة، البليغة، تـدعوا الى العـدل مع اليـتيم ورعايته. فـإن كـان القيّم لا يستطيع رعاية اليتيم لأي سـبب فله في هـذه الحالة تـزويج أم اليـتيم حتى يقوم زوجها الجديد برعاية أبنائها. وبما أن الرغبة في الزواج من أرملة غالبا لا تكون الا من المـتزوجين، بمعـنى ان الرجل البكر، فيما شـاع بين النـاس، لا يكـون لديه الرغبة في الـزواج من مطلقة او ارملة، لهـذا فـإنّ الله أحـلّ للمـتزوج ان يـتزوج مـرة ثانية او ثالثة و رابعة دون حـرج. رعايـةً لليـتيم وصـوناً لعفّة الأرملة. وهـذه المعـاني واضـحة وصـريحة ومفهومة، الا اذا كـان السـامع في اذنيه وَقَر وفي عقله خلل حينها سيقف متعجبا محتارا.
ثم يـأتي بآية بليغة لفظا ومعـنى ليطعن فيها فيقـول: ("إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَـا اشْـتَهَتْ أَنفُسُـهُمْ خَالِـدُونَ * لَا يَحْـزُنُهُمُ الْفَـزَعُ الْأَكْبَـرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيـدُهُ وَعْـدًا عَلَيْنَـا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ". أفما كان من الواجب ان يبدأ بطي السماء ثم يـذكر ما يترتب على الخلق من جزاء وعقاب؟ هل القلب يا أمراء البيـان بـاب من ابواب البلاغة والبيان؟).
أقول له: القلب بـاب من ابـواب البلاغة والبيـان لمن يسـتطيعه ممن يملكـون ناصـية اللغة. والقلب حينما يكـون بهـذه السلاسة و هـذا الوضوح فإنه قمة من قمم البلاغة والفصاحة.
ثم ان القلب ليس بدعة في اللغة وهو معروف في لغة العرب.
ثم يقـول عن اهل الكهف: (وبعد ان تحـدث القـرآن عن اهل الكهف وكيف بعثهم الله من مرقـدهم، عـرج على عـددهم واختلاف النـاس فيه، وبدلا من ان يذكر لنا العدد اللغز، هذه التحفة النادرة، هـذا السر المكنون، ضنّ علينا به ليجعل ذلك حسرة في قلوبنا).!!!
إن كان من عقل ملأه الله هراءً فهو عقول الملاحدة الـذين لا يكلّـون ولا يملّون من اللهث خلف آياتٍ يظنونها نقاط ضَـعفٍ في كتـاب الله. يريدون أن يلجِوا منها ليهدّوا بنيان القرآن!!! وما درى هؤلاء إن كتاب الله هـو بنيـان الله، وليس لمخلـوق إليه سـبيل. وقد أرداهم ظنُّهم السيءُ بالله.

ترى ماذا كان سيستفيد هذا الملحد لو عـرف عـدد اصـحاب الكهـف؟ هل كـان ذلك سـيغيّر من كفـره بـالقرآن ورب القـرآن؟ ثم هل ذِكر العدد له علاقة بالمسألة الإيمانية التي هي اساس وجود القرآن؟
ثم يقـول: (وحبـذا لو اسـتكمل الحلقة الاخـيرة من القصة ومنّ علينا بمعرفة مدة اقامتهم في الكهف، هم وكلبهم الاثـير، لكنه سـبحانه آثر - لحكمة لا يعلمها الا هو ايضا – ان يقطع لهفتنا بنتـــوء شـــاذ آخر لا ارى، انا العبد الفقير، وجها له وان كـان سـادتنا المفسّـرون يـرون له الف وجه ووجه. ثم قال بعد الاية السابقة مباشرة: ولا تقولن لشــيء اني فاعل ذلك غـــدا الا ان يشـــاء الله، واذكر ربك اذا نســيت، وقل عسى ان يهديني ربي لاقرب من هذا رشدا")!!
إنّ هذه الآية إنما جاءت في صميم سياق آيـات اصـحاب الكهف وانها ليست نتوءً كما يتـوهم الرجـل. ألم يقـرأ في التفاسـير إن بعض اهل الكتاب جادلوا بعضـهم في عـدد اهل الكهف فقـال بعضـهم، هم ثلاثة رابعهم كلبهم، وقال آخرون هم خمسة سادسهم كلبهم، وقال غـيرهم هم سبعة وثامنهم كلبهم. فلما إختلفوا سألوا الرسول صلى الله عليه وسـلم، فأرجـأهم الى الغد ليـأتيهم بالإجابة. لكن إنقطع الـوحي عن الرسول برهة من الزمن حتى حَزن لذلك. ثم جاءه الـوحي معاتبا لـه بأنه حينما وعد أهل الكتاب أنْ يـأتيهم بالإجابة على سـؤالهم نسي أن يقول "ان شاء الله" فكان هذا تعليما من الله لرسوله وللمؤمـنين ان يقـــدموا المشـــيئة قبل الالـــتزام. وهـــذه واحـــدة من أهم الـــدروس المستفادة من ذكر قصة اهل الكهف.
فاذا كان الملحد يقول: (وليته، يعـني القـرآن، لم يـأت على ذكر هـذه القصة اصلا وفرعا، فهي قصة مبتـــورة لا ادري رأي اصـــحاب الفن القصصي فيها).
فـالرد: إن قصة اهل الكهف لم تُـنزّل كقصـة تريهـا لأطفالـك لينـاموا عليها. ولم تكن قصة من تلك التي يرويها القُصاص للناس في السبل ترفيهاً. قصص القرآن ليست كتلك القصص وإنمـا وراءهـا مـا وراءهـا من الحِكم والدروس والعِبر ليستفيد منها المؤمنون في حيـاتهم وفي عبادتهم. فإذا كانت الآيات قد أبرزت ضرورة التوكل على الله وتقديم المشيئة الإلهية التي بـدونها لا يتم اي عمل. فإنهـا تُعلمُنـا ان ما شـاء الله يكون وما لا يشأ لا يكون. ولا يغرّنّ أحدٌ ما يفتريه الملحـدون من أنك لو خططت جيدا ووفرت كافة المعينات فإنك لابد ستنجز العمل!

إن هذا قول فارغ وهـراء. فقد وفر زعيم الملاحـدة أقـوى جيش يـوم بـدر وخـرج ينشد القتـال وإلتقى بقـوم هم اقل من الثلث خرجـوا لا يبتغون قتالا، وبعد كل هذا هُزِم شـرّ هزيمة وكـان القليب مصـيره هو ورفاقه. وفي عصر قريب صنع من صـنع سـفينة قـالوا إنها لن تغـرق ابدا لانهم جهزوها بكل التقنيات التي تمنع السفن من الغـرق وتحـدّوا بها الله وفي اول رحلة لها اخــذها الله اخذ عزيز مقتــدر، ليسـفّه بها أحلامهم و يُنيخَ بها كبرياءهم.([13])

ثم هنـاك حِكَمٌ اخـرى كثـيرة تعلمها المؤمنـون من قصة اهل الكهف، منها ان قوّي الايمان لا ينحني لطواغيت الشـرك والكفر فـإن كـان لا يستطيع مدافعة الشر عن نفسه فعليه الهرب بدينه والنجـاة بنفسـه، وانه لا يجوز الخضـوع للكفـار بـدواعي الضَـعف وعـدم القـدرة، " إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَـةُ ظَـالِمِي أَنفُسِـهِمْ قَـالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَـالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَـالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِـعَةً فَتُهَـاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا"([14]) فلا يجوز لاحــد أن يأتي يوم القيامة و يتذرع بأنه كفر لأنه كان مستضعفا في الارض.

وغير هذه، حِكَمٌ كثيرة ليس هـذا مكـان الكلام عنها. لكن حينما يعمي اللـه بصـيرة أحد يجعله يتخبط لا يـدري ميمنته من ميسـرته ولا أعلاه من اسفله.

وبعد هرطقات كثـيرة عن تفكك القـرآن والتشـويش الـذي فيه وغـير ذلك من الكلام الـواهن الـذي لا يسـاوي المـداد الـذي كتب به يقـول الرجل:

(لقد كان القرآن اختراقا فأصبح إحتراقا، لقد كـان ثـورة الثـورات في عصر انعـدمت فيه الثـورات. لقد كـان القـرآن في عصر القـرآن من اهم عوامل التقـدم، واما اليـوم فهو معرقل لكل تقـدم. ولا ادلّ على ذلك من تلك القفــزة النوعية المذهلة الرائعة الــتي نقلت اجـــدادنا العـرب من هـامش التـاريخ الى سـدّة التـاريخ. وجعلت منهم صُـناعا للتاريخ وسادة من سادات التاريخ، فلولا القرآن لظلوا يتسـكعون في وضعهم الآسن الى يوم يبعثون. فكانما القرآن جـاءهم على موعد مع الاحداث فقذف بهم في خضم الاحداث واخترق بهم الآفاق)!!

---

[13]) سفينة الركاب تايتنك

[14]) الاية 97 سورة النساء

ألسنا نرى يا سادتي الاضطراب العقلي في أبهى صُوَرِه هنـا إن كـان يمكن ان يوصف بالبهاء؟!!
أيصدّق هذا الرجل وغيره من الملاحدة ان كتابا ألّفه رجل لا يكتب ولا يقـرأ قد فعل كل تلك الافاعيل في أمّة بدوية لا تحسن سـوى النهب والسلب وقطع الطريق وقـول الشـعر وجعل منهم أمـةً ذات حضـارة من أعـرق، بل هي أعـرق وأنبل حضـارات البشر على مر العصـور والدهور؟!!
نعم، ان رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم هو أحكَم من دبّ على وجه الارض. هذا لا جدال فيه ولكن حكمتُه تلك وعلمُه إنّما هما قبسٌ من حكمـة وعلم الله سـبحانه وتعـالى ولم يتعلمها في مـدارس او جامعات البشر ولم يكن ما أتى به اسـاطير الاولين تعلمها من الكهنة كما يزعم بعض الذين يجيدون ليّ عنق التاريخ.
إن كان الملاحدة يصدّقون ان كتابا واحدا يؤلفه واحد من البشر مهما علا شـأنه يمكن ان يؤسس لاعظم حضـارة مثل الحضـارة الاسـلامية فهـذا يعـني إنهم يصـدّقون شـيئا لا يتسق مع المنطق ولا مع العقل. فاذا كان حالهم كذلك فلماذا يلومون المؤمنين الـذين يصـدّقون قصة المعراج؟ على ان المؤمن له من ايمانه سـند فيما يصـدقه، فما سـند الملحد في تصديقه لللا معقول؟
ثم يتكلم الرجل بعد ذلك عن الغمـوض في القـرآن و يتسـاءل عن الحـروف المقطعة في بـدايات بعض السـور مثل "ألم" و "طس" و "كهيعص" وغيرها و يقول: (ما هذه الالغاز؟ هل هذا من القرآن الـذي فصلت آياته بلسان عربي مبين؟)
ولقد سـبق ان رددنا على قوله في غمـوض بعض آيـات القـرآن وقلنا ان القرآن نفسه قد اثبت ان هناك آيات متشابهات لا يعلم تأويلهن الا الله، فلم الصراخ والعويل و السؤال عما هو محسوم ومفروغ منه؟
نحن لا نعلم ولا أحد يعلم مـراد الله من هـذه الحـروف، الا من شـاء الله، لكننا نؤمن بانها من آيات الله. ثم إنه لا يضـير المسـلم ألّا يفهم الكثـير من الآيـات طالما إن آيـات الاحكـام وقواعد الـدين مفهومة وواضحة.
ثم يتهم القرآن بأنه احيانا يندفع الى تفاصـيل لا مـوجب لها ولا معـنى لها فيقول: (خذ مثلا هذه الآية: " وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَـانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُـولًا نَّبِيًّا * وَنَادَيْنَـاهُ مِن جَـانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـاهُ

نَجِيًّا"، انا لا افهم اي معنى لكلمة "ايمن" في شعاب واسعة لا معـالم لها وكل شئ فيها يصــلح ان يكــون على يمين شئ آخر او يســاره، فالجهـات من المضـاف، اي ليس لها معـنى مطلق، بل هي نسـبية يتحدد معناها بالقياس الى غيرها)!!!

سبحان الله!!!

يقـــول الملحد "انا لا افهم اي معـــنى لكلمة ايمن"!!، هل حقا كنت تدرس القرآن يوما ما؟
كـون انك لا تفهم معـنى كلمة في القـرآن او في اي كتـاب لا يعطيك الحق لتطعن فيه. فان ما لا تفهمه انت قد يفهمه غيرك.
يقدم أحد الاخوة ردا علميا على هذا الملحد في احد مواقع الانـترنت. ومما قاله الاخ جـزاه اللـه خـيرا عن كلمـة "أيمن": "هنـاك اختلافـات وظيفية جوهرية بين نصـفي المخ ... وظـائف اللغـة تقـع في النصـف الايسر من المخ ... وكان لموسـى مشـكلة في الكلام وتوجـد علاقـة بين مشكلة الكلام و الفص الايسر في المخ. واثارة الفص الايسر من المخ تقتضي التحرك يمينا"([15])
اما انا فأسأل الملحد: ما أدراك ان كانت هذه الكلمة تعـني شـيئا آخر غير الذي فهمتـه؟ هل كلمة أيمن لها معـنى واحد في اللغة العربيـة؟ أنا افهم هــذه الكلمة في هــذا المكــان بمعــنى "أبــرك" من البركة وليست من اليمين واليســار وانما من اليُمْن والايمــان. نحن نعلم ان كثيرا من آيات القرآن تفسر بعضـها بعضا وفي القصص: " فَلَمَّا أَتَاهَـا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّـجَرَةِ أَن يَـا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ"([16])
ثم يفتري فرية اخرى ويقول: (كذلك نرى القرآن عندما يعرض لقصة اهل الكهف وكلبهم الامين، نــــراه يــــأتي على تفاصــــيل بلغت مبلغ السخف ومع ذلك لا يستقر على عدد معين لهم).
وهنا تغِيبُ حقيقة كاملة عن ذهن معلم القــرآن الكـافر، وهي ان الله سـبحانه وتعـالى في هـذه الآيـات انما ينقل لنا الحـوار الـذي دار بين الرسول صلى الله عليه وسـلم وبين بعض النصـارى ولا شك ان نقل الحــوار دون زيـادة او نقصـان هو من الأمانة. وقد قلنا ان عــدد اهل الكهف وعدد سنوات بقائهم داخل الكهف ليست من مراد القرآن، اذ انها امــور عرفناها او لم نعرفها، لا تــأثير لهــا في المســألة الإيمانية. فقط الـدروس المسـتفادة من قصة اهل الكهف والمرتبطة بالايمـان والتعامل مع الطغـــــــــــاة والتوكل على الله وغيرها من الحِكَم هي المطلوبة ولا ارى داعيا لصراخ الملاحدة والحسرة التي تاكل قلــوبهم لعدم معرفتهم عدد اصحاب الكهف.

([15]) http://w.tt/2pIjM3X
([16]) الاية 30 سورة القصص

ثم يتكلم الرجل عن قصة السامري و يتساءل: (فما المقصود بقوله تعالى: "ولكنا حُمّلنا اوزارا من زينة القوم فقذفناها"، اين قذفوها؟ يقول المفسرون انهم قذفوها في النار. كيف عرفوها لولا اساطير التوراة التي يقول القرآن انها محرفة؟ فما ضرّ لو ذكر كلمة "نار"؟ لم يُلجِئنا الى كتاب محرّف لنفهم غير المحرّف؟)!!

والله لم يُلجِئنا القرآن لأي كتاب آخر لنفهم معنى الآية. فالآية تقول: " قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ"([17])

الزينة هي الذهب والفضة. فإذا اردت ان اشكّلهما في اي شكل فلابد ان القيهما في النار، فهل هذا يحتاج ان نبحث في التوراة لنعرفه؟

ثم يقول: (واذا اردتم مزيدا من الالغاز في آيات القرآن فدونكم هذه الآية: " وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ"، لا شئ كالاسطورة يضفي المعنى على هذه الاية)

ثم يأتي بواحد من التفاسير لهذه الآية وهو التفسير الذي يقول بان الجسد الذي القاه الله على كرسي سليمان كان رجلا من الجن تزوج النبي سليمان بمحبوبته.

في الواقع ان بعض تفاسير القرآن اعطت الملحدين و المستشرقين فرصا ذهبية للطعن في القرآن. ولكن المسلم، يرى ان تفاسير القرآن لا تعنى مراد الله وانما هي اجتهادات بشرية قد تصيب او تخيب. فاذا كان المستشرقون لهم العذر لعدم معرفتهم باسرار اللغة العربية، فما هو عذر العربي الذي يمتطي صهوة التفاسير ليطعن في كتاب الله؟

لا أرى ان من الصواب ان يعمد المفسرون الى محاولة تفسير كل الآيات، اذ ان هناك آيات كثيرة تتكلم عن وقائع تاريخية يجب عدم الخوض فيها دون سند قطعي.

ما يجب ان نستخلصه من هذه الآية هو ان الله سبحانه وتعالى قد يفتن حتى الرسل والانبياء وبالتالي على بقية المؤمنين الا يحزنوا اذا امتحنهم الله بل عليهم التوبة والاستغفار والصبر دائما لاجتياز الابتلاءات. وهذا هو الذي ينبغي فهمه. اما ما هو نوع الجسد وما الى ذلك من اسئلة ينبغي عدم الحديث عنها الا عن علم.

---

[17]) الايات 87 – 88 سورة طه

ثم يقـول ان القـرآن مع غموضه يسـتعمل الالفـاظ المتضـادة، اي الالفاظ التي تفيد معنيين متضادين في نفس الوقت وفي هذا يقـول: (فالفعل "غَبَـرَ" مثلا له معنيـان متضـادان، مضى و بقي، فقد وردت هذه الكلمة سبع مرات في سبع آيـات تتحـدث عن إمـرأة لـوط، " إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ"). ولقد جاء بتفسـير الآية ولم يـبيّن لنـا اي عيب في تـأثير اللفظ ذو المعنـيين على مفهـوم الآية. وهـذا يعـني ببسـاطة انه لم يجد اي مأخذ على هـذا اللفظ مما يؤكد انه يسـوق كثيرا من الكلام بلا اي معنى ولا اي هـدف. وفي كل الاحـوال، سـواء كان غابر يعني مـاض او بـاق فـان ما فهمنـاه هو ان زوجة لـوط عليه السلام كانت من الهالكين وهذا هو مراد الآية وهـذا ما يفهمه كل من يفهم اللغة. ثم جاء بكلمة اخـرى هي كلمة "ظن" الـتي تفيد الشك و اليقين ويقول: (فان القرآن لم يجد حرجا في استعمالها " وَاسْـتَعِينُوا بِالصَّـبْرِ وَالصَّـلَاةِ ۚ وَإِنَّهَـا لَكَبِـيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِـعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُـو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْـهِ رَاجِعُـونَ"). وحقا هنا يـبرز غبـاء الرجل وضـيق افقه وضـحالة فكـره وجهله التـام بـالقرآن. فهو يقـول: (فهل يصح استعمال الفعل "ظن" في هذا الموضع. اذ قد يكون معنـاه ههنا انه ليس من الضروري ان يبلغ ايمان المرء بـاليوم الاخر مبلغ اليقين، بل يكتفي الله من العبد في هذه الحالة، بالظن وهو اضـعف الايمـان، فما المانع ان يكون معنى الاية كذلك والنص لا يمنع ذلك؟).

مفاهيم كثـيرة خاطئة يسـوقها الرجل ليـدلل بها على إفتراءاته. ولعل اولها قوله ان كلمة "ظن" تعني أضعف الايمان. ولا شك ان هـذا فيـه اضطراب ما بعده اضطراب. فهو يـرى ان الشك هو أضـعف الايمـان بينما الحقيقة هي ان الشك مرحلة من مراحل الكفر ومن مـات وهو يشك في وجود الله لا يموت مؤمنا. والله سـبحانه وتعـالى يقـول في القرآن " وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَـقِّ شَـيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ"([18]) و يقول تعالى: "وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُـونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَـقِّ شَـيْئًا"([19])، ام ان الرجل لم يقرأ او يسمع بهذه الآيـات طـوال سـبعين سـنة قضـاها طالبا للعلم ومعلما؟

---

[18]) الاية 36 سورة يونس (

[19]) الاية 28 سورة النجم (

ثم يقـول ما المـانع ان يكـون معـنى الاية كـذلك والنص لا يمنع ذلك. واقـــول له: بل النص يمنع ذلك مطلقا. لكن النصـــوص تحتـــاج لمن يفهمها. فالمـانع هو ان الاية تقـول: " وَاسْتَعِينُوا بِالصَّـبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْـهِ رَاجِعُـونَ"([20]). فالاية تقـول "الخاشـعين"، والخاشـعون هم من بلغوا الـدرجات العالية في مراحل الايمـان، فهـذا وحـده مـانع من ان يكون"الظن" مقصودا به هنا ضعيفي الايمان واصحاب الوساوس. بل مقصود به أصحاب اليقين من المؤمنين. ثم إن ضعيفي الإيمان ليسوا ممن يشكّون في الله. بـل هم مؤمنـون ولكنهم أصـحال غفلـة وهِمم قاصرة ومساواتهم بأهل الظن والشك هو ظلم لهم وفـوق هـذا فإنـه يدُلّ على قلة فهم.

ثم يتحدث عن كلمـات اخـرى مثل "قـروء" و "احصـان" ويـأتي بكلام مشـابه لما قـال في الكلمـات السـابقة وهو في النهاية كلام هـراء لا فائدة منه، ولا ادري لم حشر نفسه في مثل هذه المواضيع!!

ثم بعد هـذا يعـرج الى "غـريب القـرآن" وهي مفـردات من القـرآن والفـــاظ وتـــراكيب غريبة لم يعرفها العــــرب من قبل، او لم يتم استخدامها بالطريقة التي استخدمت بها في القرآن.

وفي هذا يقول: (فقد اخـرج ابوعبيـدة عن ابـراهيم الـتيمي ان ابـابكر الصديق سئل عن قوله تعالى "وفاكهة وابّا" فقال: اي سـماء تظلـني واي ارض تقلني ان قلت في كتاب الله ما لا اعلم)

ثم يسرد كلمات وجمل كثيرة من غـريب القـرآن ويقـول: (والآن هل هذه الالفـاظ الغريبة، عربية كـانت او اعجمية، من دلائل الاعجـاز في القرآن؟ كيف يصح للقـرآن ان يتحـداهم بالاتيـان بمثله وهو بلغـات لا يعرفونها؟ هل هذا اعجاز ام تعجيز؟).

لعل اول ما يتبـــادر الى ذهـــني هنا هو ســـؤالٌ الى الملحـــدين: انتم تزعمـــون ان القـــرآن كتـــاب بشـــري من تـــأليف محمد "عليه أفضل الصلاة والسلام"، ومقتنعون ان في القرآن كلمـات كثـيرة غـير عربية ولم تألفها العرب، فالسؤال هو: اذا كان الامر كما تزعمـون فمن أين لمحمد تلك المعرفة بلغات أخرى غير العربية وهو الرجل الأُمّي الذي لم يبرح مكة إلّا بضع مرات؟

ان غريب القرآن هو فعلا من إعجاز القرآن لو كنتم تفهمون.

---

[20]) الايات 45 – 46 سورة البقرة (

اما ان تزعم بان القرآن تحداهم بـأن يـاتوا بمثله رغم ما فيه من لغة لا يفهمونها، فهو قول مـردود عليـه. أولا لان القـرآن فيه سـور كاملة ليس فيها من غريب الكلمات شيء. ولم يلزمهم ان ياتوا بسورة فيها من غريب اللغة. فالتحدي كان مفتوحا دون حدود. فلو جـاءوا بسـورة من مثل تلك السور الـتي لا تحتـوي على الغـريب لكفـاهم، لكنهم لم يأتوا بشيء. لانهم لن يأتوا بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.
ثانيا: اذا كان القرآن قد تحداهم بان يأتوا بمثله رغم ما فيه من لغةٍ لا يفهمونها، فإن النبي عليه الصلاة والسلام إنما كان واحـدا منهم، فمن أين جاء بهذه اللغة التي لا يفهمونها؟؟!
ثم يأتي بنا الملحد إلى باب آخر أسماه ركاكة القـرآن، ويقـول: (قـال تعالى في بيان فضله على الناس وجحـود النـاس لهـذا الفضل: " هُـوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْـكِ وَجَـرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُـوا بِهَـا جَاءَتْهَـا رِيحٌ عَاصِـفٌ وَجَـاءَهُمُ الْمَـوْجُ مِن كُـلِّ مَكَـانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيـطَ بِهِمْ ۙ دَعَـوُا اللَّهَ مُخْلِصِـينَ لَـهُ الـدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ *فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ").
يقــــول الرجل عن الآية: (ان نقطة الضــــعف بل والركاكة في الآية السابقة هي سوء استعمال الضمائر إساءة من شـأنها إحـداث إختلال في السياق، ان سوء استعمال الضمائر اذا صـدر عـني وعنك نسـبونا الى الجهل وإتهمونا بنقص معلوماتنا اللغوية ونصــــحونا بدراسة علم الصـــرف والنحو من جديد، واما اذا صـــدر ذلك عن القـــرآن فهو من البلاغة).
واقول: ان الرجل أقرّ من قبل بأنّ محمدا هو أفصح العرب، وأقرّ بأن في القرآن آيات من الروائع تأخذ بالالبـاب من شـدّة روعتها وبلاغتها. فهل من أتى بتلك الروائع اللغوية وكـان هـو أفصـح العـرب يمكن ان يخطئ اخطــاءً فادحة كالأخطـــاء في الضـــمائر الـــتي لا يقع فيها إلّا المبتدئون في تعلم اللغة؟ هذا مستحيل عقلا إن كان للملحد عقل.
فهو يقـول عن ركاكة الآية: (دونكم الآية السـابقة مـرة اخـرى لـتروا موضع الخلل فيها، هــــذا ما لم تكن قد تنبهتم له من تلقـــــائكم، لانه اختلال صارخ لا يمكن ان يمر عليه السـامع من غـير ان يحس بنشـاز في اذنيه "خـــتى اذا كنتم في الفلك وجـــرين "بهم" بـــدلا من جـــرين

"بكم"، و"فرحتم بها" بدلا من "فرحـوا بها"، صـدقوا او لا تصـدقوا ان هذا النشاز من بلاغة القرآن).

الرجل كعادته يعلو ثم يهوي الى سـحيق. فقد صـدق في صـدر كلامه حينما قال: (قال تعالى في بيان فضله على الناس) ثم هوى الي درك سحيق حينما اضاف قائلا: (وجحود النـاس لهـذا الفضل)، ولو اعطـاه الله قليلا من الفهم لما قـال هـذا ابـداً. ففضل الله على كل النـاس معلـوم ولا شك فيه. ولكن، هل كل النـاس يجحـدون هـذا الفضـل؟ بالطبع لا. المؤمنون لا يجحـدون فضل الله. وهنا يكمن سـر الضـمائر في الآية وسر بلاغة الآية وسر بلاغة كلام الله. لو كـان الرجل يعـرف اللغة حقا لأدرك بلاغة هـذه الآية وانها من اروع الروائع و لا حاجة لاي "لفلفة" لفهم معناها.

تبدأ الآية ب: " هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْـرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ" وهـذا فضل الله مبـذول لكل النـاس، الـبرَ والفـاجر، المـؤمن والكافر.

ثم يفرز الله الكفار والمشـركين و يوجه الخطـاب اليهم دون غـيرهم فيقـول: "وَجَـرَيْنَ بِهِم بِـرِيحٍ طَيِّبَـةٍ وَفَرِحُـوا بِهَـا جَاءَتْهَـا رِيحٌ عَاصِـفٌ وَجَـاءَهُمُ الْمَـوْجُ مِن كُـلِّ مَكَـانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيـطَ بِهِمْ ۙ دَعَـوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِ لَنَكُـونَنَّ مِنَ الشَّـاكِرِينَ * فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَـاعَ الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَـا مَـرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَـا كُنتُمْ تَعْمَلُـــونَ"([21]). فلو اســـتمرت الآية على النسق الاول وقـــالت "جرين بكم" و "فرحتم بها" لأحس كل من يتلوها انه معنّيٌ ومقصـود بهـذا الكلام، لكن بلاغة القـرآن ولطـف اللـه ورحمتـه بـالمؤمنين هي الـتي تجعل المـؤمن حينما يتلو هـذه الآية يشـعر بأنها تخـاطب قوما آخرين. قوما هو ليس واحـدا منهم. وهو حقا ليس من المشـركين ولا الكفار. فهل هناك بلاغة فوق هذا؟ بـل وإن كنت تريـد أن تـرى اللغـة تتدفق إحساسا وحياةً فهي في هذه الآية وأمثالها من آيات الله!

ثم يتكلم عن سـؤال النـاس للنـبي صـلى الله عليه وسـلم عن الأهلة ورد القرآن "يسألونك عن الأهلة، قل هي مواقيت للناس والحج"

وفي هذ يقـــول كلاما لو وزعنا ســـخفه وبلاهته على كل كتب الارض لوسعتها وزادت.

---

[21]) الايات 22 – 23 سورة يونس (

فهو يقـول: (فقد سـئل النـبي عن الاهلة، اي اختلاف اوجه القمر من يوم الى اخر، وبـدلا من ان يفسر لهم ذلك على قـدر عقـولهم – ولـو فعل لكـان ذلك منه اعجـازا حقيقيا – فقد تهـرب من الجـواب الـذي كانوا يتشـوقون الى سـماعه من الـذي خلق الاهلة ليتلقـوا منه جوابا مخيبا للامال يعرفه الصغير والكبير)!!!
عجبي من إفتراء هـذا الرجل!! لكأنـه كـان يومـذاك يتكئُ على كتـف أبي جهـل ينتظـر رد الرسـول!! فهو لم يخبرنا ما هو الجـواب الـذي كانوا يتشوقون لسماعه!!
هل مثلا كانوا ينتظرون ان يخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم ان الارض كرة تـدور حـول الشـمس وان القمر كـرة اخـرى تـدور حـول الارض!!
ترى هل كانوا سيفهمون لو قصّ عليهم النبي حقيقة القمر؟، ثم مـاذا كانوا سيستفيدون من معرفة حقيقتـه؟ أليست الفائـدة الحقيقية هي التي ذكرها القرآن؟
ثم يقــول: (لقد خلق الله الاهلة للنــاس ليعلمــوا بها اوقــات زرعهم ومتــاجرهم وعــدة نســائهم وصــيامهم وافطــارهم وحجهم الي بيته الحرام كما يقول المفسرون، حسـنا، فـاذا صـحّ ذلك فمـاذا عسـانا يا ترى نفسر اختلاف اوجه القمر – بل الاقمار – في المريخ والمشـتري وزحل وغيرها من الكواكب الاخرى؟).
أولا: لم يسأل أحد عن الأهلة في الكواكب الاخري، إنما كان سـؤالهم عن القمر الارضي لانهم لم يكونـوا يعرفـون بوجـود أهلـة اخـرى في الكـون. ثانيا حينما نتكلم عن قصة وجـود الانسـان والايمـان والكفر و المـوت والبعث و الحسـاب ثم الجنة او النـار، حينما نتكلم عن هــذه الحقـائق الـتي خُلِقنَا لنعيشـها، فلا فائـدة من أن تعـرف اي شئ في الحياة سوى ذلك الشئ الذي سينقذك من النار ويـدخلك الجنة. فكل علم عدا هذا هو علم ثانوي. فمن زُحزِح عن النار وأدخـل الجنّـة فقـد فاز. وهذا هو ملخص الحياة لو كنتم تعلمون.
يهمنا من الهلال ان نعـرف به يـوم صـومنا وفطرنا ويـوم الحج وعـدة نسائنا و اعمار ابنائنا ولا يهمنا منه ان كان يدور حول الارض او كـانت الارض تدور حوله.

لنفرض انك كنت خبيرا في الكواكب والأهلة وتعرف متى تظهر ومتى تغيب وكيف تدور ولماذا تدور، فهل هـذا سـينقذك من عـذاب الله ان كنت رأيت هلال رمضان ولم تصم الشهر؟

ثم يتكلم عن آية اخرى من الآيـات الكريمة: " مَن كَفَـرَ بِاللَّهِ مِن بَعْـدِ إِيمَانِـهِ إِلَّا مَنْ أُكْـرِهَ وَقَلْبُـهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَـانِ وَلَٰكِن مَّن شَـرَحَ بِـالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"

فيقــول: (اســتحلفكم بمن تحبــون: هل فهمتم شــيئا؟ ... ان جميع المسـلمين في مشـارق الارض ومغاربها يتلـون هـذه الآية كل صـباح مسـاء في صـلواتهم وعبـاداتهم ويسـمعون بها في اذاعـات القـرآن الكـريم من غـير ان يشـعر اي منهم بـاي ضـعف فيها او تشـويش او نشاز ... فقد تبلّد الحسّ اللغـوي فيه –يعـني في المـؤمن - لقد مـات الشعور بالنشاز فيه في ما يتصل بآيات القرآن)

ثم صرخ الرجل كثيرا وعوى اكثر ولم يبيّن ما هي مشـكلة هـذه الآية. ولم يقل لنا لِمَ غاب عنه معناها!!

وقصة الآية يعرفهـا كـل المسـلمين في مشـارق الارض ومغاربهـا. إذ نزلت في الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنه، حينما إشتدّ عذاب الكفار عليه فقال لهم ما يريدون عن آلهتهم. ثم إشتكى نفسه لرسـول اللـه صـلى الله عليه وسـلم من انه ذكر آلهة قـريش بخـير حينما لم يتحمل العـذاب. فـأنزل الله هـذه الآية ليخبرنا إن من يبطن الايمان ويُظهِر الكفر لحماية نفسه او عِرضِه او ماله لا ضير عليه وان الـذي سـيؤخذ هو المُكـرِه لا المُكـرَه. وهي رخصـة وتيسـير للنـاس، خاصـة أولئـك الـذين يعيشـون وسـط الكفـار، فـإن اللـه قـد أذِنَ لهم إظهــار الكفــر حــتى لا يصــيبهم ضــرر. وهي آية من آيــات الرحمة بالمؤمنين لن يفهم معناها من جعل الله في عينيه غشاوة و في اذنيه وقر وفي قلبه قساوة. ولو أكمل الرجل باقي الآيـات لفهم المـدلول: " مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِـهِ إِلَّا مَنْ أُكْـرِهَ وَقَلْبُـهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَـانِ وَلَٰكِن مَّن شَـرَحَ بِـالْكُفْرِ صَـدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَـبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَـذَابٌ عَظِيمٌ * ذَٰلِـكَ بِـأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَـاةَ الـدُّنْيَا عَلَى الْآخِـرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُـوبِهِمْ وَسَـمْعِهِمْ وَأَبْصَــارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَــافِلُونَ * لَا جَــرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِــرَةِ هُمُ

الْخَاسِرُونَ * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ"([22])

كما ان في هذه الاية ردا بليغا على الملحدين الذين يرددون على مسامعنا: إن الله يُكْرِه الناس على الاسلام. ونقول لهم: إن الله سبحانه وتعالى كما لا يؤاخذ المؤمن المُكْرَه على إظهار الكفر حماية لنفسه وعرضه وماله فإنه سبحانه وتعالى لا يقبل إيمان الكافر الذي يظهر الايمان ويبطن الكفر.

ثم يتعرض الرجل للآية الكريمة: " وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ "([23]) وهي جملة قالها موسى عليه السلام لفرعون.

يقول الملحد: (انا لم افهم كيف يكون "التعبيد" اي الاستعباد كما يقول المفسرون نعمة يمُنّ بها فرعون على موسى. واذا اريد لهذه الآية ان يكون لها معنى فلابد من قراءتها على الشكل التالي "وتلك نعمة يمنها الله علي" اي ان اكون من المرسلين نعمة يمُنّها الله عليّ، اما بقية الآية "ان عبدت بني اسرائيل فهي محرفة لا معنى لها، او هي بقية آية منسوخة).

هل كان هذا الرجل معلما للقرآن حقا؟ إن أخشى ما أخشاه ان يكون هناك معلمي قرآن مثله اليوم ونحن لا ندري!!

نعم. فرعون هو الذي إمتنّ على موسى وعلى بني اسرائيل. انه كإمتنان أي طاغية على شعبه.

إن فرعون يرى ان وجود بني اسرائيل في ارضه هو هبة منه لهم. ورغم انه استخدمهم في احطّ الاعمال و سخرهم تسخيرا، الا انه يرى ان له فضلا عليهم باستبقائهم في دولته. وقد إمتنّ على موسى بذلك. اما النبي موسى عليه السلام فلا يرى ما يراه فرعون، بل هو يرى ان قومه مضطهدون، مستعبدون. لهذا واجه فرعون بالحقيقة وقال له ما قال.

هل فعلا غاب معنى هذه الآية عن عقل الملحد؟!! ورغم هذا يدعو الى تقديس العقل فهل هناك أعجب من هذا؟!!

([22]) الايات 106 – 110 سورة النحل

([23]) الاية 22 سورة الشعراء

ثم يقول عن الآية: " قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ"([24])

ويتساءل: (ترى هل في هذه الآية الاخيرة ذرة من البلاغة؟)

ثم يقول: (انا لا انكر ان هذه الآية وامثالها من الآيات الالغاز، لابد ان يكون لها معنى، ولكن هذا المعنى لا يزال مخبوءا في بطن صاحبه).

تعالى الله علوا كبيرا.

انه يعترف بان هذه الآيات لابد لها من معاني غابت عنه ثم لا يكف عن الصراخ والعواء. والآية في الحقيقة لا تحتاج الى عناء لتفهم فهي واضحة و مبينة.

ثم يقول انه لا يفهم معنى وجود كلمة "منه" في الآية الكريمة: " وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"([25]).

ورغم ان الآية تقول "ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" فهو لم يجعل نفسه من المتفكرين. بل سارع للنيل من الآية رغم ان كلمة "منه" تقرر امرا مهما. فلو وقفت الآية في جميعا لكان يعني ان الله سخر لنا كل ما في السموات والارض وهذا ما نفاه الآية بكلمة "منه". كما ان هناك تفسيرا آخر إذا قلت ان كلمة "جميعا" مقصود بها السموات والارض، وهنا تكون كلمة "منه" لها معنى "شيء"، أي إن الله سخر لكم "شيئا مما في السموات والارض" وليس كل ما في السموات والارض.

ثم إن هذه واحدة من آيات القرآن التي أحسب إن لها شأنا في المستقبل. فما الذي سخره الله لنا مما في السموات؟ الشمس والقمر مسخرات بأمره. والنجوم لتهتدوا بها؟ هل هذا كل ما سخره الله لنا مما في السموات؟ لا شك عندي في أن هناك أمورا لم تستبن بعد للانسان وهذا مما يؤكد إن علمنا البشري ما زال في طور الحبو مقارنة بما في القرآن!!

اما في آيات سورة الزمر فقد جاء بالعجب العجاب، تقول الآيات الكريمة: " وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ

---

[24]) الايات 65 – 66 سورة النمل

[25]) الاية 13 سورة الجاثية

آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ * وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ"([26])

يقول: (فهناك عدم توازن بين الآيات التي تصف دخول الذين كفروا الى جهنم ودخول الذين اتقوا الى الجنة، فعندما سيق الذين كفروا الى جهنم ووصلوا اليها فتحت لهم ابوابها، فالوصول ادى الى فتح الابواب، اي جاءت المقدمة وتبعتها النتيجة في الحال. ولكن ذلك لم يحدث ما يوازيه للذين اتقوا ... وبعبارة اكثر تبسيطا نجد ان في آية المتقين "واو العطف" زائدة شوهت المشهد كله حتى ليظن الانسان ان هذه الآية لا جواب لها لدخول حرف العطف، فكيف انزلقت هذه "الواو" الثقيلة هنا؟، يقولون انها زائدة، ولكنها زيادة على حساب اهل الجنة المتلهفين لمعرفة مصيرهم)!!!

أولا، من قال ان هناك اصلا توازنا بين دخول اهل النار للنار وبين دخول اهل الجنة للجنة؟ هل الله قال هذا في القرآن ام ان رسوله صلى الله عليه وسلم قال ذلك؟ كلا، لم يقولا ذلك وانما هي من شطحات الرجل وشيطانه الذي خدعه.

والشئ الثاني الذي ادركناه من القرآن الكريم و احاديث النبي عليه الصلاة والسلام هو ان النار تفتح قبل الجنة. قال تعالى: " وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا"([27])، هذا يعني ان دخول النار يسبق دخول الجنة فكان ان ظهرت بلاغة حرف العطف "الواو" هنا. بحرف واحد فقط اوضح الله كل ذلك. فهل هناك بلاغة اكثر من هذا؟

ثم بعد هذا يقول ان كلمة "سيق" فيها تسوية بين الكافر والمؤمن وان فيها إهانة للمؤمن لانها كلمة تستخدم للدواب كالحمير والبغال وغيرها ويقول في هذا كلاما مضحكا، وشر البلية ما يضحك وهو: (وكأنما احس المفسرون "الملفلفون" بقبح هذه التسوية وما فيها من هجنة واجحاف بحق المتقين فرقّعوا كلمة "سيق" الاولى باضافة كلمة "بعنف" ورقّعوا الثانية باضافة كلمة "بلطف" فقالوا: "وسيق

---

[26]) الايات 71 – 73 سورة الزمر

[27]) سورة مريم 72 – 71 (

الذين كفروا بعنف الى جهنم زمرا" و "سـيق الـذين اتقـوا بلطف الى الجنة" ونسوا ان السوق هو السوق سواء كان بعنف او بلطف)!!

لم أرْ رجلا يضيع وقته في هرطقات لا معنى لها كهـذا الرجل!! ثم انه كثـير الافـتراء على اللغة وعلى عقولنا! ليس السـوق هو السـوق و ليس سـواء ان تسـوق بلطف وان تسـوق بعنف. إنّ من يسـوقك بلطف سيوصـلك الى الوجهة سـليما معـافى ضـاحكا مستبشـرا بينما من يسـوقك بعنف سيوصـلك محطم اليـدين او مهشم الـرجلين او مفقوء العينين، غضباناً أسِفا، فكيف يستويان.

هذا ولا مانع لدينا، ان كنا سندخل الجنة، أنْ يسوقنا الملائكة كالبهائم، فان كل عذاب نِلتَه قبل دخول الجنة ستنساه فور الدخول.

ثم يتكلم الرجل عن آيات اخرى يصفها بالركاكة والغمـوض، ومن بين كلمات الرجل تستشف ضحالة تفكيره وسوء فهمه.

ثم يتكلم عن عدد أيام خلق السموات والارض.

من الثابت في اكثر من آية من آيات القرآن ان الله سـبحانه وتعـالى خلق السموات والارض في سـتة ايـام. هـذا امر ايمـاني مفـروغ منه لدى كل المؤمنين. فاذا جاءت هذه الآيات: "قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَـقَ الْأَرْضَ فِي يَـوْمَيْنِ وَتَجْعَلُـونَ لَـهُ أَنـدَادًا □ ذَٰلِـكَ رَبُّ الْعَـالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَـةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْـتَوَىٰ إِلَى السَّـمَاءِ وَهِيَ دُخَـانٌ فَقَـالَ لَهَـا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَـا طَوْعًـا أَوْ كَرْهًـا قَالَتَـا أَتَيْنَـا طَـائِعِينَ * فَقَضَـاهُنَّ سَـبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا □ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا □ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ"([28])

فهـذه الآية ينبغي علينا قراءتها مـدركين ان خلق السـموات والارض كـانت في سـتة ايـام. بمعـنى يجب الا نبحث في عـدد ايـام خلق السموات والارض هنا لان هذه قضـية مفـروغ منها بـاكثر من آية، بل يجب البحث عن مضامين اخرى مثل عدد ايام تقدير اقـوات الارض و تقـدير امـور السـموات وهي كلها داخلة في الايـام السـتة وعلى هـذا فـان ما يقوله صـاحبنا من ان هـذه الآية جعلت عـدد ايـام خلق السموات والارض ثمانية ايام هو في الحقيقة سوء فهم او عدم قدرة على الاستنباط. ورغم هذا فهو يقول: (لقد حـار المفسـرون في فهم هـذه الآيـات الـتي تتوسع في عـدد ايـام الخلق فتجعلها ثمانية. وفي

([28]) الايات 9 – 12 سورة فصلت

التوفيق بينها وبين جميع الآيات الاخرى الـتي تكتفي بسـتة ايـام فقط فقـالوا ان الايـام الاربعة الـتي اتم الله فيها خلق الارض يـدخل فيها اليومان الاولان اللذان خلق الله فيهما الارض، مخـرج لطيف لا بـأس به)!!

ونعلم ان المفسـرين لم يحتـاروا فيهـا ابـدا. لانهم يـدركون ان خلـق السموات والارض تم في ستة أيام وان هذه مسألة مفـروغ منهـا ولا تحتاج الى اجتهاد.

ثم يتكلم عن الآية الـتي جـاء فيها: "وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَـدَعُوهَا مَـا كَتَبْنَاهَـا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَـاءَ رِضْـوَانِ اللَّهِ"(29)، ويقـول: (لا يمكن لاحد ينقب عن الآيـات المرتبكة في القـرآن ان يمر على الآية الاخـيرة بسـلام. فلا يعرف المرء هل الرهبانية من ابتداع النصـارى ام ان الله كتبها عليهم وامرهم بها؟ والغريب ان القرآن جمع النقيضـين واثبت المتعارضـين. فكيف يستقيم لها معنى؟ كيف ابتدعوها وكيف كتبها الله عليهم)!!

ان كـان من كلام يـدل- باوضح ما يكـون - على جهل هـذا الرجـل بالفقه، فهو كلامه هذا.

ألا يعرف الرجل قواعد واصول النُذر في الاسلام؟

والنُـذر في لغة بسـيطة وسـهلة هو ان تلـزم نفسك بطاعة معينة لم يلزمك الله بها، وذلك لسبب ما فتصبح تلك الطاعة مُلزِمة لك يسألك الله عنها. والنَذْر موجود وله شروح كثيرة في الفقه. فهل هـذا الرجل حقا لم يقرأ عن هذا الباب من ابواب الفقه؟!!

وعلى هـذا فـإن الآية واضـحة كشـمس رابعة النهـار الـتي لا يراها الأعمى وان كان يحس بحرارتها. الا الميت فهو الذي لا يشعر بها.

الله سبحانه وتعالى لم يلزم النصارى بالرهبنة. بل هم ألزموا انفسهم بها أمـام الله فـألزمهم الله بها. كالنـذر الـتي تنـذره من تلقـاء نفسك امام الله فأنت ملزم بها. فإن قلت: "لأصومنّ لله يوما ان نجحت في الامتحان"، فقد وجب عليك ان نجحت ان تصوم يوما والا أثمت.

ثم يتكلم عن كلمة "مسـبوقين" في هـذه الآيـات: "فَلَا أُقْسِـمُ بِـرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ * عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْـرًا مِّنْهُمْ وَمَـا نَحْنُ بِمَسْـبُوقِينَ"(30)، ويقـول: (لِمَ لمْ يقل "وما نحن بعـاجزين" او ليس ذلك اكثر فصاحة وبيانا يا اهل الفصاحة والبيان؟).

---

(29) الاية 27 سورة الحديد

(30) الايات 40 – 41 سورة المعارج

الامر لا يحتاج اهل الفصاحة والبيان ليعرفوه.
ليس "عـــاجزين" بأفصح او أبيْن من "مســـبوقين". بل الاخـــيرة أبلغ وأشمل. ذلك لأني حينما اقول "لست عاجزا عن فعل كذا" انما أعني أنـني لست عـاجزا عن الأتيـان بفعل او عمل عمله قبلي آخـرون. أما حينما يقـــول الله جل شـــأنه: "وما نحن بمســـبوقين" فإننا نفهم إنه، سبحانه تعالى، ليس عـاجزا عن الأتيـان بفعل او عمل لم يسـبقه إليه أحد.

التناقض سمة بارزة في القرآن

ثم يعـرج الى بـاب آخر اسـماه "التنـاقض سـمة بـارزة في القـرآن" ويبدأ هذا الباب بالآية: " شَهْرُ رَمَضَـانَ الَّذِي أُنـزِلَ فِيـهِ الْقُـرْآنُ هُـدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ"([31])

و يقـول في غبـاء لا مثيل له: (المعلـوم ان القـرآن نـزل منجما، اي متفرقا على دفعــات وفي آجــال مختلفة وليس جملة واحـــدة. فما معـنى نــزول القــرآن في رمضــان إذن؟، لا حل لهــذا التنــاقض الا بالاســطورة، فقد كــان القــرآن في اللــوح المحفــوظ ومن اللــوح المحفوظ نزل منجما الى السماء الدنيا، وهكذا حلت المشكلة)!!

ما هذا يا هذا؟ هل هو طعن لمجرد الطعن؟

ويقول "نـزل من اللـوح المحفـوظ منجما الى السـماء الـدنيا" واظنه خطأ في الطباعة او سهو من الكـاتب اذ ربما يقصد "نـزل من اللـوح المحفــوظ جملة الى الســماء الــدنيا" وربما يعــني ما جــاء في كتابه تماما، اي انه يعني ان القرآن نزل من اللـوح المحفـوظ الى السـماء الدنيا منجما ثم نزل من السماء الى الارض منجما ايضا!!

في كل حــال، سـؤاله هنا لا معـنى له أصلا. فـإن كـان القـرآن نـزل متفرقا الى الارض وهــذا هو الثــابت بالأدلة الشــرعية – وهو ايضا مقتنع بهذا اذ لا مناص له من ذلك – فهل يسـتحيل ان يقـال انه نـزل في شهر رمضان؟

لقد إختلف الفقهـاء في معـنى نـزول القـرآن في رمضـان وان الـذي يسميه بالاسطورة هي اجتهادات فقهية مقدّرة، أصاب المجتهـدون ام أخطـــأوا. وما يمكن ان أقوله وقـــد قاله بعض الفقهـــاء، هو انه من الممكن ان أول آية نــزلت من القــرآن على رســول الله صــلى الله عليه وسلم كانت في ليلة القدر من شهر رمضان، و بالتالي يجوز ان يقال ان القرآن نزل في رمضــان ويكـون مقصـودا به بداية نزوله ولا حرج في ذلك لغةً وعقلاً. كما انه يجوز ان يقال انه نزل جملة واحـدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا في رمضان ثم نزل منجما الى الارض حسب الحوادث.

ولا ادري اصلا مــاذا يريد الملحد من هــذا الكلام؟ أهو يريد بهــذا ان يثبت ان القرآن هو كتاب بشـري؟ هيهـات هيهـات. " وَبِـالْحَقِّ أَنزَلْنَـاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْـرَأَهُ

---

[31]) الاية 185 سورة البقرة

عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا * قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا"([32]) صدق الله العظيم.

ثم يتناول آيات اخرى يظن انها دليل تناقض القرآن وهي: "أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا"([33])

ويقول في هذا: (ان الآيات المتناقضة في القرآن تكون في العادة متباعدة متناثرة هنا وهناك تفصل بينها مسافات شاسعة الا في حالات قليلة نادرة كما في الآيتين السالفتين حيث جاءت الآية الثانية معارضة للأولى ولما يتلاش صداها في الاذن، اذ لم تكد الآية الاولى تقرر ان الخير والشر كليهما من الله حتى جاءت الآية الثانية التي تليها مباشرة لتقرر العكس، وهو ان الخير فقط من الله وان الشر من الانسان)!!

إن كنت تفهم آيات القرآن بهذه الطريقة المعوجّة فقد صدقتَ في كفرك بعد هذا العمر الطويل. نسأل الله العافية.

ان الآية الأولى في المنافقين وهي لا تتكلم عن الخير والشر كما فهم الرجل، وانما تتكلم عن القضاء والقدر وان كل شئ حدث كان بأمر الله و كل ما سيحدث، سيحدث بأمر الله. وفيه توبيخ للمنافقين الذين اتهموا الرسول - زورا وإفكا - بان ما يصيبهم من أذى هو من قِبَلِه. فأراد الله ان يلجم ألسنتهم. اما الآية الثانية فهي تتكلم عن افعال الانسان و ان من يزرع القمح سيحصد قمحا وان من يزرع الحسكنيت سيحصد شوكا، وان الحسنة من الله في ان يحفظ لك ما زرعت من خير حتى تبلغ حصاده. وان من تعب و اجتهد واعتنى بزرعه ثم توكل على الله فإن الله لا يضيع عمله، وان من نام عن زرعه متواكلا فلا يلومنّ الا عجزه وكسله.

([32]) الايات 105 – 109 سورة الاسراء
([33]) الايات 78 – 79 سورة النساء

ثم يأتي بالآيات: "سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ * قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ"([34])

يقول الرجل: (فهل قولهم "لو شاء الله ما اشركنا"، "ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء" ظن؟ بل تخرّص؟، ان كلامهم حق وسليم وموزون)!!!

عجباً يا سادتي!! الرجل يقول ان كلام المشركين حق وسليم وموزون!! إنهم قالوا "لو شاء الله ما اشركنا"، اي إنهم يؤمنون بقدرة الله على ان يهدي ويضل حتى ولو كان فهمهم ناقصا. والرجل يوافقهم الى ما ذهبوا إليه ويقول ان كلامهم حق. بمعنى انه أيضا مثل مشركي قريش يؤمن بان الهدى والضلال من الله.

فإن كان الامر كذلك وكنتم تؤمنون بقدرة الله فلم تتمسكون بشرككم؟ لو كنتم صادقين في ايمانكم بقدرة الله لآمنتم برسوله، لكنكم تخرصون. وهذا الكاتب هو مثلكم بل هو شرّ منكم. فهو ملحد لا يؤمن بالله ولا بأي إله ويذهب بنا في متاهاته العقلية ليقول إن مشركي قريش معهم حق. فهل آمن الرجل باللات والعُزى دون أن يبيّن لنا ذلك؟

أما قوله تعالى: "لو شاء لهداكم اجمعين" فلا تعني "لو اراد" فإن الله لا يريد الشر للناس. وانما تعني ان كنتم تستحقون الهداية لهداكم ولكن الله يعلم ما في قلوبكم من الكفر، والله يقول: " وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ"([35]) ولهذا قال سبحانه وتعالى وقوله الحق: " أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ"([36])

---

[34]) الايات 148 – 149 سورة الانعام (
[35]) الاية 23 سورة الانفال (
[36]) الاية 3 سورة الزمر (

ثم يتكلم عن الآيات التي يراها متناقضة بشأن اليهـود وهي: " يَـا بَنِي إِسْـــرَائِيلَ اذْكُـــرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّـــلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ"([37])

" وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُـلْ فَلِمَ يُعَـذِّبُكُم بِـذُنُوبِكُم ۖ بَـلْ أَنتُم بَشَـرٌ مِّمَّنْ خَلَـقَ ۚ يَغْفِـرُ لِمَن يَشَـاءُ وَيُعَـذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ"([38])

" قُلْ يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ هَـادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَـاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"([39])

وغيرها من الآيات ليدلل بها على تناقض القرآن بشأن اليهود. أي انـه يزعم ان القرآن يصفهم مرة بشعب الله المختار ويصفهم مرة اخرى بأنهم أناس كسائر البشر.

ولا أرى أي تناقض في هذا؟

ما المانع ان يكون اليهود شعب الله المختار في حقبة تاريخية معينة، أي حينما كـــانوا في معيّة النـــبي موسى عليه الســـلام. ثم بعد ذلك سـارعوا الى الكفر و قتلـوا الانبيـاء وارتكبـوا كل الفـواحش، ما ظهر منها وما بطن فغضب الله عليهم ولعنهم؟ هل هناك ما يمنع هذا؟

ثم يتكلم عن الخلود و يقسمه الى انواع ثلاثـة: خلـود مطلق الى غـير نهايـة، و خلـود مقيد بـدوام السـموات والأرض، وخلـود مقيد بمشـيئة الله. ويقول:

(في الخلود المطلق قال: "قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّـادِقِينَ صِـدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـارُ خَالِـدِينَ فِيهَـا أَبَـدًا ۚ رَّضِـيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُا"، لكن اعجب انواع الخلود هو الخلود المقيّد بدوام السموات والارض حيث لا سموات ولا ارض فقد طويتا بحلول يوم القيامة وذهبتا الى غير رجعة "يـوم نطـوي السـماء كطي السجل للكتب"، يليه الخلود المقيد بمشيئة الله وبهذه المشيئة لم يقيد الله نفسه بشـيء و إكـاد اقـول انه نسف فكـرة الخلـود من اساسها ونفض يده منها: " فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِـيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَـاءَ رَبُّكَ ۚ

---

[37]) الاية 47 سورة البقرة (

[38]) الاية 38 سورة الانعام (

[39]) الاية 6 سورة الجمعة (

إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ.).

يظن الرجل ان السموات والارض قد طويتا بلا رجعة وانه لا توجد في الآخرة سموات ولا ارض!! هل بعد هذا القول يحتاج احد الى دليل في ان هذا الملحد ما هو الا سيد من سادات الجهل؟

لا اريد ان اكتب في هذا فهو معلوم للجميع. حتى الاطفال يعرفون ان طي السماء كطي السجل للكتب مقصود به سماوات الدنيا و ان الله يعيد السموات والارض من جديد لكن بقوانين فيزيائية مختلفة. بقوانين طبيعة الآخرة وهي قوانين الدوام والاستقرار والابدية. وبالتالي فان الله سبحانه وتعالى حينما يقول: "خالدين فيها ما دامت السموات والارض" فان هذا يعني "خالدين فيها ابدا" لأن سموات الحياة الأخرى وارضها لن تزولا أبدا. و اما قوله سبحانه وتعالى: "الا ما شاء الله ان ربك فعال لما يريد" فان الله سبحانه وتعالى كامل الصفات وليس من صفته الكذب، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فهو سبحانه حينما يَعِد المؤمنين الذين يعملون الصالحات بان لهم الجنة "خالدين فيها ابدا" فذاك هو ما يعنيه تماما. وانه وان كانت له المشيئة اولا واخيرا وان كان فعالا لما يريد الا انه لن يفعل الا ما وعد به المؤمنين وما ألزم هو – سبحانه – نفسه به. فإنه سبحانه وتعالى يقول: "لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ * يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ * وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ"([40])

و عن الآية: " إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"([41])

يقول: (هل هذا صحيح؟ بل هل هذا معقول؟ ما هذا التعميم الغريب؟ ما هذا الحكم المطلق الذي لا يبرره منطق ولا تاريخ؟ ما حكم اولئك الذين آمنوا بآيات الله بعد ان لم يكونوا مؤمنين؟ من هداهم؟ الشيطان؟ هل خرجوا من بطون امهاتهم مؤمنين؟ اولا تتعارض هذه

---

[40]) الايات 28 – 34 سورة ق

[41]) الاية 104 سورة النحل

الاية مع ايات كثيرة اخـرى لا تحصى يمُن الله فيها على المؤمـنين ان هداهم للايمان)!
ما هذا؟ كيف فهم الرجل هذه الآية؟
لمـاذا لم يفهم الآية على وجه آخـر؟ ان الـذين لا يؤمنـون بآيـات الله وماتوا على ذلك لا يهديهم الله يـوم القيامـة الى الصـراط المسـتقيم الذي يؤدي الى الجنة. والنتيجة انهم في النار والعـذاب الاليم. فهـؤلاء هم الذين يموتون على الكفر وليس المقصود بهم الأحياء الذين يمكن ان يهتدوا ويؤمنوا.
ثم يتكلم بكلام لا معنى له عن الآيات التي تقول: " وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِـهِ ۖ وَنَحْشُـرُهُمْ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَـا خَبَتْ زِدْنَـاهُمْ سَـعِيرًا"([42]) و يحسـبه تناقضا مع قوله تعـالى: " وَقَـالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَـرَّأَ مِنْهُمْ كَمَـا تَبَـرَّءُوا مِنَّا ۗ كَـذَٰلِكَ يُـرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَـالَهُمْ حَسَـرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَـا هُم بِخَـارِجِينَ مِنَ النَّارِ"([43]) و يقـول في هذا:
(ليت شـــعري اين ما تنسب اليهم الآية من العمى والبكم والصـــم؟ انهم احدّ بصرا مـني ومنك واطلق لسـانا واشـدّ سـمعا. انهم رغم ما هم فيه من عذاب جهنم واهوال الجحيم قادرون على رؤية اهل الجنة وما هم فيه من النعيم، والطلب اليهم بلسان عربي مبين ان يفيضــوا عليهم من المـاء او مما رزقهم الله. "وَنَـادَىٰ أَصْـحَابُ النَّارِ أَصْـحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُـوا عَلَيْنَـا مِنَ الْمَـاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ قَـالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ" .... الى غير ذلك من الآيـات الـتي تـدل على اننا لسـنا بابصر او انطق او اســمع منهم، لقد رأيتم انهم بــاعتراف القــرآن يظلــون في جهنم بكامل حســهم ووعيهم ولم يفقــدوا منها شيئا. فاين دعوى العمى والبكم والصوم يا قوم)!!
حسنا، انه هنا لم يتسع فهمه ليعـرف الفـرق الشاسع بين الآية الاولى الـــتي تتكلم عن لحظة الحشر وهي الــــوقت من لحظة البعث الى الفراغ من الحساب. هذا هو الوقت الذي يحشر فيه المجرمـون عميا وبكما وصــما. ثم بعد ذلك يــدخلون جهنم وهــذا وقت آخر غــير وقت الحشر. حينما تغَلّق الابــواب، ابــواب الجنة على اهلها وابــواب النــار

[42]) الاية 97 سورة الاسراء
[43]) الاية 167 سورة البقرة

على اهلها. هذا هو الوقت، يكون فيه الكافر يرى ويسمع ما لا يسـرّه ابداً ويتكلم فلا يُسمَع له ابداً.

ثم يقـول: (صـدق او لا تصـدق، لقد اخـرج الله بـني اسـرائيل مصر واورثهم مصر وخيرات مصر و كنـوز مصر: " وَأَوْحَيْنَـا إِلَىٰ مُوسَـىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ * فَأَرْسَلَ فِرْعَـوْنُ فِي الْمَـدَائِنِ حَاشِـرِينَ .. فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَـذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَـا بَنِي إِسْـــــرَائِيلَ". لا تعليق. فــــاللا تعليق هنا ابلغ من التعليق. فقد اخرجهم الله من مصر فكيف اورثهم مصر)

ويقول "اللاتعليق ابلغ"!!

فما شأنك بالبلاغة وانت لا تفهم حتى المعاني المباشرة التي يفهمها عامة الناس دعك من اهل البلاغة والبيان الذين ما فـتئت تنـادي فيهم ليشهدوا خزيك وعارك.

هـذه الآية انما تتكلم عن فرعـون وكفـره هو وقومـه. فكيف إنحـرف فهمك الى ان عقاب الخروج من الجنات والمقـام الكـريم كـان لبـني اسرائيل وهم المؤمنون يومذاك؟!!

لقد أخـرج الله فرعـون وقومه من مقـامهم وقصـورهم وحـدائقهم و أغـرقهم في البحر. ولم تكن لليهـود يومهـا حـدائق ومقـام كـريم في مصر، بل كانوا مستعَبَدين، مضطَهَدين. وهذه القصة معروفة لدى كل النــاس. اما ســؤالك عن كيف اخــرج الله بــني اســرائيل من مصر واورثهم مصر فهو سـؤال غـبي ينمُّ عن فهم كسـيح لمعـنى الآية. من قــال لك ان الآية تعــني ان الله اورث مصر لبــني اســرائيل؟ ان كل آيات الكتاب المبين تؤكد ان موسى عليه السلام خرج ببني اســرائيل من مصر. وفي التفاسير انه خرج بهم جهة فلسـطين. وهنـاك اورثهم الله ارض فلســطين بما فيها من مــزارع و بســاتين وغيرها. أي ان التـوريث مقصـود به الجنـات والعيـون والمقـام الكـريم وليس مصر. لكأن الجنات والعيون والمقام الكريم لا توجد الا في مصر!!

ويقـول ان الآية الكريمة: " إِنَّا أَرْسَـلْنَاكَ بِـالْحَقِّ بَشِـيرًا وَنَـذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ"([44]) تعارض الآية الكريمة: " وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَـا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا"([45])

([44]) الاية 24 سورة فاطر

([45]) الاية 51 سورة الفرقان

ويقول: (فالامة والقرية والمدينة لها معـنى واحد تقريبا في القـرآن). فأقول له كذبت، فإن كلمة "أمة" لها معان متعددة في القرآن، منهـا جمع من الناس ومنها جمع من القرى. والمـراد في الآية الثانية ان لو شـاء الله لأرسل في كل قرية من القـرى رسـولا بـدلا من ان يرسل لهم مجتمعين رسولا واحدا. ثم مما يفهم من الآية: ان الله لو اراد ان يرسل في كل قرية من قرى العـرب رسـولا لمـا اعجـزه ذلـك. لكنـه ارسل في قريش وهم ام القرى.

ثم يتكلم عن يونس عليه السلام وقصة نبذه من بطن الحوت فيقول: (هل قذفه الله بـالعراء "بالسـاحل" ام لم يقذفـه؟ للقـرآن في هـذه المسألة قولان متعارضان، احدهما يثبت والآخر ينفي)

ويأتي بهذه الآيات: " فَلَوْلَا أَنَّهُ كَـانَ مِنَ الْمُسَـبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِـهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ"([46])

ثم يأتي بهذه الآية: " لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَـةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِـذَ بِـالْعَرَاءِ وَهُـوَ مَذْمُومٌ"([47])

ويظن ان الآية الثانية تنفي النبذ بالعراء!!

لعمري ان هذا لهو اثارة المعارك في غير معترك!!

الآية الثانية كما تعلمـون يا سـادتي تنفي النبذ مع الـذم. وصـدق الله فإنه لم ينبذ نبيه مـذموما، لكنه تداركه بنعمته فنبـذه مغفـورا له مع الاجتباء فأعاده الى قومه رسولا فآمنوا به اجمعين.

وبعد تلك الهرطقة يسـوقنا الى هرطقة اخـرى من هرطقاته الـتي لا تنتهي فيتعرض لهذه الآية عن سيدنا موسى عليه السلام: " قَـالَ رَبِّ اشْـرَحْ لِي صَـدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْـرِي * وَاحْلُـلْ عُقْـدَةً مِّن لِّسَـانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي *... قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ"([48])

و يسـأل: (هل اسـتجاب الله له دعـاءه حقا ام ان الامر فيه ما فيـه؟ الظاهر انه سـبحانه قد فعل قبل ان يفـرغ موسى من دعائه، اذ قـال له في الحـال وبلا اي تـاخير: "قد أوتيت سـؤلك يا موسى" ... لكن هذه الآية تعارضـها آية اخـرى تفيد ان موسى رغم اسـتجابة طلبه قد ظل يعـاني صـعوبة في النطق تمنعه من الإبانة والـدليل ان فرعـون

---

[46]) الايات 143 – 146 سورة الصافات

[47]) الاية 49 سورة القلم

[48]) الايات 26 – 36 سورة طه

كان يجد عسرا في فهم اقواله، "ام انا خير من هذا الـذي هو مهين و لا يكاد يبين" ... فهل أوتي موسى سؤله حقا ام لم يؤته؟)!!
سؤال لا معنى له ايضا ككل اسئلته.
لا شك ان الله سـبحانه وتعـالى قد اسـتجاب لموسى عليه السـلام واعطاه كل ما سأل، ولو كان الرجل منصفا كالعلماء لكان سؤاله هو "باي طريقة اسـتجاب الله لـدعاء نبيه". ولو سـأل السـؤال بالطريقة الصحيحة لوجد اجابتها دون عناء ولما احتاج منه الامر كل هـذا الهيـاج والصراخ.
ظن الملحد ان الله سـبحانه وتعـالى يجب عليه ان يطلق لسـان موسى و يجعله ينطلق في الكلام بينما اراد الله ان يستجيب بطريقة إخرى. وهي الطريقة الـتى سـألها موسى بنفسه منذ البـدء " وَاجْعَـل لِّي وَزِيـرًا مِّنْ أَهْلِي * هَـارُونَ أَخِي * اشْـدُدْ بِـهِ أَزْرِي * وَأَشْـرِكْهُ فِي أَمْـرِي" وهـذه هي بـاقي طلبـات موسى الـتي اخفاها الملحد ليلعب بعقولنا. فاسـتجاب الله لنبيه في الحـال وجعل معه هـارون عليه السلام لانه كـان فصـيحا طليق اللسـان. وهكـذا حلت مشـكلة عقـدة اللسـان. ولعـل طلب موسـى اوضـح مـا يكـون في الايـة الكريمـة: " وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَـدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ * قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيـكَ وَنَجْعَـلُ لَكُمَـا سُـلْطَانًا فَلَا يَصِـلُونَ إِلَيْكُمَـا ۚ بِآيَاتِنَـا أَنتُمَـا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَـا الْغَـالِبُونَ"([49]) لكن عميت عنها عينا الملحد.
واخيرا يأتي الرجل الى ما أسماه بالتناقض الاكبر ويقول في هذا قولا مضحكا: (ولا يمكنني ان اختم حـديثي عن تناقضـات القـرآن من غـير ان آتي على تنـاقض لعل افضل تسـمية له هي "التنـاقض الاكـبر" او "سيد التناقضات" بل "تناقض التناقضـات" والغـريب ان القـرآن يتخذ من هذا التناقض شـاهدا وحجة على قـدرة الله تعـالى قـدرة مطلقة. فعلى حين يقـول: " سُـنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَـوْا مِن قَبْـلُ ۖ وَلَن تَجِـدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا"، " فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُـنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا"، هـذه الايـات فيها تناقضـان، عادي كثير الوقوع، وتناقض اخر اسـميناه "تنـاقض التناقضـات"، فأما التناقض العادي فهو ان هذه الايات قد جاءت في معرض الحديث عن الاولين وكيف انزل الله العذاب بالمخالفين منهم. فاذا كانت سنة الله

---

[49]) الايات 34 – 35 سورة القصص

في الاولين الانتقام منهم في الحال، او على الاقل، انزال العذاب بهم في الحيـاة الـدنيا، فلِمَ لمْ يحـدث ذلك الا في الماضي الـذي لا يمكن التحقق منه، بينما المخـالفون الـذين جـاءوا من بعـدهم، اي الـذين عاشوا تحت اضواء التاريخ، و على الخصوص في هذه الايام، يعيشون بمنـأى من العـذاب، بل يرفلـون هـانئين في ابهى حلل السـعادة والنعيم؟، فاذا كان الله في القـرآن يعـني ما يقـول فلِمَ اوقف العمل بهـذه السُـنّة في العصـور التاريخية مكتفيا بالوعيد اللفظي الـذي لا يعني شـيئا على الارض؟ .... قد يقـال: الا تـرى ما يـنزل بالمخـالفين اليوم من امراض مستعصية وازمات خانقة ومصائب لا قبل لهم بهـا؟ نعم انا ارى ذلك ولكنه لا يـــنزل بجميع المخـــالفين، بل بقلة منهم، ليست شيئا مذكورا في جمهور المخالفين الاخـرين، ثانيا ان ما يـنزل بالمخـالفين لتعـاليم الله لا يـنزل بهم وحـدهم بل يـنزل بلا تفرقة بين من يطيع الله ورسوله ومن يخالف امرهما، واذا فلا شأن لرضـىَ الله وسخطه فيما ينزل سواء بالمخالفين او المطيعين الملتزمين باوامره ونواهيه)!!

انتهى الرجل مما يسميه التناقض العادي!!

اولا قوله ان الانتقام الرباني كـان في الماضي الـذي لا يمكن التحقق منـه، هو قـول مـردود عليه بـان التحقق من ذلك اصـبح متاحا بفضل علوم التاريخ و الاثار. وقد اكتشـفت قرية كاملة مدفونة تحت الرمـاد قد اخـذهم العـذاب ضُـحىً وهم يلعبـون، تماما كما جـاء في القـرآن الكريم. فقد وجدت اجساد الناس المجمدة بفعل الرمـاد والنـاس اما يجلســون حــول المائــدة او يســيرون في الشــوارع بل وبعضــهم يمارسون الفواحش. كل هذا تم اثباته وتصويره ونشره.

ثانيا كم نفسا اهلكها الله في عصرنا الحالي في تسـونامي؟ كم نفسا يهلكها الله في الـزلازل و الكـوارث الطبيعيـة؟ وكم نفسا اهلكها الله في الحـرب العالمية الاولى والثانية والحـروب الـتي تلت ذلـك؟ وكم نفسا تهلكها الامراض والاوبئة؟

لا شك ان إنتقام الله من المستكبرين مسـتمر ولم يتبـدل شـيء كما يتوهم الرجل.

اما زعمه ان الله يهدد فقط بالالفاظ هو ايضا مردود عليه بما سـقناه آنفا من استمرار انتقام الله من الظالمين. واذ ظن الرجل ان الله لم

ينتقم من مشركي قريش الا بالكلام فنقول له: أسـأل بـدرا والقليب، فكم من طاغية مستبد أخذهم الله في سويعات!!
اما قوله ان انتقام الله لا يفرق بين المؤمنين و الكفار فنقـول له: ان الله ينجي من يشاء و يهلك من يشاء. إنما يموتـون جميعـا ويبعث كل على نيته. و المؤمن لا يضـيره شـيء ان مـات مع الكفـار في قارعـة حلت بهم طالما انه سـيبعث مؤمنا وسـيدخل الجنة. وفـوق هـذا فـان المؤمن ليس بخالدٍ على الارض ومن لم يمت بالسيف مات بغيره.
ثم بعد هذا يتكلم عما اسماه ب"تناقض التناقضات" و يقـول ان قصة عدم إحتراق سيدنا ابراهيم عليه السـلام حينما ألقـاه المشـركون في النار، وقصة إحياء سيدنا عيسى عليه السلام للمـوتى، هما مخالفتـان لسنّة الله في ان كل ما ألقي في النار يجب ان يحـترق و إن كل من مـات لا يبعث في الـدنيا، ويقـول ان الله قـال: "ولن تجد لسـنة الله تبـــديلا" و رغم ذلك جـــرى ما جـــرى مع ابـــراهيم وعيسى عليهما السلام!!
هل هذا هو ما اسـماه "التنـاقض الكبـير" و "تنـاقض التناقضـات" في القرآن الكريم؟!!
صدق من قال: "تمخض الجبل فولد فأرا".
تـــرى لمـــاذا اختـــار هـــاتين المعجـــزتين دون غيرهما من المعجـــزات الكثيرة؟ لمـاذا لم يتكلم عن المائـدة الـتي نـزلت من السـماء و عن المنّ والسلوى وعن بقرة بني اسرائيل وغيرها؟
إن افتراءات الرجل على آيات الله لا تنتهي!!
ان كـان هنـاك تنـاقض يـراه العقل حقا فهو مناهضة الرجل لنفسه و كيف انه يهدّ بيديه بنيانه الذي بناه.
هـو الـذي يتحسـر على خلـو الاسـلام من المعجـزات ههنـا يسـتنكر المعجزات التي حدثت مـع الأنبيـاء السـابقين. مـاذا أقـول لكم؟ فقـد والله بيّن الرجل بكتابه هذا حمق وجهل وغباء الملحدين!!
ولست مفتئتـاً عليهم بكلامي هـذا. فقـد بلغنـا إنهم – أي الملحـدين – عـدّوا هـذا الكتـاب زينـة كتبهم. بـل وأتخـذوه دينـاً لهم يهـديهم الى ظلمات بعضها فوق بعض إن شاء الله.

القرآن والعلم

ثم جـاء الرجل الى بـاب آخر من أبـواب الهرطقة اسـماه "القـرآن والعلم" فلندخل من هذا الباب لنرى ما يقول:

في البـدء يقـول: (فصـورة الكـون في القـرآن هي صـورة من علم الفلك الاسـطوري القـديم كـانت شـائعة في عصـور احتضـار العلم اليونـاني والفلسـفة الاغريقية ممتزجة باطيـاف شـرقية واخيلة دينية زاهية. فالارض هي مركز العالم وقاعدته الثابتة تعلوها سـبع سـموات طبقات بعضها فـوق بعض محمولة على اعمـدة لا تراها العين. وليس لدى القرآن على ما يبدو اي فكرة عن عالم لا نهائي ملئ بـالمجرات والسدم والثقوب السوداء والغبار الكوني. فعالم القـرآن عـالم مقفل موحش محدود تضيئه الشمس في النهار والقمر والكـواكب والنجـوم – المصابيح المعلقة التي تزين السماء الدنيا – بالليل.)

انت فهمت عالم القـرآن هكـذا!! حيث الارض هي مركز العـالم!! أنـا لم نفهم عالم القرآن كما فهمته انت. وسأوضح ما فهمته عن الكـون من آيات القرآن الكريم.

الكون في القرآن مفتوح بأكثر مما يتخيل عقل الملحد الضيق وبـاكثر مما وصل اليه علم الانسان اليوم.

اذا كـان الانسـان يسـأل ويبحث عن الحيـاة في الكـواكب الاخـرى القريبة منها والبعيدة، فإن القرآن قال بوجود الحيـاة في أبعد من كل كوكب يمكن ان نتخيل او لا نتخيل وجـوده!! لقد قـال القـرآن بوجـود حياة في السموات نفسها وهذا أبعد كثـيرا مما وصـل إليه علم البشر الآن.

ثم تكلم عن خلق الانسان من طين والجان من نار والملائكة من نـور ولم يوضح ما هي مشـكلته او مشـكلة العلم في هـذه المسـألة. ربما لم يجد ما يقوله في هـذا الشـأن. لكنـني اضـيف واقـول له ان خلق الانسان من طين ثابت بالعلم ذلك ان الانسـان حينما يمـوت يتحلل و

يصبح ترابا، اي يعود الى اصله. وكذا كل حيّ خُلِق من تراب يعود ترابا.
ومعرفة ان الانسان اصله تراب يجعلنا نصدق ان الجان من نار ولا مشكلة هنا.
ثم يرمينا بهراءً آخر ويقول: (ويظهر انه يعقد من وقت لاخر مجلس إلهي في موضع ما على احد تخوم الارض، لعله فلك القمر، يحضره سيدنا جبريل عليه السلام وعلى الخصوص سيدنا عزرائيل وبعض الملائكة المختصين بشؤون العالم الاسفل للتداول في احوال الناس وارزاقهم وعباداتهم ومدى التزانهم بامور دينهم، ومن سيخلق هذا العام ومن سيموت ومن سيدخل الجنة و من حق عليه العذاب. ويظهر ان الرقابة لم تكن مشددة في هذه المجالس. فكان من الممكن الافلات من الحرس وحضور الجلسات. فيتسلل الشياطين الى هذه الاجتماعات لمعرفة ما يجري فيها وابلاغ اهل الارض بذلك. ويبدو انهم يستطيعون سرقة بعض الاخبار وهذا ما يسميه القرآن "الخطفة")!!
هذا ما فهمه الرجل من الآيات التي تقول: " نَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ * لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ"([50])
والآيات: " وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ * إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ"([51])
ويقول: (فليس في هاتين الآيتين اي فكرة عن الشهب بمعناها العلمي، انها شواظ من نار يراد به دحر الشياطين ورجمهم ومطاردتهم لا احراقهم، لان الشياطين لا يتاثرون بالنار، اذ هم من نار)!!!
يحار المرء حقا في وصف عقل هذا الملحد!!!
لقد حبك قصة من خياله عن مجالس تعقد في السماء و عن شياطين يحضرون هذه المجالس خلسة و عن وعن ... قصة لم ينزل

---

[50]) الايات 6 – 10 سورة الصافات (
[51]) الايات 16 – 18 سورة الحجر (

الله بها من سلطان وذلك فهمه للملأ الاعلى وحقا ان كان اللاتعليق ابلغ من التعليق يوما فهو هنا!!
ولم يوضح لنا ما هو المانع العلمي في ان يكون للسماء حرس. اما قوله عن المعنى العلمي للشهب فأرى ان الرجل خانه عقله هنا و لم يكن من الصواب ان يحشر نفسه فيما لا علم له به. فالشهب في أدقّ معناها العلمي هي "شواظ من نار" كما قال القرآن.
اما قوله، ان النار لا تحرق الشياطين لأنها مخلوقة من نار، فلو كان الرجل جادا في زعمه هذا فليقف بشجاعة امام حجر من صلصال لنرى ان كان لا يقتله وهو المخلوق من الصلصال.
ثم يعرج الى فعل قوم لوط عليه السلام ويقول: (ان الشذوذ الجنسي صورة من صور الاشباع الجنسي القديم قدم الانسان)ٍ وهو يعني ان الآية الكريمة التي تقول: " وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ" غير صحيحة. و اسأله من اين عرف هو ان هذه الفاحشة ارتكبها انسان ما قبل لوط؟
الرجل هنا يفتري على التاريخ و على علم التاريخ وعلى عقولنا و يقرر هكذا بدون اي دليل ان هذه الفاحشة قديم قدم الانسان!!
ما معنى قدم الانسان؟ ان هو الا هراء لا معنى له. واذا كنا جميعا نعلم ان اللواط هو شذوذ، فما معنى كلمة شذوذ في اللغة؟ انها في ابسط معانيها ضد ما هو شائع ومعروف. فلو كان اللواط قديما قدم الانسان ولو كان فعلا شائعا لما أسميناه شذوذا. هذا بالمنطق والعقل الذي يريد الملحد ان يغيّبهما جهلاً او لغرض في نفسه.
ثم يقول ان هناك خطأ علمي وقع فيه القرآن في الآية الكريمة: " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"([52])
وفي هذا يقول: (في هذه الآية مغالطة كبيرة مغطاة بغلالة رقيقة جدا لا تراها العين الباصرة الا بصعوبة بالغة جدا، هذا اذا تمكنت من رؤيتها حقا، وهي التوحيد البدائي الساذج بين الموت المجازي والموت الحقيقي .... فالارض الهامدة ميتة لكن بمعنى مجازي واما موت الانسان عندما يتوقف قلبه ودماغه فهو موت حقيقي ... ترى كيف يشبّه الله في القرآن هذا بذاك ويصدر عليهما حكما واحدا؟)

[52]) الاية 39 سورة فصلت

قبل كل شيء: كيف تكون المغالطة كبيرة ولا تراها العين الباصرة؟! فلو كانت المغالطة كبيرة حقا لما حجبها عن العين الباصرة غلالة من الصوف والـوبر دعك من غلالة رقيقة، وانما الحقيقة، لا توجد مغالطة الا في خيال الملحد.

ان الله لم يجعل الموت المجازي والمـوت الحقيقي شـيئا واحـدا كما يقــول الأفّــاك. بل هو مجــرد تشــبيه لتقــريب صــورة البعث للعقل البشــري. وهو تشــبيه معــروف مثله في اللغة العربية ولا يحتم هــذا التشــبيه التماثل الكامل بين المشَــبّه والمشــبّه به. من الــذي يغالط الآن؟ الآية الكريمة أم الأفّـــاك الأثيم الـــذي لم يلحظ ان هـــذه الآية الكريمة بالـذات بـدأت ب: "إنك تـرى الارض خاشـعة" ولم تقل "انك تـرى الارض ميتة". فلو كـان في الرجل بقية من عقل – بعد ان ذهب الغضب بجل عقله لأن المـــولى عز وجل لم يـــنزّل عليه نقـــودا من السـماء ليسـدد ديونه – اقـول: لو كـان فيه بقية من عقل لجـاء بآية تنص صـراحة على كلمة "ميتة" وهي موجـودة بين دفـتي المصـحف ولكنه عُمِيَ عنها وجاء بالآية التي تنص على ان موت الارض مجـازي. "تـرى الارض خاشـعة" والخشـوع لا يعـني المـوت. اذا يا سـادتي ان القرآن نفسه نص في هذه الآية على ان الارض خاشعة وليست ميتـة كما ان هناك آية تقول: " وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَـا عَلَيْهَـا الْمَـاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ"[53] والهمود ايضا غير المـوت. وهذا يعني ان الله سـبحانه وتعـالى لا يسـاوي بين الموتـتين وانما هو مجــرد تشــبيه لغــوي بلاغي لا علاقة له بــالفكرة الحقيقيــة اوالعلمية للموت. هـذا ونعلم جميعـا إننـا في الكلام الشـائع نطلـق على الارض البور احيانا اسم الارض الميتة، فالتشبيه هنا ليس ابتداعا.

ثم يقـول سـاخرا: (طـوبى لك ايتها الارض، يا قـرار العـالم ومركـزه وقاعدته. ان همـــوم الله كلها محصـــورة فيك، وحســـابات الكـــون ومـــواقيت الزمـــان مبنية عليك!! فلا زمـــان الا زمانك. ولا مكـــان الا مكانك. ولا قرار الا قرارك. فالشهور شهورك والاعوام اعوامك .....) ما كل هذا العويل؟؟؟

[53]) الاية 5 سورة الحج

لأن الرجل لم يعجبه قول الله سبحانه وتعالى: " إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ "[54]

في الحقيقة هو كعادته منذ ان دخل في هذا الباب الذي اسماه "القرآن والعلم" لم يستطع ان يبيّن لنا بطريقة علمية واحدة اي اختلاف بين أي آية قرآنية وبين شيء من العلوم. رغم ان العلوم نفسها غير منتهية و نظرياتها غير مسلّم بها. وهو لم يبيّن لنا ما هو الخلاف بين هذه الآية وبين العلم.

ان عدة الشهور اثنا عشر شهر في القرآن وفي العلم ولا خلاف بينهما.

لكن، استطيع من خلال مجادلاتي مع الملاحدة ان افهم ان الرجل ربما يريد ان يقول: ان عدة الشهور في كواكب كثيرة ليست اثنا عشر شهرا وان القرآن أخطأ في هذه المسألة حينما عمم الامر على كل الكون. هكذا يقول بعض الملحدين. واقول لهم ان هذه الآية لم تتطرق ابدا للشهور في كل الكون وانما تكلم عن شهور الارض فقط و حتى في الشهور الارضية نفسها تطرق للشهور القمرية فحسب.

و القرآن تكلم في مكان آخر عن ان الشمس ايضا تحسب بها الشهور: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"[55].

هذا ويبيّن القرآن صراحة وجود ايام وشهور وسنين اخرى في الكون، اذ يقول الله تعالى: "وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ"[56]
ويقول في آية أخرى: "تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ"([57]). اذا لا مجال هنا للصراخ والعويل والقول بان الارض هي مركز العالم. فالآية الاخيرة تدل على ان الارض لا يساوي كثيرا في الكون الواسع.

ثم يقرأ الرجل هذه الآية: "اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي

([54]) الاية 36 سورة التوبة
([55]) الاية 5 سورة يونس
([56])الآية 47 سورة الحج
([57]) الاية 4 سورة المعارج

لِأَجَـلٍ مُّسَـمًّى ۚ يُـدَبِّرُ الْأَمْـرَ يُفَصِّـلُ الْآيَـاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَـاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ"[58]
ويقول: (اتى علي عهد كنت اظن – انا وكثيرون غيري – ان السماء هي سقف العالم الارضي وفوق هذا السقف ستة اسقف اخرى طبقات بعضها فوق بعض ... لقد كان هذا التصور الاسطوري للسماء احدى المسلمات الدينية التي يوحي بها القرآن والاحاديث واقوال السلف. وبعد اطلاعي على علم الفلك الحديث في مجلة "المقتطف" اولا وبعض الكتب النادرة في هذا العالم المنتشرة في بعض المكتبات انذاك، لم اجد اي أثر للتصور الطبقي للسماء وكذلك فعل كثيرون غيري. وهكذا انحسرت الاسطورة السابقة واختفت من الدوائر العلمية. الا الدوائر الدينية من اسلامية ومسيحية وغيرهما)
ان هذا الرجل غير موفق دائما!!!
فهو لم يكن موفقا في حياته الخاصة وحاصرته الديون من كل مكان.
ولم يكن موفقا حين اجتهد الليالي الطويلة يدعو الله ان يسدد عنه ديونه فلم يستجب له.
وهو غير موفق هنا في اختيار الآيات كما رأينا سابقا.
وهنا ايضا اعماه الله فترك آية واضحة وصريحة تبين ان السماء سقف " وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ"[59] و يختار آية لم تتكلم عن السقف مباشرة "رفع السموات بغير عمد ترونها"
ثم يفتري علينا فرية من خياله ليقول ان العلم اثبت ان السموات ليست سقفا. لا بل هو يريد ان يقول: لا توجد سموات اصلا.
العلم الذي قرأه في مجلة واحدة، وفي بعض الكتب النادرة "المنتشرة في العالم"، كيف تكون نادرة ومنتشرة في العالم في نفس الوقت؟!!
اذا كان الفلكيون لم يستطيعوا ان يذهبوا لابعد من القمر. ولم يستطيعوا ان يصلوا لاقرب الكواكب الى الارض حتى اليوم فكيف لهم ان يعرفوا ما يجري بعيدا في هذا الكون؟
الكون واسع جدا. وكل يوم يكتشف العلم أنجما وكواكب بعيدة و لا اشك في ان كل هذا الذي علمناه لا يساوي نقطة في الكون الواسع.

---

[58]) الاية 2 سورة الرعد
[59]) الاية 32 سورة الانبياء

فاذا كانت السموات محيطة بكل هذا، فهـذا يعـني ان العلم البشـري لن يستطيع ان يتكلم عن السماء في الاجل القريب. هذا اذا اسـتطاع اصلا. وصــدق الله العظيم الــذي يقــول: " وَمَــا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً"، و ستبقى هذه الآية هكذا تقرأ الى ان يرفع الله المصـحف من دنس الملحــدين في آخر الزمـــان. فعن اي علم تتكلمـــون يا اجهل الناس.

ومن الاشياء التي يعجب لها الملحدون عامة ذلك المخلـوق المسـمى ب"البراق". فهم يرون انه مخلوق اسطوري.

هل وجـود مخلـوق كـالبراق اسـطوري اكـثر من قلب الانسـان الـذي ينبض مائة سنة دون ان يتوقف لحظة؟!

إن الذي خلق الانسان وكل هذا الكون الرائع أيعجزه ان يخلق البراق وغير البراق؟؟

اما قصة المعراج وما ادراك ما المعراج. فإن الملاحدة يجعلونها سـببا رئيسـيا لكفـرهم لأنها حسب زعمهم قصة لا تتوافق مع العقل!! وكما قلت سابقا في قصة الاسراء وعقل ابوجهل يومذاك أقول هنـا: دعـوا الامور التي لا تفهمونها حتى يأتي القوم الذين سيفكون طلاسـمها. لو فكر ابوجهل في ذاك اليوم عن الاسراء كما فكر فيه ابوبكر الصــديق لما كـــان من الهـــالكين. لكنه اراد ان يفهم كل القـــرآن ونسي ان القرآن فيه شيء لكل زمـان. شـيء لنا و شـيء لمن سـيأتون بعـدنا. لأنه كتـاب الله الاخـير الى اهل الارض حـتى يـوم القيامة. وليس من المعقـول ان يكـون كتابا جامـدا كالرياضـيات. اذ لابد ان يكـون لكل سـكان عصر من العصـور في القـرآن اجابة لاحتياجـاتهم. وليس من الضروري ان يفهم كل سكان عصر واحد كل ما ورد في القرآن.

اقول هذا رغم ان قصة المعراج لم ترد في القرآن، بل حتى الرسول صلى الله عليه وسـلم حينما سـأله ابوجهل عن الجديد في يومه ذاك لم يـأت بـذكر المعـراج وانما قـال: "أُسـرِيَ بي الليلة". و رغم هـذا فإنني أؤمن بـان الله قـادر على ان يعـرج برسـوله الى السـماء. الله الـذي خلق الكـون قـادر على ان يفعل ما يريد ولا يعجـزه شـيء في السموات ولا في الارض.

اما الكلام الكثير الذي سـاقه هـذا الملحد عن تصـور القـرآن للسـماء وانها طبقـــات وانها مبنية و انها تـــنزع كجلد الشـــاة "واذا الســـماء كشطت" و انها زينت بمصابيح وغير ذلك مسـتغربا منها و ظنا منه ان

كل ذلك يخـالف العلم، فـأقول له ان العلم الى يومنا هـذا لا يعـرف شـيئا عن السـماء وليست هنـاك اي نظرية علمية تتكلم عن السـماء حـتى تكـون مطابقة او مخالفة لما ورد في القـرآن. بل القـرآن هو الكتـاب الوحيد الـذي يتكلم عن السـماء. وعليه فـإن كل كلام الرجل وكلام الملاحدة في هذا الشأن هو هراء يريدون بـه جـدالا. وقوله عن الصـورة الحديثة الـتي تقـدمها لنا المراصد الفلكية عن السـماء فهو قول لا معنى له لأن المراصد الفلكية لم تقـدم لنا شـيئا عن السـماء. بل وحتى ما قدمته لنا المراصد الفلكية عن الفضاء، وهو غير السـماء - اذ يخلط الملحدون بين الفضاء والسماء كالاطفال – اقـول: ان كـل مـا قدمته المراصد الفلكية،الـتي يظنها الملحـدون حديثة، لا تسـاوي شيئا يذكر عن حقيقة الكون. وكما قلت سابقا، اذا كان الانسان يعجز حتى اليوم عن معرفة اقرب الكواكب الى الارض فكيف له ان يعرف شـيئا عن الكـواكب البعيـدة؟ و اذا كـان الانسـان ليس في فكـره ان يقترب من اقرب النجـوم الى الارض، وهي الشـمس، فكيف بـالانجم البعيدة الضخمة وغير الضخمة؟

ان من يتكلم عن علومنا الـتي وصـلنا اليها اليـوم على انها فتوحـات فهو لا شك صـغير العقل، واهم. لأن القـرآن علّمنا ان الكـون أوسع كثيرا مما قد يتخيله انسان. هذا هو ما فهمناه عن الكـون من القـرآن الذي يسبق علم الانسان بمراحل و يقول دائما وابدا: "وما اوتيتم من العلم الا قليلا"

لنـدع بـاقي كلامه عن السـماء لانه، كله، هـراء ولنـذهب الى القصة التالية التي تكلم عنها وهي قصة ذي القرنين في سورة الكهف.

يبـدأ الرجل بالآية الكريمة: " حَتَّىٰ إِذَا بَلَـغَ مَغْـرِبَ الشَّـمْسِ وَجَـدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ"([60])

ويقـول عنها: (لا نـزال هنا نـدور في علم الفلك الاسـطوري الضـيق القـديم الـذي لا يصـعب على السـائح فيه ان يبلغ مغـرب الشـمس ومشـرقها. فهي تغـرب في عين ذات حمـأة وهي الطين الاسـود. ثم تغيب في علم الله حـتى تطلع من المشـرق في الطـرف الآخر من الارض. لقد بلغ ذوالقـرنين المشـرق والمغـرب كأنما يوجد حقا نقطة ثابتة في الكون هي المغرب وأخرى هي المشرق).

يا سادتي لنقف قليلا هنا.

([60]) الاية 86 سورة الكهف

نقف لنوضح امـرا مُهمّا يكـاد يغيب عن بـال كثـير من النـاس، سـواء كانوا مؤمنين او ملحدين.

هل كـل الأقـوال الـواردة في القـرآن هي أقـوال اللـه؟ ألا يشـتمل القرآن على كلام الغير و فهم الغير وتصور الغير سواء كان هذا الغير إنسا او جنّا او حيوانا او مخلوقا غير هولاء؟

بـل الله سـبحانه وتعـالى ينقل لنا في آيـات كثـيرة اقـوال وتصـورات الآخرين:

" قَـالَتْ إِنَّ الْمُلُـوكَ إِذَا دَخَلُـوا قَرْيَـةً أَفْسَـدُوهَا وَجَعَلُـوا أَعِـزَّةَ أَهْلِهَـا أَذِلَّةً"([61]).

هل هذا كلام الله؟

لا. هـــذا ليس بكلام الله. هـــذا كلام قالته الملكة بلقيس الى قومها ونقله القرآن إلينا.

" قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ"([62]).

هل هذا كلام الله؟

لا. هذا كلام شاهد من اهل زوجة عزيز مصر او هو العزيز نفسه.

القرآن يا سادتي بنقل لنا كثيرا من أقوال وظنون وتهيؤات الناس من الانبياء والرسل والمؤمنين والمنافقين والمشـركين والكفـار وغـيرهم من المخلوقات.

فـإذا جئنا الى الآية السـابقة: " حَتَّىٰ إِذَا بَلَـغَ مَغْـرِبَ الشَّـمْسِ وَجَـدَهَا تَغْـرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ" سـنرى ان الضـمير في وجـدها تعـود الى ذي القـــرنين. وكلمة "وجد" في اللغة العربية لها معـــان متعـــددة ومن معانيها "رأى".

أي ان ذا القـــرنين رأى الشـــمس تغـــرب في عين حَمِئة. وبما اننا متفقـون على ان ذا القـرنين هو إنسـان فانه يَصـدُقُ عليه ما يصـدق على كل النـاس. فـاذا وقف اي انسـان سـليم العقـل والعيـنين على ساحل البحر عند الغروب فإنه سيرى الشـمس تهبط داخل البحر من الطـرف الآخر. هـذا بالضـبط ما رآه ذوالقـرنين بصـرف النظر عن حقيقة الشـمس والارض وكرويتهما وغـير ذلك. فـالقرآن ينقل لنا ما رآه ذوالقرنين تماما. بمعنى ان القـرآن هنا لا يتكلم عن شـيء كـونّي وانما يتكلم عن قصة رجل. ويحكي لنا افعاله واقواله وما سـمعه وما

---

[61]) الاية 34 سورة النمل

[62]) الاية 28 سورة يوسف

رآه. فهل كـــان من المعقـــول والمقبـــول ان يـــترك القـــرآن القصة الاساسـية ثم يتكلم عن كروية الارض ودورانها حـول الشـمس وغـير ذلك من الكلام الذي لا فائدة منه هنا؟

اما السـؤال عن: هل يوجد مشـرق شـمس ومغـرب شـمس على الارض؟

اقـول نعم يوجد مشـرق شـمس ومغـرب شـمس على الارض. إن كروية الارض لا تعني عدم وجود مشرق ومغرب.

لقد قسم العلمـاء يـوم الارض الى أربعة وعشـرين سـاعة تبـدأ من السـاعة صـفر وتنتهي عند السـاعة الثالثة والعشـرين ثم يبـدأ اليـوم التالي.

لا شك و لا اختلاف في ان هناك نقطة ما على سـطح الارض - سـواء كانت معلومة لنا او مجهولة وسـواء كـانت في اليابسة او في البحر - هي اول نقطة يبـدأ منها اليـوم، وهـذه النقطة هي اول نقطة تشـرق عليها شمس اليوم. فهذه النقطة هي مشرق الارض.

ولا شك في ان هناك نقطة ما على سطح الارض كذلك ينتهي عنـدها اليوم الارضي وهـذه النقطة هي آخر بقعة على سـطح الارض تغـرب عنها شـمس اليـوم وهـذه هي مغـرب الشـمس. وحـتى لـو اختلفت النقطة التي تشرق عليها أو تغرب منها الشمس يومـا بعـد يـوم فـإن مشرق الشمس ومغربها لكل يوم تكون موجودة.

ثم يتكلم عن يأجوج ومأجوج وقصة السد الذي بناه ذوالقرنين ويقول: (وقد حـــار المفســـرون في امر هـــذا السد، وذهبـــوا في مجاهل الاســطورة كل مــذهب. ومع انه لا يوجد مكــان او موقع على الاقل فـوق كـوكب الارض لم يكتشف بعد. فـإن شـعار "صـدق الله وكـذب بطن اخيك" لا يزال رائدهم هنا).

نعم صدق الله وكذب الملحد الافـاك الـذي لم يجعل الله له حظا في العقل.

انظـــــروا الى افترائه علينا ونحن نعيش معه على الارض ونعلم مثله بعض ما يدور فيها.

هل حقا لا يوجد مكان او موقع على سطح الارض لم يكتشف بعد؟

كلنا نعلم ان هـذا كـذب وافـك يـردده الملحـدون الـذين يظنـون ان الانسـان بلـغ ذُرا العلم. بـل ومـا يقـول بـه الا ملاحـدة دول العـالم المتخلف بينما العلماء في الدول المتقدمـة يؤمنـون بـان الانسـان لم

يبلغ بعد من العلم شيئا. كما نعلم جميعا ان هناك مواقع واماكن كثيرة لم تكتشف بعد على سطح الارض. فلو كان الامر كما يقول الرجل فما هي هذه الاكتشافات الاثرية التي تطل علينا مع كل صبح جديد في مختلف بقاع الارض؟!!

ثم هل الملحد يظن ان سطح الارض هو فقط الطبقة الخارجية التي نعيش عليها؟ انه فهم طفولي للارض من هذا الذي ينعق باسم العلم!!!

ثم ما ادراك ان كان هذا السد في سطح الارض او باطنها القريب او حتى البعيد؟

ثم يتكلم بكلام هزلي فارغ المحتوى عن السكنى في الفضاء وكيف سيكون الحج والصلاة وغير ذلك من الترهات التي لا تستحق الرد. فإن كل من يقرأها لن يملك نفسه من الضحك على عقل ضال لم يستطع ان يثبت بطريقة علمية واحدة الاختلاف بين العلم والقرآن.

ومما اود ان اقوله للملاحدة وغير الملاحدة عن العلم والقرآن هو ان القرآن ما زال و بالطبع سوف يظل سابقا العلم البشري الى يوم القيامة.

ان بعض المؤمنين يقولون للملحدين: القرآن ليس كتاب علوم. اما انا فاقول لهم: بل القرآن كتاب علوم. نعم ويسبق علوم البشر بكثير جدا.

القرآن فيه علم الاحياء و الكيمياء والفيزياء والرياضيات والادب والطب والهندسة والقانون وغيرها مما لا يحتويه عقل واحد من البشر. شاء الملحدون أو أبَوا

لا اريد ان افصّل هنا ولكن سأشير الى آية واحدة تبيّن ان الانسان لم يصل بعد الى كثيرٍ ما في القرآن من علوم.

في سورة النمل وفي قصة عرش بلقيس سأل سليمان عليه السلام الحضور من الجن والانس والحيوان: من يستطيع ان يأتيني بعرشها؟

قال عفريت من الجن: انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك.

قال الذي عنده علم من الكتاب: انا آتيك به قبل ان يرتدَّ إليك طَرْفُك. وفي التوِّ كان العرش مستقرا بين يدي سيدنا سليمان عليه السلام.

لا أشك في ان كثيرا من علماء الفيزياء والفضاء والطيران يفكرون كثيرا في صنع طائرات تصل سرعتها الى سرعة الضوء. هم يعلمون

انها ليست من المستحيلات ولكن يؤرقهم سبيل الوصول الى ذلك. و قد فاق العلم في القرآن كل ما وصلوا اليه حتى اليوم.
لكن. لنتدبر هذه الآيات مرة أخرى لنكتشف ما فيها:
العرش لم يأت به الجنّي. وكان يريد أن يستند على القوة الخارقة للجن. ولو فعل ذلك لأَغلِقَ الباب امام الانسان من أن يفكر مستقبلا في إنجاز مثل هذه الأعمال الكبيرة لأنها كانت ستتطلب قوى خارقة لا يتمتع بها الانسان.
العرش لم يأت به سيدنا سليمان عليه السلام إستنادا على معجزات النبوة. ولو فعل لأُغلِقَ الباب امام الانسان من يأتي بمثله لانه يحتاج الى معجزة أنبياء.
ولكن العرش جاء به صاحب العلم. "الذي عنده علم من الكتاب".
لا أحبذ الجدل في من هو صاحب العلم؟ أهو إنسي او جنّي. لانه في كل الاحوال لم يأت بالعرش الا بالعلم. كما لا احبذ الجدل في ما هو هذا الكتاب. ورغم كل اختلافات المفسرين فإنه يظل كتابا فيه من العلوم ما فيه. وبما اننا امام واقعة فيزيائية وهي نقل شيء من مكان الى مكان بما يستتبع ذلك من قوانين الثقل والحجم والسرعة والزمن، فهذا يعني ان الكتاب كان يحتوي على علم الفيزياء.
ما يهمني حقا هو ان هذه الآية هي اكبر دليل على ان الله سبحانه وتعالى يحترم العلم والعلماء. وان القرآن على غير ما يظن الملحدين هو كتابٌ يدعو الى العلم ويعظم العلماء.
والحكمة العظيمة من هذه الآية هي أن الله سبحانه وتعالى يبيّن لنا ان العلم قد يفعل ما لا تفعله القوى الخارقة سواء من الجن او الطبيعة. و يبيّن لنا ان المعجزة الحقيقية هي "العلم". هل فهمتم أيها الملحدون؟ القرآن يؤكد لنا إن المعجزة الحقيقية هي "العلم". فطأطئوا رؤسكم للقرآن إن كان فيكم بقيّةٌ من حياء.

كل ما في القرآن هو من عند الله

في هذا العنوان يرغي الرجل ويزبد ويكشف سبب حقده الدفين على الله وعلى القرآن.

يقـول: (لاقـوانين طبيعية في القـرآن. ارادة الله هي القـانون. كلا ولا سـنن كونية. فالسـنن انما هي سـنن الله لا سـنن الكـون، فالله في القـرآن لا يعـترف بسـنن الكـون. وينتج عن هـذا ان الحيـاة والمـوت والنجــاح والفشل والصــحة والمــرض والنصر والهزيمة لا ترجع الى جهود الانسان وانما ترجع الى الله الذي خلق الانسان).

عدم فهم مطلق للقرآن!!!

ألم يقرأ الرجل آيات كثيرة تدعو الى السعي والعمل؟

" وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ"، أليست هذه آية من آيات الذكر الحكيم؟

هل هنـاك دعـوة اكـثر صـراحة من هـذه الآية تـدعو الى الاجتهـاد في العمل؟ بل انها تأمر بذلك.

" وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ" أليست دعوة للعمل؟ هل تظنون انها دعوة للعبادة فحسب؟ حسنا، فإن العمل في الاسلام عبادة. عن كعب بن عجـرة قـال: مـر على النـبي صـلى اللـه عليه وسلم رجل فرأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه ما أعجبهم، فقالوا: يا رسـول اللـه، لـو كـان هـذا في سـبيل الله، فقال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم: إن كـان خـرج يسـعى على ولده صغاراً فهو في سـبيل اللـه، وإن خـرج يسـعى على نفسـه يعفّها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج رياء وتفاخراً فهـو في سـبيل الشيطان"[(63)]

وقال: "ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمـل يديـه، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده"[(64)]

وفي القرآن ايضا: "فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّـلاةُ فَانتَشِـرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُـوا مِن فَضْلِ اللَّهِ"[(65)]

---

[63]) صحيح الجامع (
[64]) صحيح البخاري (
[65]) الاية 10 سورة الجمعة (

من يفهم القــرآن يــدرك انه لا يــدعو الى التواكل وانما الى التوكل، والتوكل مربوط بالسعي لا بـالنوم و التمـني؟ "العـاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني"

ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم: "أعقلها وتوكل"([66])

ألم يقل: "ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه"([67])

كثيرة هي الاحاديث التي تدعو الى العمل وان إفتراء الرجل في هـذه المسألة لا مثيل له.

يبــدو انه كـان يفهم القــرآن بطريقة خاطئة ولهـذا اجتهد في الــدعاء وسهر الليالي في التضرع دون ان يسعى لسداد ديونه!

ألم يقـــرأ قـــول عمر رضي الله عنه: "ان الســـماء لا تمطر ذهبا ولا فضة"

لقد كان صاحبنا يظن ان السماء ستمطر عليه ذهبا وفضة!!

ورغم كل هذا فإن الامر لله من قبل ومن بعد يفعل ما يشاء.

ان هزيمة الجيوش بيد الله نعم، وليست بيد قادة الجيوش. فإن شـاء الله هزم القوي ونصر الضعيف كما حدث في بـدر. فـأين هي قـوانين الطبيعة الــتي يتكلم عنها الرجل هنـا؟ لو كـان الامر بــالقوة وحــدها لاندحر جيش المسلمين يوم بدر ولهلكوا عن بكرة ابيهم.

ليست بالقوة وحدها ولا بالدعاء وحده وانما هي "اعقلها وتوكل"

هكذا يُسيّر الله الدنيا.

ويقول ان انهيار السدود كسد مأرب لم يحدث لان الناس افسدوا بل لتوافر الاسباب الطبيعية التي تؤدي الى انهيار السدود!!

و نسـأله: من الـذي اوجد الاسـباب الطبيعية الـتي تـؤدي الى انهيـار السدود؟

وهو دائم الكلام عن القـــوانين الطبيعية باعتبارها في مواجهة الارادة الإلهية دون ان يخبرنا من الذي اوجد الطبيعة وقوانينها اصلا؟

درج الملحدون على هذا المسلك دائما واذا سألتهم من خلق الطبعية نكسوا رؤسهم.

ثم يتكلم عما توعد الله به القوم المفسدين من عقاب الدنيا ويصـفها بانها تهديدات جوفاء لا يتم تنفيذها!!!

---

[66]) صحيح الجامع - الالباني (

[67]) السلسلة الصحيحة – الالباني (

وقد بينا سابقا ان العقاب الالهي الدنيوي موجودٍ ومتــوافر ولم ينقطع كما يتوهم الرجل. ونضيف هنا ما لم نقله سابقاً وهو إن الله قد يؤخر عقاب قرية ظالمة و يعجل عقاب أخـرى. فـالأمر في البـدء والمنتهى لله رب العالمين، يفعل ما يشاء. ولا معنى أصلا لحـديث هـذا الملحـد في شأن يخص الله ولا يخص أحدا غيره.

ثم يقول: (الجوع والخوف لهما اسـبابهما الطبيعية وقوانينهما الـتي لا تتخلف. ولكن يأبى القرآن الا ان يتنكر لهذه القوانين ويدوسها بقدميه ليستبدل بها قوانين الكفر والايمان ويربطها بها وهي قوانين عشوائية غير مطردة وغيرثابتة)

ثم يــدلل قوله بالآية الكريمة: " وَضَـرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَـةً كَـانَتْ آمِنَـةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَـانٍ فَكَفَـرَتْ بِـأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَـا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ"([68])

ما هي القــوانين الطبيعية الــتي يجب ان تتــوفر ليعيش النــاس في الجوع والخوف؟

لم يوضح لنا الرجل اي قـــوانين وانما ســـاق الكلام كعادته جزافا بلا أدلّة. ورغم هذا اقول: ان مخالفة اوامر الله سبب من اسباب الجــوع والخوف وانهيار السدود والدول: فإذا استشـرت المحسـوبية وأوكلت الامـور والوظـائف الى الاهـل والأحبـاب والاصـدقاء دون النظـر الى الكفـاءة والأمانـة، ثم اذا إستشـرت الرشـوة والربـا وعـدم الاهتمـام بالعمـل وعــدم إتقانــه و تمكن الفاســدون والمفســدون من شــئون الدولة، عندها فانتظر الخوف والجوع. وكل تلك الافعـال ممـا حرمهـا الله. وكلها تدخل في معنى "كفرت بـانعم اللـه". فلم اذاً التعجب من الآية وهي ما بيّنت الا الحقيقة؟

ثم يتكلم عن قصة قارون وهلاكه ويقـول: (لقد خسف الله الارض هنا بشــخص واحد فقط. لانه على ما يبــدو كــان هو الوحيد المســتوجب للعقوبة، لا ســـيما بعد قوله انه أوتي ما أوتي على علم منه. وهـــذه جرأة على الله لا يرضاها لنفسه مع ان أمراء المال اليـوم في امريكا اغنى من قارون واكثر جـرأة واعـتى واشد شـكيمة، فلم يخسف بهم الارض، بل زادهم تجبرا واستكبارا).

ان عدم قدرة الرجل على فهم القرآن جملة وتفصيلا هو الذي لا شك ادى به الى التهلكة. هو يظن انه قـــرأ القـــرآن بتـــدبر فإكتشف فيه

([68]) الاية 112 سورة النحل

الاخطـاء، بينما الحقيقة هو انه لم يتـدبر آية واحـدة من آياتها. والادلة كثيرة ومنها كلامه هنا عن مصرع قارون.
اولا لا يوجد وجه للمقارنة بين قـــارون وبين اثريـــاء امريكا. ذلك لان قارون كفر بالله فهو ملحد، بينما اثرياء امريكا هم في الغالب يهود او مسيحيون، اي انهم في نهاية الامر يؤمنون بالله.
قارون قيل له: "واحسن كما احسن الله اليك" وهذا يعني انه لم يكن يدفع للفقراء ولا لغيرهم بينما اثرياء امريكا يـدفعون الامـوال الطائلة لصالح المنظمات الخيرية وفي البحـوث العلمية. فلـولا اثريـاء امريكا لما ركبنا الســيارات والطــائرات و لما وجــدنا الادوية الــتي تــداوي امراضنا. ولم يكن قارون ممن له نفع عام فلو كــان له نفع لما اهلكه الله.
وحينما بلغ تجبره وتكبره مـداه وقـال: "انما اوتيته على علم عنـدي"، هنا فقط اســــــــتحق العقوبة لانه قلب معركته من معركة بينه وبين الناس الى معركة بينه وبين الله.
الرجل أغناه الله فلم يؤمن به، ودعاه للانفاق فأبى، ودعـاه أن يـترك الفساد فازداد فسادا، ثم قـال لله: ما شـأنك انت لقد اغتـنيت بعلمي وجهدي. الا يستحق الخسف؟
لو بقى على كفـره ولم يصـارع الله لتركه الله ليـوم القيامة. اذ ليس الكفر والشرك والنفاق بحد ذاتهم موجبات للعقاب الــدنيوي كما فهم هـذا الملحد. لو كـان الامر كـذلك لهلك اكـثر النـاس ولكن الله يـؤخر الناس ليوم لا ريب فيه "انما يؤخرهم لاجل مسمى". ولكن ما يـوجب العقــاب الــدنيوي هو الاســتكبار والفســاد في الارض مــع الكفــر و مصارعة الخالق.
وهـذا ما لم يفهمه الرجل. هـذا وليس من الحكمـة ان نقـول ان كـل اثرياء امريكا لم يعاقبهم الله. فقد والله علمنا ان من أثريائهم منْ لم يستطع كل ماله ان ينقذه من المرض والعجز.
ثم يقـرأ الاية الكريمة: " يَا أَيُّهَـا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَـرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِـكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ"([69])
ويقول: (آن هذا التحقير للانسان والالحاح على تفاهته في هذا الكـون سمة بارزة في القرآن).

([69]) الايات 15 – 17 سورة فاطر

وهذا افـتراء من إفتراءاته على الله والقـرآن. ربما هو لم يقـرأ او لم يفهم الآية الـتي تقـول: " وَلَقَـدْ كَرَّمْنَـا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَـاهُمْ فِي الْبَـرِّ وَالْبَحْـرِ وَرَزَقْنَـاهُم مِّنَ الطَّيِّبَـاتِ وَفَضَّـلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِـيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَـا تَفْضِيلًا"([70])

ابعد هذه الآية يريد ان يقنعنا بان القرآن يحقّر الانسان؟!!

ثم يعود – كما عاد مرات كثـيرة – ليكشف لنا سـبب حقـده على الله ويقـول: (ثم اذا كـان الانسـان فقـيرا الى الله حقا، فما باله سـبحانه يتخلى عنه في الشدائد، ويتركه لمصيره يعـاني جميع انـواع الحرمـان حـتى يمـوت جوعا كما تمـوت الفـئران والكلاب والخنـازير؟ اين قوله تعالى: " أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ" فعن اي اجابة يتحدث هنا؟ ولمن كشف السوء؟ ومتى؟ هل كشف السـوء مـرة عن امرأة يتلوى طفلها من الجوع فيسقط ميتا بين يديها وهي لا تسـتطيع حياله شيئا؟ .... اين قوله سبحانه أيضا: " وَمَـا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا" ان الـدواب ياكل بعضـها بعضا وليس الله هو الـذي يطعمها. فالحيوان الـذي لا يسـتطيع انـتزاع رزقه بـالقوة والعنف، بل وبالعدوان، يموت جوعا رغم التزام الله برزقه)

نـرى ببسـاطة شـديدة ودون اي عنـاء ان الرجل دائما ما يشـكو مُر الشكوى من عدم استجابة الله لدعائه عند الشدّة التي ألمت به.

الايمان والكفر كما قلنا، هما قاعـدتان على النقيض. فمن ينطلق من قاعدة الايمان لن يكن فهمه الا على النقيض من فَهْمْ مَنْ ينطلق من قاعـدة الكفر. وهـذا هو السـبب في الجـدل الـذي لا نهاية له بين المؤمـنين والملحـدين. المـؤمن يـرى الـدنيا بعين غـير الـتي يراها بها الكافر.

فما يراه الكافر شرا مستطيرا قد يراه المؤمن خيرا وبركة، "كل امر المؤمن خير".

والرجل يحاول استخدام اللغة لإستدرار العطف إذ يقـول: كما تمـوت الفئران والكلاب والخنازير. لماذا لم يقل كما تموت الغزلان والحمائم والعصافير؟ أم ان هذه موتتها مختلفة عن تلك؟

ويسـأل: لمن كشف السـوء؟، لا شك في ان الله سـبحانه وتعـالى كشف السوء عن كثير من خلقه. فان كان الرجل ليس منهم فهـذا لا يعني عدم وجـودهم. واذا كـان يريد ان يعـرف عـددهم ومن هم فإنما

---

[70]) الاية 70 سورة الاسراء

هو يطلب المســتحيل. وليس ســؤاله ســوى اســتنكارا لان الله لم يستجب له.
اما قوله ان الحيوان الذي لا يستطيع انتزاع رزقه بالقوة يمـوت جوعا رغم الـتزام الله برزقه، فهو قـول فلسـفي لا طائل من ورائه. اذ أن "قانون الطبيعة" الذي ظل يتبجح به يقـول ان دورة الحيـاة تسـتدعي ان تسير الامور على هـذا النحو. و قـانون الطبيعة وضـعه الله ليُسـيِّر عليه الكون.
ثم ما معــنى انه مــات جوعا رغم تكفل الله برزقــه؟ انه من أكــثر الاقوال غباءً ورب الكعبة!! وهو كلام لا يصــدر عن تلميذ في الابتدائية دعك من رجل يقول انه يحمل دكتوراة الفلسفة!
ان الله كتب المـوت على كل حي. وكما قـال الشـاعر: من لم يمت بالسيف مات بغيره تتعدد الاسـباب والمـوت واحد. فـان كـان البعض يموت غرقا او حرقا او مرضا او هاويا من شـاهق، فما المـانع من ان يمـوت البعض الاخر جوعا او عطشـا؟ وان البعض يمـوت من التخمة فما قولك؟!
واذا كان يظن ان الطفل الـذي يمـوت رغم تضـرعات أُمّه شـرا لحق بها، فقد يكون الامر خيرا ان صبرت واحتسبت. فإن كانت الأم كافرة فــإن الحيــاة الــدنيا زائلة، شــئنا ام ابينا، كلنا الى المــوت. اما كيف سنموت فهذا ليس مهما. ما يهم ومـا يجب أن يقلـق الإنسـان بشـأنه حقا هو ما سيكون بعد الموت. هناك في الدار الآخرة حيث يجمع الله أحزان المؤمن في الدنيا ويجعلها ثوابا عظيما. يومها يفرح المــؤمن و يتمنى ان لو كانت حياته الدنيا من اولها الى آخرها حزنا مستمرا. هذا ما لا ولن يفهمه الملحد الذي ينطلق من قاعدة الكفر.

آيات لا معنى لها

يقول في هذا العنوان:
(في القرآن عدد لا يستهان به من الآيات لا معنى لها)
(ما معنى هذه الآيات الثلاث، بل هذه الالغاز الثلاثة، " وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْـرًا * إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِـدٌ"، وما علاقتها بوحدانية اللــه؟ هل فهمتم شــيئا؟ انا وانت لم نفهم شــيئا. واتحــدى الانس والجن ان يفهموا شيئا)

ثم يتكلم عن اقوال المفسرين وكيف انهم (فكروا وقدروا وقلبوا هذه الآيات ومحصوا ومع ذلك لم يصلوا الى شيء)
اما اقوال المفسرين فهو اجتهادهم. اصـابوا او اخطـأوا فهم بـذلوا ما في وســعهم و ليس من الحكمة ولا من المنطق العلمي الهُــزءْ بمن بذل الجهد وسكب العرق وسهر الليالي. ان ابسط حقــوقهم علينا ان نجذل لهم الشكر. اما الاستهزاء بهم فلا يصدر الا من عقل بلغ خريفه وذبل واوشك على السقوط كما تسقط اوراق الاشجار.
ولقد اثبت الاســلام حق المجتهد في الثــواب اخطأ ام اصــاب وهــذا وحده يكفي للرد على الزنادقة وانصاف المتعلمين.
أما قوله: (انا وانت لم نفهم وأتحـدى الانس والجن ان يفهمـوا شـيئا) فهو قول أقل ما يقال عنه انه قول ساقط لا يصدر الا من عقل ضيق الافق لم يعطه الله حظا في القدرة على التدبر والاستنباط.
ان ابسط قواعد العلم والبحث العلمي تمنع العــالِم من اتهــام الغــير بعـدم الفهم. ان اعـترف العـالِم بعـدم فهمه لمسـألة فـذاك شـيمة العلمــاء. لكن اذا زعم، بل وأصــرّ على ان ما لا يفهمه هو لن يفهمه غيره فهنا تكون السقطة التي لا قيام بعدها.
هو لم يفهم، وانا ايضا لم افهم، ولا اشك في ان هناك من يفهم مـا لا افهمه أنا وما لايفهمه الملحد.
إذا كان القرآن هو آخر كُتب الله الى اهل الارض – وهو حتما كذلك – واذا كان سيبقى مع الناس حتى قيام الساعة – وهو سـيبقى كـذلك - فلابد ان تكون هناك آيات لا يفهمها المتقدمون وسيفهمها المتأخرون. بمعنى ان آيات القـرآن ليست كلها متاحة للفهم في عصر واحد وإنما ما لا نفهمها اليوم سيأتي غدا من يفهمها وهكذا. فاذا كان الرجل يريد ان يفهم كل آيـات القـرآن فإنما هو يطلب المسـتحيل. وكل ما على العلماء ان يقوموا به هو الاجتهاد وليس مطلوبا منهم غـير ذلـك. وهم مأجورون اصابوا او اخطأوا. ولو كانت كل آيـات القـرآن متاحة للفهم لما كان هناك معنى من ثواب المجتهد المخطئ.
وكل ما جـاء به في هـذا البـاب من عـواء لا يخـرج عن ردنا هـذا له. سـواء كـان عن "الطـور وكتـاب مسـطور" او "والنازعـات غرقا" او غيرها من الآيــات الــتي يظن انها بلا معــنى. فليس كل كلام الله مما يحيط به عقل بشر.
وقد يسأل البعض عن "لماذا ينزّل الله آيات لا يفهمها الناس؟"

وردنا على هـذا السـؤال هو ان آيـات الاحكـام الشـرعية والعبـادات واضـحة وصـريحة ويفهمها كل النـاس وهـذا هو المطلـوب. اما غيرها من الآيات المحكمة فيتفاوت الناس في فهمها. اما الآيات المتشـابهة فإن حِكمة نزولها عند الله وعلى الناس الايمان بها "والراسـخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا"

ولعل بعض آيات القرآن فتنة، ليعلم الله من يـؤمن بها ومن يكفر بها. فما ادراك ايها الرجل ان تلك الآيات وغيرها انزلت فتنة للناس؟

اما ادعائه بـان بعض آيـات القسم ليس لها جـواب قسم فهو هـراء آخر ..

" ص ۚ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ"([71])

" ق ۚ وَالْقُـرْآنِ الْمَجِيـدِ * بَـلْ عَجِبُـوا أَن جَـاءَهُم مُّنـذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَـالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ"([72])

أليست "بل الذين كفروا" و "بل عجبوا" جوابا للقسـم؟ بلى واننا في حياتنا اليومية نستخدم مثلهما كثير.

ثم يتسـاءل: (ما معـنى ان يقسم الله بالشـفع والـوتر؟ ما هي هـذه الليـال العشـر؟ انها عشر ذي الحجة. او لعشر ذي الحجة كل هــذه الاهمية حتى يقسم الله بها وينزل بها قرآنا)

أقول له: نعم عشر ذي الحجة لها كل هـذه الاهمية وهي تسـمى ايضا ايام الله. ثم ما شأنك ان اقسم الله بذي الحجة او شعبان او مارس؟ وماذا تبتغي من وراء جدلك هذا؟ هـل تريـد أن تُملى على اللـه بمـاذا يقسم؟ ثم ما علاقة كل هذا الهراء الذي سقته في هذا الباب بكفـرك وإلحادك؟

هل انت كفـرت لانك لم تفهم معـنى " وَالطُّورِ * وَكِتَـابٍ مَّسْـطُورٍ"[73] ام لأن هذا القسم لم يعجبك؟

" وَالْفَجْرِ* وَلَيَالٍ عَشْرٍ* وَالشَّـفْعِ وَالْـوَتْرِ* وَاللَّيْـلِ إِذَا يَسْـرِ* هَـلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ"([74])

القول بأن هـذه الآيـات قسـمٌ هو اجتهـاد علمـاء اجلاء رأوا فيهـا ذلك. فاذا كـان لك نقد في هـذا فليكن في اجتهـاد العلمـاء وبكل ما يتطلبه

---

[71]) الايات 1 -2 سورة ص

[72]) الايات 1 – 2 سورة ق

[73]) الايات 1 – 2 سورة الطور

[74]) الايات 1 – 5 سورة الفجر

النقـاش والنقـد العلمي من ادب. وحقا من لم يتـأدب مع الله فكيف يتأدب مع العلماء.
اما الولولة والكلام عن الفجر الكـوني و العيد الكـوني وان القـرآن جعل الارض مركز العـالم وغيرذلك من الترهـات فانما ينم عن نقص في العقل وخلل في الفهم.

سجع القرآن وسجع الكهان

تحت هذا العنوان يقول الرجل:
(القرآن كتاب فريد حقا. انه نسيج وحـده. فهو نـثر لكنه ليس كـالنثر. وهو شعر وما هو بقـول شـاعر. وهو مـوزون وليس كـأوزان العـرب. وهو مقفى وليس كله كمثل قوافيهم. انه هو، انه القرآن والسـلام ... القرآن مولع بالقوافي، مفتون بالسجع حتى ليشبه في بعض الاحيـان سجع الكهان)
هل هناك اعجب من هذا يا سادتي؟!!
لقد وصف الرجل القـرآن بأنـه، ما هو الا سـجع كهـان. فيقـول مـرة: (وهذا سجع عجيب من سجع الكهان القرآني) ويقول تـارةً: (هـذا من سـجع الكهـان ايضا) و يقـول أخـرى: (هـذه دفعة اخـرى من سـجع الكهـان) و يقـول ايضا: (تـرى هل سـجع الكهـان غـير ذلـك؟ والا فما عساه يكون)
بعد كل ذلك يعود هنا ليقول ان القرآن مفتـون بالسـجع حـتى ليشـبه في بعض الاحيان سجع الكهـان. اي انه يعـترف من حيث لا يـدري ان القرآن ليس بسجع كهان!!
و يقــول ايضا في البــاب الســابق: (انا لا انكر ان تكــرار العبــارات واستخدام الايقاع الشعري والجناس والسجع وما اليها تقنيات تسـاعد كثـيرا على الاحتفـاظ بـالنص في الـذاكرة، كما تيسر اعـادة الترتيل الدقيق بلا تحريف)
حسنا. اذا كان الامر كذلك فما العيب في ان يكون القرآن مسجوعا؟ أليس حفظ الآيات وترتيلها بدقّة أمرا مطلوبا في القرآن؟
اذا لا معنى للولولة والصـراخ من ان القـرآن فيه سـجع. هـذا لا يعيب القرآن في شيء.

القرآن والايمان بالغيب

في بداية هذا البـاب يعـود الى هرطقة الملحـدين القـديم الـذي اثبتنا وهنها وضعفها و نقصان عقل القائلين بها.

يقــول: (علينا ان نركز على العقل دون النقل. وعلى العلم والمعرفة لا على السحر والعرفان. وعلى الانسان اكثر منا على خالق الاكـوان. ويجب ان نتخلى اولا وقبل كل شـــيء عن عـــالم الغيب لنعيش في عالم الشـهادة. ونـدخل بـاب العمل بمـوجب قـوانين العقل والمنطق الصارمة بدل ان نستسلم للبلادة)!!

وأي بلادة اكثر من هذه الدعوة!!.

قلنا ان العقل الانســاني ليس كـاملا ولا ينبغي الإعتمـاد عليه في كل شيء. هذا أثبتناه بالحجة.

ما معـــنى دعـــوة البعض الى تـــرك النقل والاخذ بالعقـــل؟ أراهم يتمسكون بهذه الأُحْجِية كما لو كانت حقيقة من حقائق العلم.

ما معنى النقل؟

النقل هو في الحقيقة عمل ناتج عن عقل. سواء كان هذا العقل عقل بشر او إله. فكيف تدعو الى ترك النقل؟

لولا النقل لما وصل الينا من أثر السابقين ومن نتـاج عقـولهم شـيء. ولولا اعتمادنا عليه لما بلغ الانسان ما بلغ.

وان كـــان البعض يطلق كلمة "النقل" فقط على النصـــوص الدينية، فإن النصوص الدينية هي ايضا انتاج عقلي.

اما الكلام عن الغيب والغيبيات وعدم الالتفـات لها هو في ذاته دعـوة لتنويم العقل.

إن كل ما نستمتع به في عصرنا الحالي من تقنيات وتكنلوجيا هي في الحقيقة كـانت من الغيبيـات الـتي لم يكن يـدركها عقل الانسـان في يوم من الايام الخالية.

لو انك قلت لشــخص ما قبل الف عــام ان هنــاك مخلوقــات تعيش داخل جسم الانســان تســبب له الامــراض لوصــفك هــذا الشــخص بـالجنون او بالجهل والتخلف كما يصف ملاحــدة اليـوم كل من يـؤمن ب"البراق".

فهل هذا هو العقل الذي يريدنا الملحد ان نتوكل عليه؟

لو عاش الانسان فقط على عـالم الشـهادة كما يـدعو هـذا الرجل، و الملحدون من قبله وبعده، لظللنا في العصر الحجري حتى يومنا هذا. ذلك لأن كل هذه الاكتشافات العلمية وغير العلمية انما كـانت يوما ما في عالم الغيب عن الانسان.

ثم يقـول في افـتراء عظيم: (ولا ادل على اهمية الغيب في الاسـلام من ورود هذه الكلمة 48 مـرة في القـران. لقد حكمتنا هـذه الكلمة المشـؤومة وما زالت. فـأنهكت التـاريخ وانهكت الـذاكرة وارتهنت الارادة. وكبلت العقل بقيـود لا فكـاك منها. وكـانت مـددا للتـافهين والعـاجزين واللقطـاء والمتسـكعين ومن اليهم من سـدنة الهيكل و مؤججي النار الاخرين).

يظل الملحـدون يـرددون هـذه الكلمـات اين ما وجـدتَهم وكيفما وجدتَهم. صغيرهم التافه وكبيرهم الأكثر تفاهة.

ولا يجيبـون على سـؤالنا ابـدا: كيف انهك الايمـان بـالغيب ذواكـركم؟ وكيف كبّل عقولكم؟ ومتى منعكم من العمل وكيف؟

ان ذواكركم منهكة اصلا. وعقولكم مكبلة طبْعا. ولما لم تجدوا سـبيلا مع اصحاب الفهم والعلم رميتم اثقالكم على ظهر الايمان بالغيب.

الايمان بالغيب يا سادتي هو وقود التفكير. بل هو السبب الرئيس في تقدم البشرية. اذ لو لم يكن الانسان يؤمن بـان وراء بصـره المحـدود تكمن اشياء لا يراها لما فكر في البحث والتقصي والاستكشاف.

إن الملاحدة لا يريدون للعقل انطلاقا. بل هم في حقيقتهم لا يطيقون التفكير و لو كانوا من اهله واهلا له لتمسكوا بالغيبيات و انطلقـوا في التفكـير. لكنهم اهل دعة وراحة يغيظهم ما يـرون من همّة العلمـاء و نشاطهم. كما ان انطلاق العقل في التفكـير سـيؤدي بهم في النهايـة الى الايمان بالله. وهذا ما لا يرجونه أبدا.

و في سقطة من سقطاته الكـبرى - وليس بعد الكفر من سـقطة – يقول: (لقد أفسدَنَا عـالم الغيب منذ أعـالي عصـور الانحطـاط وجعل منا دراويش نترنح في حلقـات الحيـاة كما نـترنح في حلقـات الـذكر، مخصيي الكلمات والفكر. نمارس الركوع والسجود والقيام والقعـود، نعطي دروسا في التوكل والتواكل واسقاط التدبير).

رغم انه كان يدرس القرآن وورث الدين كابرا عن كـابر كما يقـول الا انه لم يفهم الاسلام على حقيقته!!

ربما يكون ورث نوعا من التدين الفارغ لكنه لم يرث الدين الصحيح!! الاسـلام يـدعو الى التوكل ويـرفض التواكل، بل و يتوعد المتـواكلين: "العاجز من أتْبَعَ نفسَـه هواها وتمـنى على الله الامـاني"([75]). التواكل

---

[75]) الترمزي (

في الاسلام عجز وضعف وخور ومرفوض. "ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة". دعوة للانطلاق والاجتهاد والعمل وسكب العرق.
اما التوكل فهو محمود. والتوكل هو ان تتقن عملك ثم تتوكل. ان تؤدي ما عليك من واجب ثم تتوكل. "اعقلها وتوكل".
ولان الرجل لم يكن يفهم الدين الحق، كان يسهر الليالي يدعو الله ان يسدد عنه ديونه دون ان يسعى ويعمل!!
اما الترنح في حلقات الذكر فلا شأن للاسلام به.
الذكر في الاسلام ليس له حلقات ولا امكنة مخصصة واننا تستطيع ان نذكر الله في كل حين وكل مكان.
والعمل في الاسلام عبادة من اعظم العبادات. وفي الحديث الشريف: "أن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع ان لا يقوم حتى يغرسها فليفعل"[76] فهل من دعوة للاجتهاد في العمل والاعمار اكثر من هذا؟!
الاسلام حينما جعل الصدقة والانفاق من اعظم العبادات انما هو يدعو الناس للعمل والكسب. اذ لابد لكي تكون منفقا ان تكون صاحب مال ولكي تكون صاحب مال لابد ان تكون صاحب عمل. هكذا نفهم الاسلام.
ثم يقول: (ندعو الله صباح مساء ان ينصر المسلمين. ويقوي وحدتهم. ويرفع بنيانهم ويمحق دولة اليهود. ويشتت شملهم. ويخرب بنيانهم. ويجعلهم وما بين ايديهم غنيمة للمسلمين. لقد جفت حلوقنا من كثرة الدعاء وبريت اصابعنا بل وسبحاتنا من كثرة التسبيح).
ربما يكون الرجل من طائفة معينة تفهم الاسلام بهذه الطريقة المعوجّة. طائفة ترى التواكل توكلا و الغناء والرقص ذكرا. فاذا كان الامر كذلك كان على الرجل ان يعيد قراءة الاسلام بعيدا عن تأثير فكر طائفته عليه. لكن، يبدو انه لم يستطع الفكاك من الأسر.
الاسلام ليس دعاءً فحسب. بل عملٌ ثم دعاء.
القرآن هو الذي قال: "واعدوا لهم"
ويقول: " وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً"([77])
فاذا كان الرجل لا يفهم مثل هذه الآيات البينات، فما باله يسأل عن "الصافات صفا" ما تكون؟

---

[76]) السلسلة الصحيحة الالباني (
[77]) الاية 46 سورة التوبة (

وفي آخر هذا الباب يقول: (تهيمن على القرآن، وتتخلل كل صفحة من صفحاته عقيدة راسخة في القضاء والقدر لا يخطئها البصر. ولئن كانت الآثار المدمرة لهذه العقيدة الايمانية الاساسية غير ظاهرة في عصور الصعود، فقد كانت واضحة جلية في عصور الانحطاط. بل لقد عجلت بهذا الانحطاط واستقدمته قبل ايذانه ووقت اوانه. وهكذا صبت جميع سمومها وافرازاتها الفاسدة في نشاط المسلمين المتأخرين وشلت جميع حركاتهم. القضاء والقدر لا يصنع سادة بل يصنع عبيدا. القضاء والقدر لا يقيم دولا، بل دويلات وشراذم. القضاء والقدر لا يوحد بل يشتت ويفرق. القضاء والقدر لا ينشيء علوما بل جهالات. وهو لا يبني حضارة وعمرانا بل يدمر الحضارة والعمران. فاذا رايت امة متقدمة وحضارة زاهرة وبلادا عامرة فاعلم ان القضاء والقدر ليس له فيها نصيب او اقل نصيب).

ما رأيت عواء اجوف كهذا من قبل!!!

ما شأن القضاء والقدر بإقامة الدول والحضارات.

القضاء والقدر قيمة إيمانية وركن أساسي من أركان الايمان منذ ان نزل القرآن. ورغم ذلك أقام الاسلام أكبر حضارة انسانية على ظهر الارض. فلِمَ لمْ يمنع الايمان بالقضاء والقدر المسلمين الاوائل من التطور؟!!

ثم بعد كل هذا العويل لم يخبرنا الرجل بطريقة علمية او حتى منطقية واحدة، كيف تسبب الايمان بالقضاء والقدر في تأخرنا عن ركب الحضارة!!

ان تأخرنا عن الحضارة والتقدم مما جنته أيدينا ولا شأن للقرآن به. بل ان بعدنا عن القرآن هو السبب الاول في تخلفنا. لان القرآن يدعو الى التدبر في الكون والتعلم من الطبيعة ونحن نترك هذا لغيرنا. والقرآن يدعو الى العمل و اتقانه ونحن لا نعمل وان عملنا لا نتقن. ان الملحدين بدلا من البحث عن السبب الحقيقي في تخلفنا، اخذوا اسهل الدروب، وحمّلوا الاسلام إثم جناياتنا والاسلام برئ من كل هذا.

بربريات القرآن

وهذا عنوان غريب جـدا ينمُّ عن نفس شـديدة الحقد والغضب. يقـول صاحبها في بدايته:

(اعدى اعـداء القـران الثقة بـالنفس والايمـان بالـذات. تلك جريمة لا تغتفر. "يقولون لو كان لنا من الامر شـيء ما قتلنا ههنا، قل: لو كنتم في بيــوتكم لــبرز الــذين كتب عليهم القتل الى مضــاجعهم"، ليس المقـاتلون هم الـذين قتلـوا المشـركين في حـربهم معهم، انما الـذي قتلهم هو الله وحده. بل حتى الرمي لم يكن النبي هو الــذي رمى بل الرامي هو الله وحـده: " فَلَمْ تَقْتُلُـوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَـا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ"، وحـتى الافكـار والخـواطر الـتي تحيك في صـدري وصـدرك لا سـلطان لنا عليها: "واعلمـوا ان الله يحـول بين المرء وقلبه").

لا ادري في الحقيقة ما علاقة هـذه الآيـات بالثقة بـالنفس والايمـان بالذات. انه فهم معوجٌّ للآيات. ثم ما بال الرجل يأتي بآيات تهـدُّ عمله الذي تعب فيه وسهر فيه الليالي؟

لو كنت مكان الرجل لما استشهدت بهذه الآية في كتابي ابــدا: " فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ"[78]

ألّفَ الرجل كتابه الاســطوري هــذا ليثبت ان القــرآن كلام محمد ولا علاقة له بالسـماء. ورغم ذلك يـأتي بهـذه الآية الـتي هي من الآيـات التي تدل صراحة على ان القرآن ليس من تأليف النــبي عليه الصـلاة والسلام.

هل يُعقل ان يؤلف رجــلٌ ما، كتابا، و ينسب فيــه أفضــاله وأعماله الجليلة للغير؟ هذا غير منطقي ومخالفٌ للعقل.

لو كـان القــرآن من تـأليف محمد لنسب محمد فضل النصر لنفسه. لكن القـرآن ينسب الفضل الى الله. هـذا يعـني حقا ان القـرآن ليس من تـأليف النـبي. وهـذا يـدحض كـل مـا جـاء في كتـاب الملحـد من ترهات.

أي غباء ساق الرجل لاقحام هذه الاية في كتابه!!!

---

[78]) الاية 17 سورة الانفال

اما فيما يختص بزعمه من ان القــرآن أعــدى أعــداء الثقة بــالنفس فأقول له: اقرأ الحديث الذي يقول: " المؤمن القوي خـير وأحب إلى اللـه من المـؤمن الضـعيف وفي كـل خـير، احـرص على مـا ينفعـك وإستعن بالله، ولا تعجز"([79])

فلا أرى دعوة الى الثقة بالنفس اكثر من قوله صلى الله عليه وسـلم للمؤمن "ولا تعجز" وهذا ردٌّ كاف على تلك الهرطقة.

ثم يقول: (المشـرك في القـرآن ليس انسـانا. انه دون ذلك بكثـير. " إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَـرَامَ بَعْـدَ عَـامِهِمْ هَٰـذَا"، وكم كنت أربأ بـــالقران ان يصف المشـــرك بأنه "نجس" وهي كلمة نابية كنت اعتقد ان القـــرآن اكـــبر واســـمى من ان يـــذكرها بين مفرداته .... انا اســتحي ان الفظ هــذه الكلمة وارفض ان تــرد في كتابــاتي رفضا قاطعا، فكيف اطلقها على انســان مثلي له كل الحق في ممارسة حريته في التفكر و ابــداء الــرأي مهما خــالفني هــذا الرأي .... لقد كان من الممكن جدا استبدال هذه الكلمة باخرى اكـثر دلالة منها واقل صفاقة).

تعالى الله علوا كبيرا.

اولا اذا كنت لا تؤمن بالقرآن ولا بـرب القـرآن، فما معـنى "كنت أربأ به، أي بالقرآن"؟

انت لا تؤمن بالقرآن سواء كانت هذه الكلمة موجودة بين مفرداته ام لا، فلم الكذب؟

اما كيف تطلقها على انســـان مثلك، فهو كلام مضـــحكٌ ينمُّ عن قلة فهم. ان من أطلقهــا ليس انســانا على انســان بــل هــو الله خــالق الانسان، فهو سبحانه وتعالى لم يطلق الكلمة على ندٍّ مساوٍ له. وهو ليس كمثله شيء.

ثم ان الله يعني ما يقول. فاذا قال المشـرك "نجس" فهـذا يعـني ان المشرك نجس فعلا ولا مجال هنا لكلمة اقل صفاقة.

ثم ان الكلمــة – وهــذا هــو المهم – حسب ما فهمت ليست للشــتم وانما هي صفة.

اما اذ ظننت انت انها شتمٌ فذاك شـأنك، ورغم هـذا اقـول لك ان من يقـول عن الوضـوء وغسل الجنابة "انها افعـال لا معـنى لها" – كمـا يقول الملاحدة - فهو نجس، و "النجس" هنا شتم وهذا من عندي. ثم

---

[79]) صحيح مسلم

لو كان كلمة "نجس" مقصود بها الشتم لما أطلقها الله على الخـنزير وهو حيوان من الحيوانات. هل تظن ان الله يشتم حيوانا؟
ثم يتكلم عن الاستخفاف بالمرأة والنظر إليها على انها مجـرد حـرث للرجل اي مزرعة: "نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ"([80])
بالله عليكم هل هذه الآية قالت ان المرأة مجرد حرث للرجل؟
وليس كالاسلام من اعطى للمرأة حقوقها. فالنسـاء شـقائق الرجـال كما يقول الحديث الشريف[81] والشقيق هو النـد. ففي اي شـريعة او قانون كانت المرأة ندّاً للرجل سوى في شريعة الاسلام؟
ان افتراءات الملحدين في هذا المجـال لا تقـوم على قـدمين فنقـول لهم: أريحونا وأريحوا انفسكم..
ومن البربريات في رأيه: " وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"([82])
هل يدرك الرجل الحِكَم الكامنة وراء آيات القرآن؟
الله هو خالق الناس وهو العالم باسرار النفس البشرية و هو المدرك لعلاج النفوس.
السرقة للحاجة معفيّة من هذا العقاب وبالتالي فـان السـرقة المعنيّة هي السرقة المرضية والله قرر شفاءها بالقطع وهو سـبحانه وتعـالى ادرى بما يُصلِح خَلْقَه.
و الســـرقة جريمة خطـــيرة من الناحية الاخلاقية لانها اعتـــداء على حقوق الغير. وهي استهتار بمبدأ الكد والاجتهاد والعمل والكسب وهو مبدأ اساسي من مبادئ الاسلام، ومبدأ ضروري لإعمـار الارض الـذي هو وظيفة الانســان الثانية الــتي أوجــده الله لتحقيقها بعد العبــادة. وبالتـالي كـانت العقوبة كبـيرة لـردع النـاس ولتنـبيههم الى ضـرورة العمل. ألم يشـكو الرجل مُر الشـكوى من الـترنح في الـذكر. فههنا هــذه الآية تــبيّن له بجلاء ان الاســلام ليس دين تواكل ولا تــرنح ولا رقص. فلو كان كذلك لما قرر هـذه العقوبة كحد للسـرقة بل ما كـان ليقرر عقابا للسارق اصلا لان كل المسلمين كانوا ليكونوا لصوصا.
ومن ناحية ثالثة فـإن السـرقة في كثـير من الاحيـان تلازمها اعمـال عنف تــؤدي الى الاذى الجسـيم وحــتى القتل وهي افعـال متكــررة

---

[80]) الاية 223 البقرة
[81]) السلسلة الصحيحة الالباني
[82]) الاية 38 سورة المائدة

نشاهدها كل يوم، فلو كانت هذه العقوبة مطبّقة على واقعنا لاختفت كثير من تلك الجرائم.
إما قتل اسرى الحرب فإن الآية الكريمة: " مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"([83])، فهي بيّنة في ان قتل الاسرى ليس هو الخيار الابدي و الوحيد للاسلام. لو قالت الآية : "ما كان لنبي ان يكون له اسرى" لحق للرجل ان يقول ما قال ولكن باقي الآية تدل بصراحة ووضوح ان منع إبقاء الاسرى له أسباب. فإن إنتفت تلك الاسباب اصبح إبقاء الاسرى ممكنا ولربما واجبا.
اما عقوبة الزنا من جلد ورجم فهي ايضا كعقوبة السرقة لها حِكَمها التي نعلمها و ربما حِكَم لا نعلمها.
فالزنا جريمة اخلاقية كبيرة خاصة من المتزوجين. فهل من العدل ان تزني المرأة وتنجب اطفالا غرباء ويشقى الزوج ويكد ويتعب ويلاقي ما يلاقي في سبيل الرزق وفي تربيتهم وهو لا يدري انه يربي اطفالا ليس من صلبه؟
هل من العدل ان يزرع رجل بذره في رحم إمرأة رجل آخر مثله و يجعلها تحبل منه ويتعب الرجل المخدوع في تربية ابناء الخائن بينما يعيش الاخير مرتاح البال و الضمير؟
هل من حق اي رجل ان يدنس شرف اسرة من الاسر بالاتصال ببنتهم دون رضاهم؟
هل من حق اي بنت ان تدنس شرف والدها واسرتها لمجرد اشباع رغبتها الحيوانية؟
والزنا جريمة ضد كل المجتمع. فالزاني له إستعداد بأن يزني بأي إمرأة من المجتمع وكذلك الزانية على إستعداد للزنا مع أي رجل من المجتمع. وبالتالي فإن الرجل الزاني هو كمن زنا بجميع نساء المجتمع والمرأة الزانية كمن زنت مع كل رجال المجتمع. فالجريمة هنا خيانة ضد المجتمع كله.
وفوق كل هذا فإن اضرار الزنا على المجتمع كبيرة وكثيرة اقلها انتشار الامراض بمختلف انواعها وما يستتبع ذلك من توهين القوة البشرية في الدولة وصرف المبالغ الطائلة على العلاج.

---

[83]) الاية 67 سورة الانفال

ان الجلد والـرجم هما عقوبـات مناسـبة ولا داعي للعـواء والكلام عن حقــوق الانســان وغــير ذلك من الترهــات الــتي هي في حقيقتها لها اغراض اخرى غير المعلنة تحت اسم حقوق الانسان.

ومن اغــرب ما وضــعه الرجل ضــمن البربريــات "الطلاق الثلاث". "لِطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِـلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَـا حُـدُودَ اللَّهِ ۖ فَـإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَـدَّ حُـدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * فَـإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَـهُ مِن بَعْـدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًـا غَيْـرَهُ ۗ فَـإِن طَلَّقَهَـا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"[84]

ولا ادري اين البربرية هنا؟ فالرجل لم يتكرم بتوضيحها لنا

ماذا كان يريد حقا؟ الا يكون هناك طلاق اصلا؟

ام ان يكون الطلاق مرتين ولا داع للثالثة؟

ام كان يريده اكثر من ثلاثة او ربما بلا عدد؟!

كلام لمجرد الكلام. هذا ديدن الرجل!!

والحقيقة ان آية الطلاق هــذه من الآيــات الأروع في القــرآن لفظا ومعنى. بل ومن الآيات الدالة بوضوح ان القرآن ليس كلاما بشريا.

هذه الآية و آيـات المـواريث ما كـان لبشر ان يفكر فيها بهـذا النظـام المدهش وهذه الدقة الفائقـة مهما أوتي من عقل. فإنها جميعها تـدل على انها من عند إله حكيم.

---

[84]) الايات 229 – 230 سورة البقرة (

الله في القرآن

تكلم في هـــذا الفصل عن الله. ويقـــول في مقدمته: (الانســـان لا يســتطيع ان يعيش بلا معـنى. بلا اسـطورة تعطي لحياته معـنى. ان اسـطورة الاسـاطير هي الايمـان بالله، او الآلهة. فمع ان احـدا لم ير الله. ومع ان العقل عـاجز عن اثبـات وجـوده او نفيه، ناهيك بـالعلم الـــذي لا يتعـــرض لله إثباتا ولا نفيا، لان ذلك ليس من اختصاصه، مع ذلك فإننا جميعا نسلّم بوجود الله تسـليما اعمى. بل نؤكد ان وجـوده هو احـدى البـديهيات الـتي لا تحتـاج الى دليل. ان فكـرة الله فكـرة قديمة قدم الانسان. ولكن هذا القدم لا يـدل على شـيء. بل لئن دلّ على شـــيء فانما يـــدل على حاجة الانســـان الى الســـند والامل والمعنى).

العقل ليس عاجزا عن اثبات وجـود الله، اللهم الا اذا كـان عقلا واهنا ضعيفا، ناقصا غير مكتمل النمو.

العقل قادر على اثبات وجود الله بابسط مما يتخيل الملحدون.

على العقل ان يسأل سؤالا واحدا فقط ليعرف وجود الله. الامر ليس معقدا وليس صعبا كما يتوهم البعض.

"من أين جئت انا الى الدنيا؟"

هذا السؤال اجابته واضحة ولا تحتاج الى كثير عناء لمعرفتها.

لابد لي من خالق خلقني.

هل يمكن ان تكون الاجابة غير هذا؟ محال.

لقد تجاوز الناس زمـان التخلف ذاك الـذي كـان يظن فيـه البعض انه وجد صدفة.

القول بالوجود صدفة هو قول ساقط لا يصدر عن عقل ابدا. هو عبث بالعقل وحـطٌّ لقـدره. اني اتعجب كيف كـان يعتقد البعض في هــذه الفكرة الفطيرة الفجّة؟!!

هل ما زال يوجد في عالمنا المعاصر من يؤمن بهذه الفكرة؟

لا ادري حقا. ربما يوجد، اذ لابد من وجـــود ناقصي الاهلية العقلية في كل زمان.

قصة: "كـان يسـير مع صـديقه الملحد في مكـان خـال. فجـأة وجـدا امامهما طاولة جميلة. فسأل زميله الملحد: ترى من الذي صـنع هـذه الطاولة الرائعة؟

فقال له الملحد: لابد انه نجار ماهر.

فسأله: هل تعتقد انه ماهر؟
فقـال الملحد دون ان يشـعر: نعم. لابد ان يكـون مـاهرا وفنانا. انها طاولة في منتهى الروعة والجمال. بل هي قطعة فنية.
فقال: انا اشكّ في ذلك.
سأله الملحد في تعجب: وما الذي يجعلك تشكّ في ذلك؟
فقال: ربما تكون الطاولة ليست من صنع احد بل هي وجدت صدفة.
فقال الملحد دون ان يشعر وهو يحـدق في الطاولة: هل جننت؟ هـذا مستحيل.
فضحك صاحبنا وقال: اذا كانت الطاولة البسـيطة هـذه والـتي تتكـون فقط من خمسـة او سـتة قطع خشـبية بسـيطة لا يمكن ان توجد صدفة، فكيف تـؤمن يا صـديقي بـان هـذا الكـون الهائل المعقد، وجد صدفة بلا خالق؟ وان هـذا المخلـوق المبـدع المسـمى بالانسـان وجد صدفة؟"
لن اطيل في الكلام عن الوجـود صـدفة فهو كلام فـارغ لا يسـتحق الالتفـات اليه وقد عفا عليه الـدهر ولم يعد محسـوبا ضـمن الفكر الانساني.
فالصدفة نفسها لا شيء ولا يعقل ان يخلق اللا شيء شيئا.
من هنا ندرك ان اثبـات وجـود الخـالق ليس صـعبا. واذا كـان صـاحبنا يظن ان العقل عاجز عن ذلك، فذلك لان عقله لم يبلغ الرشد بعد.
ولما عجز بعض الملحدين عن نفي وجود الخالق، ذهبوا الى الاعتراف بوجـوده لكن شـيطانهم هـداهم الى حيلة اخـرى ليخرجـوا بها من التكـاليف الإلهية، فقـالوا: نـؤمن بوجـود خـالق لكننا لا نـؤمن بانه هو الذي ارسل الرسل وانزل الكتب!!!
وذهب بعضهم الى سؤال غريب: "نؤمن بـان لكل شـيء خـالق، فمن خلق الخالق؟"
نقول للذين اعـترفوا بوجـود الخـالق ونكـروا انه هو الله الـذي ارسل الرسل، نقول لهم:
اذا وجـدتَ لُقطـةً على الارض، ولنقل محفظة نقـود سـوداء بـداخلها ورقـة من فئـة المئة جنيه، ووضـعتها في جيبك. ثم ظهر شـخص و سألك: هل رأيت محفظة نقود هنا؟
ستقول له: صِفها لي.
ان قال لك: انها سوداء اللون.

ستسأله: ما بداخلها؟
فإن قال: داخلها ورقة من فئة مئة جنيه.
هل ستشك بعدها في انه صاحب المحفظة؟
لا. لن تشك، الا اذا كنت لصا تريد سرقة تلك النقود.
الانسان عبر العصـور آمن بوجـود إله بل وآلهة متعـددة وعبـدها. فهل من بين كل هذه الآلهة هناك إلهٌ قـدّم نفسه للنـاس على انه خـالقهم وخالق الكون، سوى الله؟
هل من بين كل تلك الآلهة هناك إله عَرّف بنفسه سوى الله؟
هل هناك إله أنزل الكتب وارسل الرسل سوى الله؟
هل هناك إله قدم الحجج والبراهين على انه الخالق سوى الله؟
لا. لا يوجد.
لا اللات ولا العـزى و لا هبـل ولا بـوذا ولا آمـون ولا نسـرا، ولا أي إله آخر – غـير الله – لم يقـدم نفسه بالادلة والـبراهين على انه الخـالق. الله سبحانه وتعالى فقط هو من فعل ذلك.
فما الذي يجعل بعض الملحدين يزعمون انهم يؤمنون بوجـود الخـالق لكنهم يشـكّون في انه هو اللـه؟ ان هـؤلاء هم كالرجل الـذي يريد سرقة المحفظة. انهم لصوص يا سادتي!!
اما الذين يسألون: من خلق الخـالق، فقد اجبنا عليهم في مكـان آخر في هـذا الكتـاب، ونزيد في ذلك: هل سـؤالهم هـذا منطقي؟ هم يظنون انهم مناصرو العقل، فهل سؤالهم معقول؟
انه سؤال لا علاقة له بالعقل من قريب او بعيد. لانك لو قلت: ان هذا خلق هذا و هذا خلقه ذاك و .. فلن تصل الا الى نتيجة واحدة حتمية لا مفـرّ منها وهي انه لابد في النهاية من خـالقٍ لم يخلقه احد. هـذا لا مفر منه. اذ ليس من المعقول ان تستمر سلسلة الخـالقين بلا نهاية. ومن يقول بسلسلة لا نهائية للخالقين فهو كمن يقول بالوجود صـدفة وكلاهما خارج المنطق والعقل.
نعـود الى كتـاب صـاحبنا اذ يقـول: (ان النـاس لم يتنـازعوا يوما ولم يرتكبـوا المجـازر والاضـطهادات ولم يـنزلوا يوما الـوان العـذاب في المنكـرين لوجـود الشـمس. فـان كل انسـان في مقـدوره ان يـرى الشـمس بلا تلقين ولا تعليم. حـتى الاعمى يـدرك وجـود الشـمس والخـدمات الجليلة الـتي تسـديها للانسـان والارض الـتي يعيش عليها الانسان. لو كان وجـود الله واضـحا وضـوح الشـمس لا يقبل الجـدل،

فلم الخوض في وجوده وعدم وجوده للبرهنة في نهاية المطاف على حقيقة وجـوده؟ فلا برهـان الا في حـال الشك. فما لم يكن شك، لم يكن برهان لازالة الشك).

وهل تنازع النـاس عـبر التـاريخ وارتكبـوا المجـازر والاضـطهادات في المنكرين لوجود الله؟

ربما حدث شيء من ذلك لكنه ابدا لا يـرتقي لمسـتوى المجـازر. ان المجازر حدثت ليس لمنكري وجود الله. بل حدثت هذه المجـازر بين المؤمنين بالآلهة. كل منهم يريد ان يسُـودَ سـلطان الإله الـذي يـؤمن به.

منكرو وجود الإله فئةٌ قليلة في كل زمان ومكـان. ولم تكن لهم قـوة تذكر في التـاريخ. حـتى الاتحـاد السـوفيتي تلك القـوة العظمى الـتي اسسـها الملحـدون، لم تكن في حقيقتها دولة منكـرين. كـان قادتها فقط من شـياطين الإلحـاد بينما بقى مجمـوع الشـعب على ايمانه بالله. لم يزعـزع ايمـانهم سـطوة الحكم وجهـاز الاسـتخبارات المسـتفحل. احتفظ النـاس بـدياناتهم سـرا وعلنا رغم ما لاقـوه من صـنوف العـذاب و التنكيل. وفي النهاية هـوى الباطل الإلحـادي ولم يعمر طويلا. ليسجل التاريخ انه كان اقصر الامبراطوريـات عمـرا في التـاريخ البشـري. ذلك لان الإلحـاد شـذوذ فكـري لا يمكنه ان يعيش طويلا.

ثم هو يفتري بقوله ان وجود الله ليس واضحا كوجود الشمس!!!

ان كانت الشمس واضحة يدرك وجودها حتى الاعمى، فان وجود الله الـذي خلق الشـمس واضحٌ وجليّ في هـذه الشـمس ذاتها وفي الانسان والكون.

وفي اضطراب كبير – عهدناه لـدى الملحـدين – يقـول: (لا دليل على وجود الله. ولا حاجة الى الله. وكل شيء في هذا العالم يجري وكـأن الله مجرد اضـافة ابتكرها العقل لسد ما يـراه في العـالم من ثغـرات وما يصادفه من خيبات الامل)

ثم انظر اليه يقـول: (لكن ذلك كله لا يعـني – واقولها للتـاريخ وابـراءً للذمة ورغم ما شـطح بي القلم به بعيـدا عن الجـادة – ان الله غـير موجود. ان كل ما يعنيه ان جميع الادلة التي وضعت لاثبات وجود الله مليئة بـالثغرات والمطبـات والمغالطـات والتلفيقـات والقفـزات والبهلوانيات واعمال الخفّة والمصادرة على المطلوب).

انا لم ار من قبل فكرا مشوشا كهذا!!
يقــول: (يعتقد الكثــيرون ان حُجة المنكــرين لوجــود الله تتلخص في عدم رؤيتهم له وهذا من افدح الخطأ. فعـدم رؤية الشـيء ليس حجة على عدم وجـوده. ولا يقـول بـذلك عاقل. ففي هـذا العـالم اشـياء لا حصر لها ليس من الممكن رؤيتها، كامواج الراديو وامواج الصوت اللا سلكي والاشعة فوق البنفسجية وما تحت الحمـراء والميكروبـات و .. ومع ذلك فان احدا لا ينكر وجودها ... ان انكـار وجـود الله ليس ليس على مثل هذه الدرجة من البساطة والا كان المنكـرون صـبية اغـرارا او مجموعة من التافهين المهرجين العابثين. فالذي ينكر وجـود الله لا ينكــره فقط لانه لا يــراه. بل هــذا آخر ما يخطر بباله. انه انما ينكر وجوده: لانه لا يستطيع ان يتصـوره. لانه لا يسـتطيع ان يفهمه. لانه لا يجد في اي مكان في هذا العالم شاهدا على عقله او على تدخله في هذا العالم او على اثـاره او على حبه. لان كل شـيء في هـذا العـالم يجري و كأنه متروك لذاته، ليس محكوما بغير قوى الطبيعة وقوانين عمل الاشياء)!!
هل هذه هي حجة المنكرين لوجود الله؟!!
سبحان الله!
فإن كانت هذه حجتهم فالصبية الاغرار خـير منهم. ويصـدُقُ عليهم ان يكونوا مجموعة من التافهين المهرجين العابثين.
هل تنكر الشيء لانك لا تتصوره ولا تفهمه؟
هل نحن نستطيع ان نتصــور ونفهم كل ما رأينــاه بأعيننا دعك مما لم نره؟
هل رأى المنكرون الروح؟ هل تصوروها وهل فهموها؟
هل يؤمنون بها ام لا يصدقون ان هناك روحا؟
بلى هم يؤمنون بـالروح رغم انهم لا يسـتطيعون تصـورها ولا يجـدون لها فهما.
ثم سؤال آخر: هل كل تصوراتنا للاشياء صحيحة؟
هذا الذي نراه احمر اللون يـراه حيـوان آخر رماديا. وما نـراه صـغيرا يراه حيوان آخر ضخما. فهل تصـورنا نحن هو الصـحيح ام تصـور تلك الحيوانات؟
ما تراه ماءً تجده سرابا. أليس هذا هو عقلنا البشري؟

ان كل حجج المنكــرين هي حجج واهية سـاقوها بلا فهم وهي حجج لا ترتقي الى مستوى البراهين والأدلّة. انها حجج فقط.
والرجل نفسه يقول: (وللحقيقة اقول ان مسـئولية الانكـار اكبركثـيرا جدا من مسئولية الاثبات. فاذا كان العقل عاجزا عن اثبات وجود الله فإنه اكثر عجزا عن اثبات نفيه)!!!
رغم ان العقل السـوّي لا يشك في وجــود الله مطلقا الا اني اسـأل الرجل: ان كنت عـــاجزا عن اثبـــات او نفي وجـــود الله فلم عَجِلت وكتبتَ كتابك هذا؟
أليس هذا خرقا لقواعد العقل والعلم اللذين تتشدق بهما؟!!
انا عرفت سـبب هـذه العجلة. سـبب هـذا التهـور الكبـير. سـبب هـذا الغضب الكبير من الله، حتى الذهاب الى محاولة نفي وجوده سبحانه وتعالى.
وإليكم سادتي ما يقول لتعرفوا، بل لتزدادوا معرفة، فقد عــرفتم من قبل.
يقول: (ان الله الذي يؤمن به هذا الانسان لم يقدم له شـيئا في ايـام محنته. انه لم يُلبِّ له مطلبا. ولم يقض حاجة. ولم يســـــدّ له جوعة. ولم يشف مرضا. بل تركه يتلوى في الالم والشقاء من غير ان يحرك ساكنا).
تلك هي عقــدة الرجل، ما انفك يرددها من اول كتابــه الى آخــره. إن الله لم يستجب له تضرعاته ولم يسدد ديونه!!!
هذا هو سبب هذا الكتاب. فهل تصدقون؟!!

صفات الله في القرآن

يقول في صدر هذا الباب:

(الله في القـرآن من المسـلمات الـتي لا يمكن للمـؤمن ان يتخلى عنها. لذلك لا يهتم القرآن بإثبـات وجـوده بمقـدار اهتمامه بالوحدانية ونفي الشريك عنه).

وهذه حقيقة لان المؤمن لا يحتاج الى اثبات وجود الله. فالله موجـود لانه من اوجد المـؤمن وبالتـالي لا يحتـاج المـؤمن الى اي دليل اخر لاثبات وجوده.

ما يحتاجه المـؤمن فعلا هو معرفة ان الله إله واحد لا شـريك له وانه يتصف بصفات الكمال. وهـذا ما اوضـحه القـرآن. ولا ارى مأخـذا في هذا.

(والله في القـرآن متصف بجميع صـفات الكمـال. مـنزه عن جميع صفات النقصان).

وهل الله الذي خلق هذا الكـون الهائل بقوانينه الدقيقة الرائعة يمكن ان يكون الا كاملا منزّها عن اي نقص؟!!!

ويقـول عن صـفات الله: (وهي كما تـرون صـفات ايجابية احادية الجـانب لا تكفي وحـدها لتفسر كل شـيء في هـذا العـالم .... لـذلك ينبغي ان يضاف اليها صفات اخرى مضادة لها ليستقيم وجـود العـالم بجانبيه الطالح والصـالح. والخـبيث والطيب .... ان الصـفات الايجابية في القـرآن واضـحة وضـوح الشـمس لا تكـاد تخلو منها صـفحة من صـحفاته. لكن القـرآن ينسب الى الله صـفات اخـرى مضـادة لهـذه الصـفات وقف المفسـرون والمتكلمـون امامها مكتـوفي الايـدي لا يقدرون حيالها على شيء الا الترقيع والثرثرة كعادتهم)

ثم يقـول: (فـإذا قـال الله في القـران مثلا: " أَمْ حَسِـبْتُمْ أَن تَـدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَـدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّـابِرِينَ" فمعـنى ذلك بلا لف ودوران انه كان لا يعلم ثم علم)!!

تعالى الله علوا كبيرا.

لن ارد على هـذا الافـتراء بكلام فلسـفي عن الايمـان لا يفهمه الا المؤمن. هذا الرجل وكافة الملحدين لن يفهموا اي كلام عن الايمـان. كما لم يفهم ابوجهل اسراء الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كـان واضحا عند ابي بكر الصديق كقرص الشمس.

سـأرد بالوقـائع التاريخية الثابتة الـتي لا يتطـرق اليها الشك دون الخوض في كلام فلسفي.
هل تذكرون بدرا وما جرى فيها؟
لم تكن بدر معركة فحسب، بل كـان فُرْقَانا فـرّق اللـه بـه بين الحـق والباطـل وبين الايمـان والكفـر. أعطى الله يومها درسا للإنسـانية سيبقى أثره الى يوم القيامة. في ذلك اليوم بيّن الله للنـاس انه على كل شيء قدير وانه بكل شيء عليم. وانه سـبحانه وتعـالى فعّـال لما يريد. بيّن للنـاس ان الامر بيد الله اولا واخـيرا وليس بيد احد غـيره. وبيّن ان الانسـان يمكن ان يمتلك كل ادوات انجـاز العمل بنجـاح وتفوق لكن ارادة الله يمكن ان تحوِّل كل ذلك الى فشلٍ ذريع.
وسأظل أذكر بدرا في كل وقت وحين لأن عِبرَها لا تنتهي.
حينما خـرج ثلاثمائة رجل من المسـلمين يومها يريـدون عـير ابي سفيان، خرج من مكة الف مشرك وكافر يريدون الحرب والقتال.
حينما أفلتَ ابوسفيان واراد المسلمون العـودة الى ديـارهم – وكـانت اخبار خـروج قـريش لقتـالهم قد واتتهم – أبى الله عـودة المسـلمين دون قتال.
قال تعـالى: " وَإِذْ يَعِـدُكُمُ اللَّهُ إِحْـدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَـا لَكُمْ وَتَـوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَـعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ"([85])
فهل الله سبحانه وتعالى ساق ثلاثمائة مسـلم - خرجـوا لا يريـدون الا قافلة تجارية – الى الحـرب وهو – سـبحانه وتعـالى – لا يعلم نتيجة المعركة مسبقا؟
لو اراد المسـلمون يومها العـودة الى المدينة دون حـرب لاسـتطاعوا العودة. اي انهم لم يكونوا مضطرين لخـوض المعركة. ولكن أمر الله كان الحرب.
ان اي قائد جيش – مثل جيش المسـلمين يومـذاك – مهما بلغ من الذكاء والحنكة والمعرفة بتقنيـات الحـرب ما كـان ليـورّط جيشه في معركة كتلك. بل وكـان ليبحث عن كل مخـرج محتمل للهـروب من التورط في الحـرب. والمسـلمون حقـا ارادوا الا يواجهـوا قريشا وهم على تلك الحال. لكن الله امرهم.

---

[85]) الاية 7 سورة الانفال

لا يشك عاقل في ان الله كــان عالما بما ســيحدث. بل انه ســبحانه وتعــالى هو من قــدّر وكتب ما ســيحدث. وقد حــدث ونفذ امر الله وهُزِمت قريش وكان القُليب مصير سادتها من الملاحدة.
ثم واقعة تاريخية اخرى:
قال تعالى: " قَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا"([86])
قصة هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلّـغ اصحابه انـه رأى في الرؤيا انهم دخلوا مكة وطافوا بالكعبة. فلما جـاءت الحديبيـة و لم يـدخلوها، طعن المنـافقون في رؤيـا رسـول اللـه. فـأنزل اللـه سبحانه وتعالى هذه الآية. ليس وعدا فحسب، بل تأكيدأ منـه سـبحانه وتعالى للمسلمين بانهم سيدخلون المسجد الحرام آمنين. وقد دخلـوا فعلا.
فهل الله كان يَعِد ويؤكّد بما لا يعلم؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.
لو كان الرجل صاحب عقل وعلم حقا لترك الكلام الفلسـفي الاعـرج ولجاءنا بحقــائق ومواقف فعلية تثبت ادعــاءه. لكنه لم يجد ولن يجد. فلا يوجد في القــرآن آية واحــدة تــدل على ان الله قطع وعــدا دنيويا على نفسه ولم ينفذه.
وإن الله – من قبل – انزل على أبي لهب وزوجته انهمـا من اصـحاب النار. و اصبحت سورة "المسد" قرآنـا يتلـوه المسـلمون: " سَيَصْلَىٰ نَــارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُــهُ حَمَّالَــةَ الْحَطَبِ * فِي جِيــدِهَا حَبْــلٌ مِّن مَّسَدٍ"([87]) وسمعها ابولهب ولم يؤمن. وسـمعته زوجتـه ام جميـل ولم تؤمن. لو فقط أسلما نفاقا كما يفعـل المنـافقون لكـان ذلـك مـدعاة للطعن في صــدق رســول اللــه ولربمــا أدى إلى إنهيــار الــدعوة الإسلامية. والمشركون يومذاك يبحثون عن أي نقطة ضَعْف ليضــربوا منها الاسلام فعزّ عليهم ان يجدوا. لو كان القرآن من عند محمد فهل كان ليقدم لهم السيف الذي يستخدمونه في نحر دعوتـه؟؟ وهـل لـو كان اللـه لا يعلم – كمـا يـدعي هـذا الكـافر – كـان لينـزل مثـل هـذه السورة ليؤكد بها على ان فلانا سيموت على الكفر وسيدخل النار؟!!

([86]) الاية 27 سورة الفتح
([87]) الايات 3 – 5 سورة المسد

لا شك ان هذه أدلّة ووقائع تاريخية ثابتة تهزم إدعاءات المرجفين والملحدين.
و كل كلام الملحدين في هذا الشأن ما هو إلا هراء فلسفي. والفلسفة لا ترى الا بعين واحدة.
كما ان هناك بلاغة لا تكون الا في القرآن الكريم، ودقّةً لا تجدها ابدا في كتب البشر مهما بلغوا من الفصاحة والبلاغة والحكمة وذلك في خاتمة الآية الكريمة: " وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ"
ففي نهاية هذه الآية يقول المولى عز وجل: ويقطع دابر الكافرين!!
لم يقل الله "دابر المشركين" رغم ان أغلب جيش قريش كانوا من المشركين الذين جعلوا مع الله آلهة أخرى كاللات والعزى ومناة وهبل.
وإنما قال تعالى "دابر الكافرين" وهم امثال ابي جهل. هم الملحدون الذين لا يؤمنون بأي إله.
إن هذه الآية لتؤكد ان درس بدر هو درسٌ إيماني في المقام الأول. ليبيّن الله للذين إستهزأوا بقصة الإسراء قدرته سبحانه وتعالى على ارض الواقع. ولا أشك أن اصحاب القليب آمنوا يومها بقدرة الله ولكن حيث لا ينفعهم إيمانهم"
فقد ورد أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا في طوي من أطواء بدر خبيث مخبث وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته حتى قام على شفة الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قال فقال عمر يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم "[88]
يا للقرآن وبلاغته!! "ويقطع دابر الكافرين"!!

---

[88] صحيح البخاري

بلى والله وقد قطع دابـرهم إلى يـوم القيامـة ولأجـل ذلـك لن تقـوم للملحدين دولةٌ ذات شأن.

الله وإبليس ...

إني أربأ بنفسي ان اكتب العنـوان كما كتبه هو. فـإذا كـان إلحـاده قد جرده من ثياب التقوى والـورع وتركه عاريا بكل سـوءاته فـإنّي لست مثله والحمد والمِنّة لله.

يقول الملحد في هذا الباب: (هناك في القرآن صفات تنسب الى الله وأحـــرى بها في الحقيقة ان تنسب الى ابليس. بحيث يـــرى المـــرء تـــداخلا بين الله وابليس. هل تصـــدقون ان الإضـــلال الـــذي هو صـــفة رئيسة ثابتة من صفات ابليس ينسب في القـرآن الى الله بمقـدار ما ينسب الى ابليس؟)

ثم يـأتي بآيـات من القـرآن يضـعها في مواجهة بعض كما لو ان هـذه تعادل تلك. ومنها:

"ويضل الله الظـــالمين ويفعل الله ما يشـــاء" ... "ولا تتبع الهـــوى فيضلك – الشيطان – عن سبيل الله"

فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء" .... "كتب عليه من تولاه – الشيطان – فإنه يضله"

"ومن يضـلل الله فما له من هـاد" .... "ويريد الشـيطان أن يضـلهم ضلالا بعيدا"

"أتريـــدون ان تهـــدوا من أضل الله" .... "ولقد أضل – الشـــيطان – منكم جبلا كثيرا"

ويتساءل: (والآن من المضل؟ الله أم ابليس؟ وما الفـرق بينهمـا؟ انا حائر. فهل يشاركني الاخـرون في حـيرتي؟ .... فـاذا كـان الاضـلال و الـتزيين والاغـواء والفتنة صـفات شـريرة مشـتركة بين الله وابليس بنص القران، فما الفرق اذا بين الله وابليس؟)

اولا: انا لا اشاركك في حيرتك، وكل المؤمنين بلا شك مثلي.

ذلك لاننا نعلم من خلال القـــرآن إن الله هو الهـــادي والمُضِـــل، وهو سبحانه وتعالى يهدي الطيـبين الى الايمـان والعمل الصـالح ويـدخلهم الجنة. لأن الجنة لا يـــدخلها الا طيب. و يضل الخبثـــاء الى الشـــرك والكفر ويدخلهم النار لان النار لا يدخلها الا خبيث.

والله سبحانه وتعالى – وهو الخالق – يعرف خَلْقَه معرفة تامة. يعرف منهم الطيب والخبيث.

ألم يقل سبحانه وتعالى: " أَفَـرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَـذَ إِلَٰهَـهُ هَـوَاهُ وَأَضَـلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَـمْعِهِ وَقَلْبِـهِ وَجَعَـلَ عَلَىٰ بَصَـرِهِ غِشَـاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ"([89]) أي ان الله لا يضل الا من كـان خبيث الطوية وهو عالم بهم.

والاية الاولى الـتي سـاقها الرجل هنا تقـول: "ويضل الله الظـالمين ويفعل الله ما يشـاء" أي ان الله لا يضل من كـان في قلبه خـير ولا يهدي من كان قلبه كافرا. ولا شك ان الله مطّلعٌ على قلوب عباده.

سأترك هذا الكلام الفلسفي جانباً و آتيكم بدليل واقعي.

هـذا الملحد نفسـه الـذي نـرد على ترهاته في هـذا الكتـاب، ألم يكن عابـدا متضـرعا الى الله آنـاء الليل واطـراف النهـار؟ ألم يقْضِ جـلّ عمره المديد في تحصيل العلم الشرعي وتدريس القرآن؟ فمن الذي هَوىَ به من علياء الايمان المنير الى قاع الكفر المظلم؟

الله هو الذي أضله.

فهل اضله الله دون سبب؟ بالطبع لا. لان الله ليس ظالما.

لقد قال الرجل بملء فمه انه كـان يشك في وجـود الله منذ ان كـان صبيا. وان الشك ترعرع معه وكبر لكنه كان يقمعه في داخله!!!

فههنا الـدليل على ان الله لا يضل من كـان قلبه مؤمنا ولا يهـدي من كان قلبه كافرا.

---

[89]) الاية 23 سورة الجاثية

وفي الحديث الشريف: "ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمـل اهـل الجنة ثم يختم له بعمل اهل النار، وان الرجل ليعمل الـزمن الطويـل بعمل اهل النار ثم يختم له بعمل اهل الجنة"

لماذا؟؟!

لان الرجل يمكن ان يكون ممن يعمل عمل اهل النار في الظاهر اما في حقيقته فهو مـؤمن ومخلص للـه ومن ثم تظهـر اعمالـه الحسـنة للناس في اخر ايامه في الدنيا. فالرجـل هنـا كـان مؤمنـا وكـان اللـه عالما بايمانه. اما الرجل الآخر فهو من كان كافر القلب لا يؤمن بالله لكنه يعمل بعمل اهل الجنة في الظاهر. يدعو ويتضرع ويقوم الليـالي الطوال ويدرّس القرآن في المسـاجد. وهـو في كـل هـذا كـافر يعلم الله بكفره. فيظهر كفره في اخر عمره كهذا الملحد هنا.

وان كان من آية تدلّ على صدق رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم أقدمها للملحدين فهي قصة شـيخهم هـذا. فقـد إنطبـق عليـه حـديث النبي كما لو فُصِّل على مقاسه. فآمنوا او لا تؤمنوا، هذا شأنكم.

وقد ذكرنا هـذه الآيـات من قبل: " وَاتْـلُ عَلَيْهِمْ نَبَـأَ الَّذِي آتَيْنَـاهُ آيَاتِنَـا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَـوْ شِـئْنَا لَرَفَعْنَـاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِـلْ عَلَيْـهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْـهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِـكَ مَثَـلُ الْقَـوْمِ الَّذِينَ كَـذَّبُوا بِآيَاتِنَـا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"

ان الضـلال اذاً ينبع من نفس الضـال اولا ثم يضـله الله على رؤوس الأشـهاد كما فعل بالرجل في الآية وبصـاحبنا هـذا "الآية الاخـرى" ان صح التعبير!

كما قال الله تعالى في القرآن: " وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَـالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُم مَـا كَـانُوا يُخْفُـونَ مِن قَبْـلُ وَلَـوْ رُدُّوا لَعَـادُوا لِمَـا نُهُـوا عَنْـهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـاذِبُونَ"([90]) وهـذا فيه تأكيد على ان قلـوبهم خبيثة لا ولن يجد نـور الايمان اليها سبيلا.

أما إضلال الشيطان فهو تبع لمشيئة الله. فـإن الشـيطان لا يملك ان يضل احدا الا بـأمر الله. ولو كـان الشـيطان يملك من الامر شـيئا لما قال: "لأضلنهم أجمعين. إلا عبادك منهم المخلصين"

([90]) الاية 27 - 28 سورة الانعام

فالشـيطان لا سـلطان له الا على من أضـله الله وهو – لعنه الله – لا يستطيع ان يضل من هداه الله.
والشيطان نفسه يقول يوم القيامة: " وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَـا كَـانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُـلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَـوْتُكُمْ فَاسْـتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُـونِي وَلُومُـوا أَنفُسَـكُم مَّا أَنَـا بِمُصْـرِخِكُمْ وَمَـا أَنتُم بِمُصْـرِخِيَّ إِنِّي كَفَـرْتُ بِمَـا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"([91])
ثم يقــول: (وان كنتم في شك من ذلكم فـدونكم هــذه الآية الطويلة لتروا ما اذا كان في الامكــان التفرقة بين الله وابليس، وبين الملائكة والشياطين. " وَاتَّبَعُوا مَـا تَتْلُـو الشَّـيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْـكِ سُـلَيْمَانَ وَمَـا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنــزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُـولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَـا يُفَرِّقُـونَ بِـهِ بَيْنَ الْمَـرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَـارِّينَ بِـهِ مِنْ أَحَـدٍ إِلَّا بِـإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُـونَ مَـا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَـا لَـهُ فِي الْآخِـرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَـهُمْ لَـوْ كَـانُوا يَعْلَمُـونَ" قولـوا لي بربكم: هل يفعل الشيطان اكثر مما يفعل هـذان الملكـان؟ هل يفعل ابليس اكثر مما يفعل الله الذي انزل من السماء – نعم من الســماء، صــدقوا او لا تصــدقوا – هــذين الملكين بمهمة مســتعجلة خاصة ذات اهداف محددة محصورة في تعليم الناس السحر. لماذا؟ للتفرقة بين المرء وزوجه وتعليم الناس ما يضرهم ولا ينفعهم. وبعد ان ينفثا فيهم روح الفســاد ويقــدما لهم جميع الاغــراءات والمحســنات لتزيينه في نفوســهم. وبغد ان يتمكن منهم هــذا الفســاد يخنســان كــالثعلب ثم يحـذرانهم من الاتيـان بهـذا الفن الشـيطاني. من المجـرم؟ اللص ام انت الذي اغريته بالسرقة وهيأت له جميع اسبابها ففتحت له الابـواب وكشفت له الخزائن ثم قلت له: اياك اياك ان تسرق شيئا)
اولا: الملكان لا يعلمان الناس السحر ولم يرسلهما الله بمهمة خاصة لتعليم الناس السحر. وليس هنـاك اشـارة في الاية الكـريم لما فهمه الرجل من قريب او بعيد. اذ لا اتصال بين الملائكة و الناس الا الانبياء الرسل وهؤلاء لا يتعاملون بالسحر. ولكن الرجل يفتري كعادته.

---

[91]) الاية 22 سورة ابراهيم

ثانيا ان ما يتعلمه الناس من الشياطين من سحر لن يضروا به أحدا الا اذا شاء الله ذلك. فلا داعي للصراخ والعويل. أما قوله تعالى: "ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم" ليس مقصودا به الناس وانما المقصود ان الضرر يرجع لمن يتعلم السحر لانه كُفْر وهذا بيان للناس الا يتبعوا الشياطين ويتعلموا منهم السحر.
ثالثا ان السحر هو فتنة من الفتن الكثيرة التي يمتحن الله بها الناس في الدنيا وهي كغيرها من الفتن تأخذ بألباب الكافرين ولا يلتفت اليها المؤمنون الذين اخلصوا دينهم لله.
وأما قوله: أغريته بالسرقة وهيأت له الاسباب. فنقول له: إن المؤمن لا يسرق ولو هيأت له ألف سبب وسبب.
المؤمن لا يمنعه من السرقة انه وجد الابواب مغلقة والاسباب منقطعة. إنما يمنعه من السرقة ومن كل الموبقات إيمانه بالله و إجتنابه نواهيه ورعا و خشية. فما هذا الغباء؟!!
" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ، فَقَالَ : انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ : فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ : فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ : فَوَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ : فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ : اذْهَبْ إِلَى النَّارِ، فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا "([92])
وما السحر الا شهوة واحدة من الشهوات الكثيرة التي حُفَّتْ بها النار. فما لهؤلاء القوم لا يفقهون حديثا؟!!

الله الرحمن الرحيم

وفي هذا الباب يولول الرجل ويصرخ صُراخا يصُمّ الآذان.
يظن انه وجد ضالته هنا. ويرى ان هذا هو المكان المناسب ليصبّ جام غضبه على الله سبحانه وتعالى علواً كبيرا.

---

[92]) صحيح الترمزي

يقـول: (الغـريب ان كلمة "رحمة" بمشـتقاتها المختلفة قد وردت في القران 933 مرة. فاذا اضفنا اليها كلمات اخرى ذات معان قريبة من معنى الرحمة مالرأفة والحنو والمحبة والود، ليبلغ تعداد هذه الكلمات ما يزيد على الالف. وبعبارة اخـرى لا تكـاد تخلو صـفحة من صـفحات القرآن من كلمة او اكـثر من هـذه الكلمـات او امثالها. فهل اسـتطاع كل هذا الكم من الايات التي تؤكد خصوصية العلاقة بين الله وخليفته على الارض ان يسد رمقا او يـروي عطشا او يشـفي مرضا او يفـرج كربة او يلبي مطلبا او يقضي وطرا او يدفع ضـررا او يغيث ملهوفا او يضع لقمة في فم جـــــائع؟ لقد كتب الله على نفسه الرحمة فلو لم يكتبها هل كـان ما في العـالم من اللارحمة والظلم والبلاء والكـوارث اكثر منه اليوم؟ ما معنى الرحمة اذا؟ لا ادري).

ان كنت لا تدري فهذا لا يعني عدم وجودها. وان كنت لا تدري – ايضـا – فغيرك يدري. وقد قال الله تعالى: " فَاسْأَلُوا أَهْلَ الـذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جعل الله الرحمة مائـة جـزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءً وأنزل في الارض جزءً واحــدا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشـية ان تصيبه"([93])

هذه الرحمة الواحدة تشمل فيما تشمل حب الوالــدين لابنائهما وحب الابناء للوالدين حتى في الحيوانـات وكـذلك الحب بين الاخـوة والاهل والاصدقاء وحب الوطن والرفق بين النـاس والرفق بـالحيوان وغيرها كثير لا يحصى من التراحم.

ثم ان رحمة الله لا تخطئها عين مهما كـــانت عينا حاســدة او ناقمة. انها – اي رحمة الله – تتجلى في كل شـــيء. في البحـــار الـــذاخرة والانهار الجارية وفي السـحب والريـاح وتعـاقب الفصـول و حـتى في المصائب التى نصبر عليها فتزيـدنا علما ومعرفة ومنعة. وفي كل نِعَم الله "وان تعـــدوا نعمة الله لا تحصـــوها". ولعل أعظم نعم الله على الانسان هو نعمة الاسلام وكفى بالاسلام نعمة.

ورغم ذلك فــإن الحيــاة الــدنيا قائمة على الشــقاء. أما قــرأت قوله تعالى: "لا يخرجنّكما من الجنة فتشقى"

([93]) صحيح البخاري

فالرحمة في الـدنيا محصـورة ولا ينقض هـذا كونه سـبحانه وتعـالى رحيما.
فلو اطعم الله كل جائع وسقى كل عطشان وشفى كل مريض ولـبى طلب كل طالب في الدنيا فما فائدة الاخرة؟
ثم يستمر في الولولة والصـراخ بكلام انشـائي لا معـنى له عن انهـار الجنة التي وعد الله بها عباده المؤمنين وعن الشقاء الذي يعيش فيه الانسـان خليفة الله في الارض في الـدنيا و عن وعن .. معترضا على اقـدار الله وتصـاريفه بكلام فلسـفي فـارغ من اي محتـوى علمي أو منطقي وبالتالي فهو كلام لا يستحق الرد عليه. وهو ببسـاطة شـكوى وغضب وسخط لان الله لم يستجب دعواته وابتهالاته ولم يسـدد دينه ولم ينقذه من ورطته التي ورّط نفسه فيها بما جنت يداه.
ولان الله لم يسـتجب له فهو يظن انه سـبحانه وتعـالى لا يسـتجيب لأحد ولا يعبأ بدعاء أحد.
لقد جعل الرجل نفسه معيارا يقيس عليه جميع الخلائق. وهذا لعمري هو عين ما يسـمونه جنـون العظمة. لكأنه يقـول إن الله طالما لم يستجب لي فهو سبحانه لن يستجيب لغيره!!!

الله قريب مجيب

ههنا ايضا ولولة وصراخ لا يجيد الرجل غيرهما.

يقـــــول: (يصف القـــــران الله بانه "مجيب" ... وكما لم افهم كلمة "رحمة" في القـران كـذلك لم افهم كلمة "مجيب" .... يحثنا الله في القرآن كثـيرا على الـدعاء. "ادعـوني اسـتجب لكم"، ووعـدنا بالاجابة المعلقة على مشـيئته: "واذا سـألك عبـادي عـني فـإني قـريب اجيب دعوة الداع اذا دعان. فليسـتجيبوا لي وليؤمنـوا بي لعلهم يرشـدون". وعلى الخصوص اذا كان الـداعي مضـطرا اي في حالة ضـيق شـديد: "ام من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء" ... هل هذا صحيح؟ هل الله حقا يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء؟ .. الجواب عند الارامل والثكـالى والمظلـومين والملهـوفين والمعتقلين في سـجون اسرائيل بغير حق ... يصـرخون ويولولـون لكن لا مغيث ولا معين .... ما معنى الحض على الدعاء والوعد بإجابة الدعاء في القرآن؟ نبئوني بعلم ان كنتم تعلمون).

نقـــول بملء افواهنا: نعم ان الله يجيب المضـــطّر اذا دعـــاه وغـــير المضطّر. ويجيب دعوة المظلوم حتى لو كـان كـافرا اذا اسـتغاث به. ولم يكن القرآن كتابا لإحصاء اعداد الذين اسـتجاب الله دعـاءهم. بل اننا نشهد كل يوم استجابة الله دعاء هذا وذاك.

ورغم هذا فإن الله اشترط شـروطا لاجابة دعـاء الـداعين. فليس كل من دعا يستجيب الله لدعاءه.

فعن ابي هريرة ذكر الرسول صلى الله عليه وسـلم: "الرجـل يطيـل السفر اشـعث اغـبر يمد يديه الى السـماء: "يا رب، يا رب" ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟"([94])

فإن الله لا يستجيب لامثال هؤلاء.

كما ان الله لا يستجيب دعاء من يدعو الى قطيعة رحم او ظلم ولا يقبل دعاء المنافقين.

اما المؤمن المخلص فإن دعوته مستجابة. قـال الرسـول صـلى الله عليه وسـلم: "رب اشـعث اغـبر مـدفوع بـالابواب لو اقسم على الله لابره"([95])

([94]) مسلم

([95]) مسلم

فقط يقــول: والله ليفعلنّ الله كــذا وكــذا، انه حــتى لم يرفع يديه بالدعاء وانما اقسم بالله في ثقة فيحقق الله قسمه.

ثم انه حـتى المؤمـنين المخلصـين يسـتجيب الله لهم بطـرق عديـدة. فليس طريقة اجابة الله للـدعاء طريقة واحـدة ولا يسـتطيع كائنا من كان ان يلزم الله بطريقة محددة كما يريد هذا الملحد.

فالله ادرى بما ينفع المؤمن وهو سبحانه وتعـالى يسـتجيب بما يحقق ذلك النفع. فإن المؤمن لا يعرف ما يضره او ينفعه اكثر من الله.

وقـال تعـالى: "وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَـدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَـا مِن فَضْـلِهِ لَنَصَّـدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْـلِهِ بَخِلُـوا بِـهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَـا وَعَـدُوهُ وَبِمَـا كَـانُوا يَكْـذِبُونَ * أَلَمْ يَعْلَمُـوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِـرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ"([96])

فليس كل دعاء دعا به المـؤمن يمكن ان يكـون له من ورائه خـير الا ان يستجيب الله له بالطريقة التي تحقق النفع.

ومن الـدعاء ما يصـارع القـدر ويـدفع البلاء عن المـؤمن. ويبقى قليل الايمان يظن ان الله لم يستجب له.

وافضل ما يستجيب الله به الدعاء ان يـدخره للمـؤمن ليـوم القيامة. هناك حينما يرى المؤمن عظيم ثواب دعائه الذي لم يتحقق في الدنيا يتمنى ان لو لم يحقق الله له دعاءً واحدا في الدنيا.

واما الكلام عن الارامل والثكالى والمعتقلين والام الذي يموت طفلها وغير ذلك فهو هراء ملحد لا ايمان له بالله فيتصور الدنيا كما لو كانت دار بقاء.

إن كل من ابتلاه الله وصبر فسـيرى ان شـاء الله نتيجة صـبره جبـالا من الاجر والثواب.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عجبـا لامـر المـؤمن. ان امره كله له خير. وليس ذلك لاحد الا للمؤمن. ان اصابته سراء شـكر فكانت خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكانت خيرا له"([97])

وحـديث آخـر: "مـا أصـاب المـؤمن من هم ولا غم ولا حـزن حـتى الشوكة يشاكها الا كفر الله من خطاياه"([98])

---

[96]) الايات 75 – 78 سورة التوبة

[97]) مسلم

[98]) مسلم

ثم يقول: (اتعرفون من ينجي الله؟ انه ينجي فقط القادر على النجاة الـذي يجيد السـباحة. اي الـذي لا يحتـاج الى تنجية احد .... ولنسـلم جـدلا ان سـفينة كبـيرة هبت الى نجـدتهم فهل تسـتطيع انقـاذ جميع الركاب الذين اقتحم الموج مركبهم فسقطوا في اشداق المحيـط؟ لا يصـمد الا القـادرون. هـؤلاء فقط تسـتطيع السـفينة – او الله بلغة القران – انقاذهم. واما الباقون فقد غـدوا طعاما للاسـماك والحيتـان قبل وصـول النجـدة اليهم. وقد ينجو منهم من ينجو وفي هـذه الحالة فان المصادفة كانت وراء نجاتهم لا الله الذي ترك البـاقين يسـقطون من غير ان يحرك ساكنا. وحتى الاقوياء – اي الذين لا يحتاجون اليه – عرضة للغرق لولا السفينة التي ساقتها المصادفة الى مكان الحـادث المشؤوم)!!!

ماذا يريد الرجل ان يقول بحديثه هذا؟

هل يمكن ان يكون حديثه هذا قائما على اي دعامات عقلية؟ هـل لـه أي سند علمي؟ كلا. انه مجرد تهريج!

انه في المحصلة النهائية يسـتنكر المـوت غرقا. انه لا يريد ان يمـوت الناس غرقا!!!

انه يريد ان ينجي الله كل من كانوا في السفينة. بل انه حتى لو نجوا جميعا انما يعيد ذلك الى الصدفة لا الى تقدير الله!!!

انه يقول في البداية ان القادرين على السـباحة هم من سـينجون من الغرق اعتمادا على قدرتهم وان جميع الضـعفاء سـيكونوا من الهلكى لانهم ضـــعفاء. ثم لما ادرك غبـــاء فكرته اســـتدرك وقـــال ان بعض الضــعفاء ســيكونون مع النــاجين. وان القــادرين ايضا ســيكونوا مع الهلكى ان لم تأت سـفينة الانقـاذ. ثم لما أحس انه اصـبح كالحشـرة التي ولجت شبكة العنكبـوت لا يجد مخرجا مما اقحم نفسه فيه، ققفز قفزة هائلة في سماوات السّفه وقلّة العقل والحيلة واعاد كل شــيء – الغرق والنجاة – الى الصدفة. ويا لِها من صدفة!!!

انا كمؤمن اعرف منذ البـدء ان الهَلْكَىَ انما سـاقهم الله سـوقا لهـذه السفينة ليهلكوا فيها. ولم يأت الهلاك لضعفهم وانما كان لتقدير الله.

هل كل من يموتون على وجه الارض هم من الضعفاء؟ لا.

اذا، لماذا يموت الاقوياء وهم في أوج قوتهم؟

لأن الموت كتاب وأجل. فاذا جاء اجل الانسـان فلن ينجو من المـوت مهما بلغت قوته وعنفوانه.

هل الموت صدفة؟
رغم ان الصدفة لا معنى لها عندي، اقـول: لو كـان المـوت صـدفة او النجاة صدفة لبقى بعض اجدادنا الاقدمين الى يومنا هذا لان الصـدفة لا تخطط ولا تنظم وانما هي خبط عشواء.
قال الله في القرآن: "كل وجه هالك الا هو"
وقال: "انك ميت وانهم ميتون"
وقال: "كل نفس ذائقة الموت"
وقال: "ولا يبقى الا وجه ربك ذوالجلال والاكرام"
وصدق الله العظيم.
فأين الصدفة؟ لماذا لم ينجو احد من الناس من الموت صدفة؟
لانه ليس هنـاك شـيء اسـمه الصـدفة الا في خيـال الملاحـدة. ولان الصدفة ليس شيئا فهو لا يفعل شيئا.
لقد كان اكرم لعقل الملحد ان يؤمن بالله من ان يؤمن بالصدفة.
ثم يقول بعد ذلك كثيرا من الترهات والعويل والصراخ والهـذيان ممـا لا يستحق الرد.

الله خير الرازقين

واكثر سفسطته و نحيبه هو في هذا الباب!
لا شك انكم تعرفون السبب مسبقا. لان كلامه اصبح ممجوجا مكـــررا تشمئذّ منه النفوس والقلوب والعقول.
أكل هذا لانه دعى الله ان يسدد دينه ولم يستجب له؟!
يقول: (الله في القـرآن متكفل بـرزق عبـاده .... ان الله في القـرآن ياخذ على مشـــركي مكة انهم يعبـــدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا .... فهل يملك الله لنا رزقـا؟ ما قــولكم دام فضــلكم بــالفقراء المعدمين من المؤمنين انفسـهم؟ هل يملك الله لهم رزقا ام تـركهم يطوفــــون هم واولادهم وازواجهم على صــــناديق القمامة عســـاهم يجـدون فيها ما يمسك رمقهم؟ فـاذا سـألنا مفسـرينا الثرثـارين عن وضع هؤلاء قالوا: ان ذلك يرجع اما الى ما كسبت ايديهم او الى ابتلاء الله لهم ليرى ايهم احسن عملا؟ ومن السهل الـرد عليهم بلغتهم. اي بان نكيل بالمكيال الذي كالوا لنا به. فنقول: ان الاصـنام اما انها تريد ابتلاء متعبديها او انزال العقاب بهم بما كسبت ايديهم. فاذا قــالوا لنا: ان هـذه سفسـطة. اجبنـاهم: فلم اذن لا تكـون تلك سفسـطة؟ فكلا الجــوابين هما في الواقع سفســطة في سفســطة وترقيع يـراد بهما انقاذ الايمان)!!
إني أسأل: ما هو مفهوم الرزق عند هذا الملحد؟
يبـدو واضـحا من خلال عويله انه يفهم الـرزق على انه حيـاة الـترف والدعة في القصور فحسب.
فهو يسأل: فهل يملك الله لنا رزقا؟!!
سبحان الله!!!
لقد عـاش الرجل ثمـانين سـنة يأكل ويشـرب ويلبس من رزق الله و بلغ من العمر أرذله يتقلب في نعم الله ثم يأتي في آخر عمره يسأل وهو على حافة قبره مثل هذا السـؤال الخـالي من كل حيـاء، المليء بالصفاقة وقلة الادب!!
فـالفقير المعـدم، مؤمنا كـان او كـافرا، فـذلك رزقه. ومن يبحث في صناديق القمامة ويتقوت منها فذلك رزقه.
اما قول بعض المفسرين ان ضيق الرزق قد يكون مما كسـبت ايـدي الناس او ابتلاء من الله فهو قـول لا غبـار عليه ورغم ذلك اضـيف: ان

المؤمن التقي النقي الورع يمكن ان يكون فقيرا معدما، ليس امتحانا بل لان الله يرى ان الفقر خير له من الغنى.
ثم هو يستشهد بالآية: " إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا". واحرى بي انا ان استشهد بها وليس هو.
ثم من قال ان الغِنىَ افضل من الفقر؟
انظر الى افضل انبيــاء الله، موسى وعيسى ومحمد عليهم الصــلاة والسلام، لقد كانوا فقراء. عاشوا ومـاتوا فقـراء رغم انه كـان بيـدهم ان يكونوا اغنى اغنياء بني البشر. لو كان الغــنى افضل من الفقر لما ماتوا فقراء.
هــذا وقد جعل الله النـــاس درجـــات في الفقر والغـــنى كما جعلهم درجـــات في الجمـــال والقبح وفي العلم والجهل وغيرها لـــيرى كيف يعمل كل منهم فيما رزقه الله. ليجــزي الــذين صــبروا على صــبرهم ويجــزي الــذين شـكروا على شـكرهم وليجـزي الـذين سـخطوا على سخطهم.
اما انتقـاده للآية الكريمة: " وَلَـوْ بَسَـطَ اللَّهُ الـرِّزْقَ لِعِبَـادِهِ لَبَغَـوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَـزِّلُ بِقَـدَرٍ مَّا يَشَـاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَـادِهِ خَبِـيرٌ بَصِـيرٌ" وقولـه مسـتهزئا: (فحكمة الله وبصـره اقتضـيا الا يبسط الـرزق لعبـاده كيلا يفسدوا في الارض. وهكذا فان الدنيا بالف خير، لا صــراع بين البشر، ولا نـزاع، ولا حـروب من اجل تـامين الحد الادنى – على الاقل – من الـرزق الـذي يكـاد يمسك الرمق. كلا. لا فسـاد في الارض. فما نـراه من بغي النـــاس بعضـــهم على بعض من اجل تحصـــيل لقمة العيش ليس بغيا. انه من خـــداع البصر والبصـــيرة .... والحق يقـــال. اني لم افهم حـــتى الان هـــذه الآية. هل كل ما نـــرى على الارض من فســـاد وافســـاد وظلم وعـــدوان ليس بغيـــا؟ ... هل نسي الله الحـــروب والمنازعات بين الافراد والدول لسلب بعضهم رزق بعض)!
تعالى الله عما يقول الملحدون علوا كبيرا.
لو كـان الرجل يعيش بين النـاس حقـاً. ولو لم يكن قد شـيّد لنفسه بُرجا من الوهم عاش فيه. لادرك معنى هذه الآية دون عناء.
ان الله حينما قال: " وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَـادِهِ لَبَغَـوْا فِي الْأَرْضِ"، اعطانا امثلة كثيرة من القرآن ومن الواقع الذي نعيشه.
في القرآن: سبأ و إرم وقوم عاد وثمود هي امثلة للناس الـذين بسط الله لهم الرزق فبغوا في الارض وافسدوا فيها.

في القرآن: فرعون وهامـان وقـارون امثلة للافـراد الـذين بسط الله لهم الرزق فبغوا في الارض وافسدوا فيها.
من الواقع الذي نعيشه اليـوم: ان اكـثر دول العـالم بغيا وفسـادا في الارض هي الولايات المتحدة وهي اكثر دولة بسط الله لها الرزق. ثم تاتي بعـدها دول اقل منها رزقا واقل منها فسـادا. لنسـتبين من هـذه الآية الكريمة ان البغي والفساد في الارض يتناسبان تناسبا طرديا مع الغنى.
من الواقع الذي نعيشه اليوم: ان اكـثر الافـراد انفاقا مما رزقهم الله هم فقراء الناس رغم فقرهم.
اذهب الى امـاكن تواجد المتسـولين وانظر من يـدخل يـده في جيبه ويعطيهم ومن يسير من فوقهم كأنه لا يراهم بل وقد يسبهم ويلعنهم إن اعترضوا طريقه.
ويقـول ايضا: (وما امر المجاعـات الـتي تجتـاح معظم بلـدان العـالم الثـالث عنا ببعيد .... اننا نسـمع كثـيرا عن خـزائن الله. "ولله خـزائن السموات والارض" "وان من شـيء الا عنـدنا خزائنه"، ولكنه اتخم به حوارييه المـدللين فنسي من دونهم من اراذل القـوم وسـقط المتـاع مثلي ومثلك).
افتراء وفوقه سفه!!
لو كان الله يعطي فقط احبابه المدللين لما كان في الانبيـاء والرسل فقراء. كان يحـيى و عيسى عليهما السـلام يلبسـان الصـوف. ومـات سـيد ولد آدم عليه الصـلاة والسـلام ودرعه مرهونة. وكـان ينـام على الحصير حتى يرى اثره على جسمه.
الامر لم يكن يحتاج كل هـذا الصـراخ من الرجل لو كـان حقا يريد ان يعرف ما لا يعـرف. لكنه يعـرف وينكر. انما هو شـيء في نفسه اراد الله ان يظهره له على الملأ ليسأله عنه على الملأ ان لم يتب ويرجع.

وما النصر الا من عند الله

وفي بداية هــذا البــاب يفــتري فرية عظيمة ويلــوي عنق الاحــداث والتاريخ.

يقــول مســتهزئا: (قاتل الله المشــركين "اتخــذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصـرون. لا يسـتطيعون نصـرهم". واما الله فهو وحـده الـذي يســتطيع ذلك. هل هــذا صـحيح؟ فها هم المســلمون المؤمنــون قد اتخذوا الله إلها لا شريك له لعلهم ينصرون. فهل استطلع نصرهم في عزوة احد او حنين؟ كلا. وذلك على عهد النبي نفسه وبحضــوره. فلم يغن عنهم ذلك شـيئا. فالله وما شـئت من الآلهة معه لا يســتطيع ان ينصر خاسـرا ولو كـان بعضـهم لبعض ظهـيرا. انه انما ينصر المنتصر فقط. اي الـذي لا حاجة به الى نصر من الله او غـيره من الاصـنام او البشر)!!

اما والله قد أخزاك الله وأخزى المشركين والملحدين يوم بدر.

لقد كــان اهل الكفر قــوة هائلة لا تحتــاج الى نصر من احد – حسب فهم هــذا الملحد – وكــان المؤمنــون قلة ضـعيفة وكــانوا في أمسّ الحاجة الى نصر الله. حــتى ان رســول الله صــلى الله عليه وســلم وقف حاسر الـرأس يـدعو الله متضـرعا إليه ان ينصـره. فنصـره الله نصرا عزيزا.

فما بـال هـذا الملحد يتقـافز على سـنوات واحـداث التـاريخ؟ انهم لو وجدوا سبيلا الى مسح تلك الايـام من ذاكـرة التـاريخ لما توانـوا. لكن الله أخزاهم كما أخزى زعيمهم ابا جهل.

لقد قلنا من قبل ونقوله الآن وبعد الآن: ان الله سبحانه وتعـالى جعل الاســلام خاتمة الاديــان وجعل القــرآن الكــريم خاتمة الكتب. وانه سـيبقى كتـاب الله للنـاس الى يـوم القيامة ولهـذا فهو لا يهتم كثـيرا بالمعجزات كالتي حدثت في الازمان الغابرة.

حدثت معجزات كثيرة في زمن النبي وشهدها اصـحابه ولكن القـرآن لم يوثق لها لانه كتـاب مرسل لزمـان العلم ولاهـل العلم. وليس فيه شيء من الاساطير كما يحاول سفهاء الناس ان يقنعوا به غيرهم.

لقد ولى زمــان المعجــزات وجــاء زمــان التفكّر والتــدبّر والاســتنتاج والاستنباط والتجربة والمعرفة. كل هذا دعا اليه الاسلام.

فاذا كـان الامر كـذلك، فقد اصـبح "اعقلها وتوكل" قاعـدة من قواعد العمل في الاسلام.

الله سبحانه وتعالى قال: " وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ". فاذا لم تُفرِغ جهدك في الاعداد والاستعداد والاخذ بالاسباب فلا تلومنّ الا نفسك.
لقد مضى زمان كان الناس فيه يطلبون المعجزات ليؤمنوا بالله. وكان الله يستجيب لهم. اما في عصر القرآن فقد بلغ الانسان رشده واكتمل عقله وبات الاعتماد على العقل هو المنهج الرباني الذي وجب على الانسان اتباعه.
يوم أحد خالف الجيش امر قائده فهُزِم. والله قد اعذر وانذر. فما كان له ان ينصر من هَزَم نفسه. هذا هو الدرس الاعظم للانسانية جميعا.
ويتعجب الملحد ويقول: (لماذا لم ينتصر المسلمون في حنين؟ لقد اعجبتهم كثرتهم. "لقد نصركم الله في مواطن كثيرة. ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا. وضاقت عليكم الارض بما رحبت. ثم وليتم مدبرين". ان اعجابهم بكثرتهم هو اذن السبب في هزيمتهم. أرأيت تفسيرا للهزيمة أغرب من هذا او اكثر سذاجة؟ الاعجاب بالكثرة هو اعجاب بالنفس والاعجاب بالنفس جريمة لا تغتفر. من قال هذا؟ رب العالمين. هل هذا معقول؟).
إن اي انسان ذو ثقافة او معرفة لا يسأل مثل هذا السؤال.
ان من الحِكَم والماثورات الانسانية قول الحكماء: "لا تستهن بعدوك"، و "لا تحقرنّ عدوك".
أبعد هذه الحكمة يمكن لاحد ان يلقي بالا لكلام دعي العلم هذا؟
لا شك في ان الاعجاب بالنفس – اذا ما حسب كسبب من اسباب النصر او الهزيمة – إذا إقترن بالغفلة عن الله فإنه سيحسب كواحد من اسباب الهزيمة وليس العكس. هكذا تقول التجارب الانسانية عبر الازمان والدهور.
ثم يقول: (ان المسلمين لم ينتصروا بعد ذلك الا بعد نزول الملائكة: "ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها"، أرايت الى التيئيس من الذات وكنوز الذات؟ أرايت الى تحطيم الايمان بالذات والثقة بالذات من اجل الايمان بذات اخرى لا تملك ضرا ولا نفعا؟ ارايت الى الكفر بالجهد الانساني وسلبه جميع مقوماته؟ .... ولعل قمة امتهان الله لجهد الإنسان وسحق ارادته ما جاء في قوله تعالى: " فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ

رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ". لقد فقد المسلمون ارواحهم وديارهم واموالهم وابناءهم وكل ما يملكون. ومع ذلك فلا فضل لهم في هذا النصر انما الفضل كله لله)!!

التيئيس من الذات وكنوز الذات!!

ان افضل وصف لهذا الكلام انه "زبد"، ولا شيء تحته ولا معنى له.

لو كان الله يمتَهِن جهود الانسان لما قال: " مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا"([99])

اهناك تكريم اكثر من ان يقول الله انهم "صدقوا الله" وانهم "ما بدلوا تبديلا"؟

ألم يقل الله: "يقاتلون في سبيل الله فيقَتُلونَ ويُقتَلُون"؟

ألم يقل سبحانه وتعالى: "قاتلوا في سبيل الله"؟

ألم يقل: "قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم"؟

ألم يقل: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة"؟

ألم يقل: "قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة"؟

ألم يقل: "واقتلوا المشركين حيث ثقفتنوهم"؟

ألم يقل: "وقتل داؤد جالوت"؟

في كل هذه الآيات لمن نسب الله القتل؟

للمؤمنين بلا شك. فهم من يقتُلون. هم من يخوضون الحرب ويُقتَلون أيضا.

اما قوله سبحانه وتعالى: "فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى" فهو لا يعني ابدا ان الله سبحانه وتعالى نزل الى ساحة القتال بذاته ليقتل كما فهم الملحد. وهو فهم سقيم ينمّ عن أفقٍ عقلي أضيقُ من وِجَار الضب.

ان الله لا يسلب المؤمنين جهدهم وانما يبيّن لهم ان ما جرى من نصر اوهزيمة انما بتقديره.

ان الله هو الذي وهبهم القدرة على القتال والرمي. وهو الذي ثبتهم حتى النصر.

اما قرأت يوما قول الصحابي الجليل عبدالله ابن ابي رواحة وهو يُنْشِد:

والله لولا الله ما اهتدينا   ولا تصدقنا ولا صلينا

([99]) الاية 23 سورة الاحزاب

فانزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا؟
فذاك هو تفسير الآية الكريمة.
و والله انها لآية بيّنة يفهمها كل من تكلم العربية. الا ان صـاحبنا ينكر ضوء الشمس من رمد.
ثم يتكلم عن بدر!، هل تصدقون؟!
بدر التي لو وجدوا طريقةً لمحَوْا يومها من سجلات التاريخ!!
انها اكبر خزي للكفار والملحدين الى يوم القيامة.
يقول عن بدر: (والحق ان غزوة بدر قمة البسالة والبذل والفداء. انها احدى البطولات الكبرى التي تقرر بها مصير الاسلام. ومع ذلك يـراد لنا ان نصـدق ان الله هو الـذي نصر المسـلمين ببـدر. وبـدلا من ان يشيد القرآن بهذه الطاقـات الخارقة ويعطيها حقها من التقـدير، فانه داسـها بقدميه ليجعل من اصـحابها العوبة بين يديه. فـاذا انتصـروا فبفضـله ورحمته. فما النصر الا من عنـده. اما صـبرهم وجهـادهم فـامران تافهـان لا يسـتحقان كلمة شـكر منه. بل الشـكر واجب له عليهم بالنصر وهم "اذلة". لاحظـوا كلمة "اذلة" واعيـدوا قـراءة الاية من جديد. لاحظـوا ايضا كلمة "لعلكم تشـكرون" ففيها غاية التيـئيس من الذات. وقمة الاسـتعلاء على قـوم حققـوا معجـزة خارقة واقـروا بفضل الله عليهم "ان الله لـذو قضل على النـاس ولكن اكـثرهم لا يشكرون")!!
هو يظن – وان الظن لا يغني من الحق شـيئا – ان بسـالة المسـلمين وجهدهم هما السـبب فقط في النصر. ويظن ان جيشا فيه فارسـان يمكن ان يهزم جيشا فيه ثلاثمائة فارس اذا ما استبسلوا واجتهدوا!!
وحينما أخـزاه الله في بـدر – وهو لا يـؤمن بالله – فلم يجد بـدا من ارجاع النصر الى جهد الناس. وهو الذي ما فتئ يردد في كل حين ان الله لا يسـتطيع نصر الضـعيف وانه ينصر من ليس في حاجة الى نصره. وهذا خزي ما بعده خزي.
ثم يصرخ حزينا لان الله لم يُشِد ببسـالتهم ولم يشـكرهم وانما طلب منهم الشكر!!!
بلى قد وجب عليهم ان يشكروا الله. ونحن المؤمنين الذين لم نشـهد ذلك اليوم ايضا نشكر الله على نصر بدر.

ان البسالة والثبات هما من الله ولم يكن من عند انفسهم. ان قوة الايمان بالله هي التي انتصرت في ذلك اليوم على قوة السلاح. فلو لم يكن المسلمون "مؤمنين" فهل كانوا سينتصرون؟
ان انتصارهم انما يعود سببه الى ايمانهم بالله قبل كل شيء ولهذا وجب عليهم ان يشكروا الله.
وان قول الملحد: (وبدلا من ان يشيد القرآن بهذه الطاقات الخارقة ويعطيها حقها من التقدير، فانه داسها بقدميه ليجعل من اصحابها العوبة بين يديه) هو إفتراءٌ آخر.
ان اشادة الله باهل بدر و تقديره لجهودهم ولبسالتهم فيها أحاديث كثيرة وردت على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم.
"لعل الله اطلع على اهل بدر فقال: افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم"([100])
لا اظن ان هناك تكريما اكثر من هذا.
ثم ان الصحابي الذي شهد بدرا اصبح اعلى درجة من بقية الصحابة فكان الجميع يحسب لهم حسابا. اجلالا وتعظيما لمكانتهم عند الله وعند رسوله.
فاين ما يدعيه الرجل؟!!! ان هو الا تخرص جاهل!
ثم يقول في جهالة ما رأيت مثلها: (ترى. هل كان الله يستطيع نصر الهنود الحمر على الاوربيين؟ وهل يستطيع نصرنا على اسرائيل اليوم؟ لماذا لا ينصرنا عليها. اذا صح ما ورد في الاية السابقة: "وما النصر الا من عند الله" التي تحصر النصر في الله وحده. اذا كان النصر مسألة عشوائية متعلقة بارادة الله وحده الى هذا الحد، فلماذا لا ينصرنا على اسرائيل)
تعالى الله علوا كبيرا.
ان ارادة الله سبحانه وتعالى لا تكون عشوائية مطلقا. لانها ارادة الخالق الحكيم العليم الخبير. وهو سبحانه من يدبر الامر ويفصل الآيات. لكن هيهات للملحد ان يفهم.
وقد قلنا سابقا ان الله امر المسلمين ان ياخذوا بالاسباب فقال لهم: "واعدوا لهم ما استطعتم من قوة". فهذا امر وليس تخييرا. عليك ان تبذل ما في وسعك ثم تتوكل على الله.

([100]) مسلم

ثم يقول مغالطا نفسه: (النصر له اسبابه ومسبباته. فاذا وجدت هـذه الاسباب تحقق النصر. شاء الله ام ابى! فلا الله ولا خمسون إلها معه يستطيع ان ينصر خاسرا! ليت شعري، مـاذا عسـاه يتبقى لله اذا بـدأ القتال وكانت جميع اسباب النصر محققة لفريق دون فريق؟)

سـبحان الله! ما هـذا الغلو في الحقد والحسد!! أكل هـذا لان الله لم يستجب له ولم يسدد دينه وهو نائم على سريره لا يأخذ بالاسباب؟

ألم يتكلم قبل قليل عن بدر وعن بسالة المسلمين؟

هل كانت اسباب النصر مع الكفار يومها ام مع الرسول وصحبه؟

لا ينكر احد ان كافة اسـباب النصر الماديـة كـانت في معيّة جيش الكفار بقيادة ابي جهل.

إذا لماذا لم ينتصر ابوجهل؟

لان اهم سـبب في النصـر لم يكن معهم. بـل السـبب الـرئيس الـذي يفوق كافة الاسـباب الاخـرى مجتمعـة لم يكن معهم. ذلـك هـو إرادة الله. نعم، لـو اجتمعت الانس والجن بكـل مـا يملكـون من قـوة ومن اسباب، لن ينتصروا على إرادة الله. وقد اراد الله ذو القوة المتين ان يخـزي ابا جهل واتباعه من الملحـدين الى يـوم القيامة وقـد فعـل سبحانه وتعالى.

ثم يفتري فرية تاريخية كـبرى ويقـول: (لقد عـرف اليهـود منذ الـدهر الاول ان اي نصر يحرزون في اي قتال يخوضونه في سبيل الله فـان ألوية النصر لن تنعقد لهم بل لله وحده .... " قَـالُوا يَـا مُوسَـىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَـدًا مَّا دَامُـوا فِيهَـا ۖ فَـاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـاتِلَا إِنَّا هَاهُنَـا قَاعِدُونَ" فاذا كان الله سينزع منهم كل حق في النصر، لا سـيما وان اصحاب الارض من العماليق المرهـوبي الجـانب، فلم القتـال ونتائجه معروفة سلفا؟ .. هذا هو منطق اليهـود. واما العـرب فقد كـانوا قوما بسطاء لا يعرفون حسابات الـربح والخسـارة الـتي اختص بها اليهـود. فقد كـان مطلبهم الاول مرضـاة الله والجهـاد في سـبيله ولو لم يحصدوا من هذا الجهاد الا الريح.)

ان هـذا الكلام – لو لم تكن ممن تـابعوا احـداث التـاريخ وعرفوها – يجعلك تظن ان المؤمـنين قد خسـروا الحـرب ضد الكفـار في عهـد موسى وعهد النبي عليهما الصلاة والسلام!!

رغم كل هـذا الافـتراء و الحـديث عن عـدم معرفة العـرب بـالربح والخسـارة الا ان المحصـلة النهائية و الموثقـة تاريخيـا هي ان اليهـود

انتصـروا على العمـاليق واجلـوهم من فلسـطين ودخلـوا فيهـا. وان الحرب بين المسلمين والمشركين انتهت بـاعظم انتصـار في التـاريخ لصـالح المسـلمين. فـاذا كـان الامر كـذلك وهـذا مما يعرفه كل من يعيش على الارض، فما معـــنى كلام هـــذا الرجـــل؟ هل هو فقط كالكلب "ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث"؟؟

الله في القرآن يقحم نفسه في كل شيء

باب آخر من الكلام الفلسـفي الـذي لا طائل من ورائه ولا يسـمن ولا يغني من جوع.

يقول ناعيا وناعقا: (الله في القرآن خالق كل شيء وسبب كل شيء ومحرك كل شيء. ولا يحدث شيء في هـذا العـالم الا بارادته وعلمه وباذنه. فهو يتـدخل في صـغيرة وكبـيرة. مهما كـانت تافهة .... يـرى الغزالي ان الله تعالى مريد للكائنات مدبر لها: فلا يجـري في الكـون قلبل او كثير، صغير او كبير، خير او شر، .... لا يجري شــيء من ذلك الا بقضــائه وقــدره وحكمته. فما شــاء كــان وما لم يشأ لم يكن .... وهــذا التــدخل في كل شــيء والحضــور في كل شــيء نعمة من نعمه .... وهذه النعم لا عد لها ولا حصر. فاذا كانت محصورة في قلة محظوظة فذلك على سـبيل الفتنة والابتلاء. "ليهلك من هلك عن بينة ويحـــيى من حي على بينة" وبالصـــبر تتكشف معـــادن الرجـــال: "ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين")

ولا ادري لِمَ اختـار الاشـاعرة من دون المؤمـنين، ولِمَ اختـار ابوحامد الغزالي من دون بقية العلماء؟

على كل حال ان ما قال به الغزالي هو عقيدة جميع المؤمنين ولا يشذّ عن ذلك أحد. ومن لم يؤمن بهذا فهو ليس من المؤمنين.
لكننا كالعادة نراه يفصح عن رفضه التام لعدم قبول الله دعاءه ويقول:
(يقولون في كثير من الاحيان اذا كان الله سلب احدا المال فقد اعطاه الصحة والعافية. وهي نعمة عظيمة توجب على صاحبها شكر المنعم سبحانه. ليت شعري. ما قيمة هذه النعمة عند من يعيش دون الكفاف)!!
انه يبكي فقره ليس الا. كلام لا معنى له ولا يستحق الرد ورب الكعبة!!
ورغم ذلك اقول: ان الارزاق بيد الله. يعطي من يشاء و يمنع من يشاء. فيمكن ان يكون احدهم غنيا وصحيح البدن ويتقلب في الترف ويتمتع بالنعم. ويمكن ان يكون احدهم فقيرا معدما و فوق ذاك مريضا يتقلب في سرير المرض يتلوى من الالم ولا يجد ثمن الدواء. وفي النهاية، كل هذا من امر الله. فليس لاحد ان يحاسب الله فيما يفعل.
ولا اريد ان اقول لهذا الملحد ان لله حكمة في كل فعله - وهو كذلك بلا شك - وانما اقول له هذه ارادة الله، شئت ام ابيت، فماذا انت فاعل؟ تكفر بالله؟ " مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ "([101]) اما المؤمن فهو يسلم لله تسليما في السراء والضراء.
وفوق هذا اقول: لو كفرت انت ومن في الارض جميعا فلن تضروا الله شيئا. ولو آمنت انت ومن في الارض جميعا فلن تنفعوا الله. فهو سبحانه النافع والضاروهو الغني عن عباده.
يقول: (ان الله في القرآن هو – لا الاوبئة والجراثيم – الذي يحي ويميت)
اولا هل مات كل من مات بالاوبئة والجراثيم؟ لا
ألم يحدث ان مات انسان صحيح الجسم لم يكن يعاني من اي مرض؟

[101]) الاية 15 سورة الحج (

اما الاوبئة والجراثيم وغيرها من اسباب الموت الاخرى هي في الاول والآخر من خلق الله وتقدير الله.
وكل ما ذكره في هذا الباب من ان قـانون الاسـباب والمسـببات هي الـتي تفعل وليس الله، فـنرد عليه بـان الاسـباب لا تـأتي من نفسـها هكذا وانما اوجدها الله.
اما اكثر ما تعجبت له في هذا البـاب هو تعجبه من قـول الله سـبحانه وتعـالى: " وَجَعَلْنَـا مِنَ الْمَـاءِ كُـلَّ شَـيْءٍ حَيٍّ"، ويقـول: (وهل نسـيتم المطر؟ فهو اعظم نعم الله على عباده في الحياة الدنيا. اذ لــولاه ما كانت حياة على الاطلاق. فلا حياة بلا ماء)
ومم يتعجب الرجل؟
هل اثبت العلم ان هناك حياة بلا ماء؟
هل اكتشف العلماء حيوانا او نباتا او كائنا حيا خلق من غير ماء؟
الم يدرك الرجل ان هذه الآية هي من اعظم آيات علم الاحياء؟!!
لا لم يـدرك. رغم انه يقـول انـه كـان يقـرأ الكتب والمجلات العلميـة النـادرة. لكن من جعل الله في عينيه غشـاوة كيف يـرى؟ ومن جعل في اذنيه وقر كيف يسمع؟ ومن ختم على قلبه كيف يفهم؟!
ذهب علماء الاحياء الى القول بـان اصل الحيوانـات واحد. اتفقـوا في هذا وذهبوا بعد ذلك مذاهب شتى، حتى قال أحدهم ان الانسان اصله قرد.
لكن القرآن يقول ان اصل جميع الكائنــات هو ذره هيـدروجين وذرتي اوكسجين وسبق بهذا العلماء.
ثم يقول: (لو كان نزول الماء من السماء بلا عشوائية لكــان آية حقا. اما انه مثلما يعمّــر فهو يخــرّب ومثلما ينقذ فهو يتلف. ومثلما يحــيي فهو يميت. فأين الآية في ذلك؟)
الآية في ذلك ان الله يقـول: " هُـوَ الَّذِي يُـرِيكُمُ الْبَـرْقَ خَوْفًـا وَطَمَعًـا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ"([102])
اي ان الله لم يقل ان المطر دائما خير. فالغلب فيه انه خير حــتى لو دمر وقتل. ان ما يحييه المطر اضعاف اضعاف ما يميته وهــذه حقيقة من حقائق الواقع. ثم اين العشوائية التي يتكلم عنهـا؟ كلنا نعـرف ما هي شهور المطر وما هي شـهور الجفـاف. ام تـراه لا يعـرف في اي الشهور تهطل الامطار؟!

---

[102]) الاية 12 سورة الرعد

ثم يقول: (انظروا الى هذا الاقحام الغـريب لنفسه تعـالى في امر هو باعتراف القران نفسه قد تم وانتهى مسـتقلا عنه سـبحانه: " إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ" اي ان الله لا يغير القــوم الا بعد ان يتغيروا. فماذا تبقى لله في هذه الحالة؟)

هل الله قال "يغير القوم" ام قال " يغير ما بقوم"؟

هل الجملتان لهما نفس المدلول؟

لا بالطبع. الا اذا كـان الرجل لا يعـرف اللغة فقد يلتبس عليه المعـنى فلا يفرق بينهما.

الله لم يقل: ان الله لا يغير قـوم. وانما قـال: "لا يغـير ما بقـوم". اي ان الله لا يغير احوالهم ما لم يغيروا نواياهم واعمالهم.

وهذه الآية في الحقيقة تنسف كثيرا من دعـاوي الملحـدين. ولو كنت مكــان هــذا الضــال لما ذكرته ابــدا بل ولتمــنيت ان لو لم تكن في القرآن، كما يتمنون ان لو لم يكن هناك يوم اسمه يوم بدر.

فالآية العظيمة هذه تثبت حقيقة ان الله قد طوى زمان المعجزات.

وهي – اي الآية الكريمة – تنسف دعــاوي الاســطورة والاســاطير. وتــبيّن بجلاء انك ان لم تــتزرع لن تحصد. وان زرعت قمحا ستحصد قمحا وان زرعت شـوكا ستحصد شـوكا وان تـواكلت فـان السـماء لا تمطر ذهبا ولا فضة.

ومن معاني الآية: ان غـيرت ما في نفسك للخـير و سـعيت له أعانك الله عليه و وفقك و ان غــيرت ما في نفسك للشر و سـعيت اليه فلا تلومنّ الا نفسك.

فإن ذهبت واستدنت مالا فعليك ان تعمل وتجتهد لـترد الـدَيْن. اما ان تنام ملء جفونك حتى اذا جاءت ساعة السداد قمت تـدعو الله، هـذا ما لا يقبله الله منك: "والعـاجز من اتبع نفسه هواها وتمـنى على الله الاماني"

ويسخر قائلا: (القـوي قـوي لان الله منحه القـوة لا لانه اخذ باسـباب القـوة. وهوسـبحانه قـادر على ان يـنزع منه هـذه القـوة اذا وقع في معصية او حاد عن الصراط المستقيم، لا عنـدما يـترك الاخذ باسـباب هذه القوة: "ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم. وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين"، والحق ان الله مكّن المتمكن، اي الــــذي لا يحتـــــاج الى تمكينه. ولم يمكن

اللامتمكن. اي ان الله مكن من ليس به اي حاجة الى تمكينه، وتخلى عمن هو في اشد الحاجة الى هذا التمكين)!!

ما كل هـــذا الافـــتراء على الله وما كل هـــذا الاســـتخفاف بعقـــول الناس؟؟؟

ما يظن بنا الرجل نحن الذين نقرأ كتابه؟؟

هل يظن اننا من اصحاب الكهف نمنا سنين عددا ثم استفقنا لا نـدري شيئا مما جرى في الكون؟

نحن جميعا نعلم ما جـرى في التـاريخ. والتـاريخ الاسـلامي من دون تاريخ الامم الاخري مكتوب بدقة كبيرة.

هل فعلا مكّن الله المتمكن الـــذي لا حاجة له في تمكين الله له كما يزعم الرجل؟

هل كان المسلمون متمكنين يوم بدأت الرسالة؟

لقد مر على هـــذه الـــدنيا يـــومٌ لم يكن فيه على وجه الارض ســـوى مُسلمَيْن إثنين هما رسول الله صـلى الله عليه وسـلم وام المؤمـنين السيدة خديجة بنت خويلد.

وظل المسلمون مستضعفين سنين عـددا الى ان نصـرهم الله ومكّنَ لهم. هـذه قصة يعرفها كل النـاس، فلمـاذا يسـفِّه الرجل عقولنا وهو من ينصب نفسه داعية لتقديس العقل؟!!

ثم يعـــود الى محـــاولات الملاحـــدة المســـتميتة لاثبـــات الاختلاف – المزعـــوم - بين القـــران والعلم. وفي الحقيقة هم يظنـــون ان علم الفلك هو مجال خصب لاثبات مزاعمهم وبالتالي يحاولون تطويع آيات القرآن لاثبات الاختلاف.

وفي البـــدء اقـــول لهم: ان ما وصل اليه الانســـان من علم ليس هو نهاية المطاف ولا نهايـة العلم. وان كثـيرا من النظريـات العلميـة في كل مجالات المعرفة لا تـزال في اطوارهـا الاوليـة. ولا يجـوز عقلا ولا علما ان يكون معيارا يقاس عليه.

ان اغبياء الناس يقولون لك "العصر الحـديث" و "الحداثة" و بعضـهم يقول "نحن في القرن العشـرين" والآن حينما أفل القـرن العشـرون اصـبحوا يقولـون "نحن في القـرن الواحد والعشـرين". ان هـذا ما لخصه الكاتب الامريكي فوكوياما في كتابه "نهاية التاريخ" ليستدل به على ان الانســـان وصل غاية ما يمكن ان يصـــله خاصة في مجـــال الديمقراطية الليبرالية، ثم لما هاجمه العلماء تراجع عن ادعاءاته.

كل هذا نقص كبير في عقل القائلين به.
لا اشك ابدا من انه سياتي بعدنا أقوام سـوف يضـحكون على علومنا نحن اهل القرن الواحد والعشرين.
فلا عصرنا هذا عصر حديث ولا حياتنا حيـاة حداثة كما يتـوهم الاغبيـاء والمغفلون.
وان كل ما نـراه تطـورا لن يكـون غـدا الا تخلفا. كما نـرى نحن اهل القرن الثامن عشر و التاسع عشر وعلومهم.
العلم لم يصل بعد غايته بل ولا عُشر غايته حتى يقـاس عليه القـرآن. او حتى غير القرآن.
ما ادراكم اذا كانت اجهزتنا الفلكية هذه تبيّن لنا الحقائق فعلا؟
ما ادراكم اذ ربما يتم اكتشاف اجهزة اكـثر دقة في المسـتقبل تجعل كل ما توصلنا اليه اليوم هباء منثورا؟
هــذا ليس كلاما انشــائيا ولا فلســفيا ككلام الملاحــدة وانما هو كلام علمي له من الواقع سند ودليل. فكم من اشياء رأتها الاجهزة العلمية بطرق ثم راتها بطرق اخـرى بعد تطـور الاجهـزة او اكتشـاف اجهـزة غيرها.
هل الكــاميرات القديمة الــتي كــانت تصــور فقط اللــونين الابيض والاسود كالكاميرات الرقمية التى تصور الابعاد الثلاثة بألوانها اليوم؟
تلك الكاميرات يوم أُكتُشِفتْ ظنها الناس فتحا علميا لا مثيل له ولكننا لا نقبل بها اليوم ابدا.
هل الاجهزة الطبية التشخيصية التي تصـور اعضـاء الانسـان كمثيلاتها بـالامس؟ مـاذا نقـول اليـوم عن الاشـعة العادية ومـاذا كـان النـاس يقولون عنها يوم اكتشفت؟
يوم تم إكتشاف الراديو "المذياع"، ماذا قال الناس؟
لقـد ظن المؤمنـون يومهـا ان القيامـة اقـتربت وظن الملحـدون ان العلم قد بلغ مداه. فماذا هي نظرتنا اليوم للمذياع؟
ان الملحـدين يلعبـون بعقـول البسـطاء وهم الـذين يخـدعوننا باسم العقل وتقـــديس العقل وهم في الحقيقة ابعد النـــاس عن العقل والعقلانية.
ثم نعـود الى كلامه اذ يقـول: (واغـرب من هـذا ان الله خلق النجـوم لنتهـدي بها. نحن الـذين وجـدنا في الخمس دقـائق الاخـيرة من عمر النجوم الذي يقدر بمليارات السـنين: " وَهُـوَ الَّذِي جَعَـلَ لَكُمُ النُّجُـومَ

لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ".
هل يمكن لاحد اليــوم ان يصــدق ان النجــوم جعلت لتضئ كــوكب الارض التي لا تعدو ان تكون حبة غبـار – وربما دون ذلك بكثـير – في هذا الكون العظيم الذي لا حدود لسعته واتساعه؟)!!
أقـول: انا ايضـا لا اصـدق ان كل هـذه النجـوم جعلت لتضئ كـوكب الارض.
هل قال الله انه جعل النجوم لتضئ كوكب الارض؟؟
الله لم يقل هذا.
لكن الرجل فهم لتهتـــدوا بها في ظلمـــات الـــبر والبحر على انها الاضاءة!!!
لا تضحكوا عليه. ان الضحك على الناس غير جائز. بل ابكــوا معي ان هذا كان معلما للقرآن يوما ما!!
معلوم لأي تلميذ ان المقصود ب "تهتدوا في ظلمات البر والبحر" هو استـخدام النجـوم لمعرفة الاتجاهـات ليلا وقد كـان شـائعا عند البـدو والبحـارة قـديما وحـديثا. ثم ان المقصـود ليس كل النجـوم، انما هي نجــوم محــددة كــانت تســتخدم لمثل هــذه الاغــراض وهي معروفة باسمائها واوقاتها عند من يهتدون بها.
ثم يقول مستهزئا: (كذلك يمُنّ – الله – علينا مد الظل ... فالمعروف ان اي جسم مادي محسـوس موضـوع في الشـمس يـترك ظلا. هـذا الظل يختلف طوله من وقت الى آخر تبعا لقـرب الشـمس او بعـدها عنه. هــذه مســألة واضــحة لا احسب احــدا يشك فيها او يطلب لها تفسيرا ومع ذلك فان الله في القرآن يخلق لها ايديا وارجلا وحركـات وتحركات ليضفي عليها صورة النعمة التي تستوجب الشـكر منا. كأننا اطفال نصدق كل ما يقال لنا: " أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْـفَ مَـدَّ الظِّلَّ وَلَـوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْـهِ دَلِيلًا (45) ثُمَّ قَبَضْـنَاهُ إِلَيْنَـا قَبْضًـا يَسِـيرًا" .. لاحظـوا تعبـير "ولو شـاء لجعله سـاكنا" .. هل من الممكن ذلك؟ ان سكون الظل معنـاه سـكون الشـمس ووقوفها كما وقفت للنبي عليه السلام يوم اسري به وعرج الى السماء)
انظروا كيف اضله الله بعد علم!!!
بعد ان قال ان سكون الظل معناه سكون الشمس ووقوفها، ما يزال يظن ان الله يعني الظل بذاته.

المقصـــود بالنعمة هنا هو حركة الشـــمس والارض لا طـــول الظل وقصره.
أليست حركة الشـــمس والارض نعمة تســـتوجب منا الشـــكر؟ بلى. تستوجب الحمد والشكر فإن عليها حياتنا في الكوكب.
ثم يقول: (هل استطاع الله ان يـدفع عن نبيه اذى السم الـذي دسـته له المرأة اليهودية لتعرف صدق نبوته. فان كـان نبيا من عند الله حقا لم يؤثر فيه السم والا عاجله الموت)
رغم ان قصة السم فيها اقـوال تـدحض مـزاعم هـذا الافـاك، الا ان القرآن نفسه ذكر ان بني اسرائيل قتلوا كثيرا من الانبياء لعل آخرهم نبي الله يحيى عليه السلام. فهل كان الانبياء معصومين من القتل؟
هل مقتل نبي يعني انه ليس نبيا، او ان الله لا يحبه؟؟
كثير ممن يحبهم الله انتقلوا الى جواره الكريم ودماؤهم تسيل منهم. شاهدة على ظلم المجرمين من الكفرة والملحدين.

وهو القاهر فوق عباده

وفي هـذا البـاب عويل كثـير ونحيب حـتى ليشـعر احـدنا كما لو ان دموعه اغرقت المدن والقرى.
صدقوا او لا تصدقوا، انه غاضب لان الله قاهر فوق عباده!!
يقـــول: (ومن مقتضـــيات الهيمنة والقهر المنســـوبين الى الله رفض الآخر ورفض الحـــوار مع الآخر وعـــدم التســـليم له بـــاي حق في المعارضة والمبادرة وابداء الرأي)!!
هل الله له ند حتى يتحاور معه سبحانه وتعالى؟
ليس له ند وتعالى ان يكـون له ند. فمع من اذا يريـده – هـذا الابله – ان يتحاور؟
الله، الخالق، العالم بكل اسرار خلقه، الذي يعرف عن الانســان ما لا يعرفه الانسان عن نفسه، كيف يتحاور مع الانسان؟
هذا منطق معوج لا شيء فيه من العقلانية.
يقول: (ما دخل الله في قضايا الانسان الشخصية التي هي من اخص خصائصه وحق من حقوقه الطبيعيـــة؟ لقد افـــرغ موسى كل ما في جعبته لهدايتهم – يعني بني اسرائيل – فلم يهتدوا. ثم قبلوا ما جاءهم به بالتهديد والوعيد وبقوة السـلاح ان صح هـذا التعبـير. فهل يعد ذلك في شريعة الله ايمانا؟)!!

اما ما دخل الله في قضايا الانسان، فإن الله هو خالق الانسان. ولكن الملحد يتكلم هنا بإعتبـار أن الله لم يخلـق الانسـان. ولكننـا نعلم انه سبحانه وتعالى خالق الانسان. و هو الـذي منح الانسـان تلك الحقـوق التي يسميها الملحدون "الحقوق الطبيعية".
اما قوله ان الله هدد بني اسرائيل حتى قبلـوا الايمـان بما انـزل على موسى، فانه سـبحانه وتعـالى انما اراد بهم خـيرا ولم يـرد بهم شـرا. أرأيت الاب – اي اب – حينما يضـرب طفله الصـغير على خطأ إرتكبه فهل هو يريد الاضـــرار به او الانتقـــاص منه ومن حقوقه ام انه يفعل ذلك حبا فيه وتقويما و تأديبا له حتى يراه على افضل حال؟
ثم يتكلم عن قصة زواج زيد بن حارثة من الســيدة زينب بنت جحش ويقول: (زوجها النبي قسرا عنها مـولاه وابنه بـالتبني زيـدا بن حارثة. فتمـردت على هـذا الـزواج الـذي فرضه الله عليها عنـوة من غـير ان يراعي مشـاعرها. وكـانت النتيجة فشل هـذا الـزواج فشلا ذريعا رغم ان الامر نزل من السماء وهي في ذلك الوقت اعلى سـلطة مرجعية في العالم. لذلك وقع ما لابد منه وهو الطلاق)!
إن لله حِكَماً من كل امر يأمر به او نهي ينهى به.
الملحد يتكلم وكأن الله سبحانه وتعالى لم يكن يعرف ما سيحصل!!
لكن الله كان عالما بما سيحدث. كان عالما بأنها ستتمرد. وان الزواج ســينتهي الى طلاق. ورغم ذلك فرضه عليهما. لأنه ســبحانه وتعــالى اراد ان يقرر امـورا وتشـريعات عـبر ذلك الـزواج. وهـذه التشـريعات بالنظر الى فشل الزواج هي تشـريعات في غاية الاهمية يصـبح فشل الزواج بجوارها امرا تافها خاصة وان الله كان في علمه انها سـتتزوج رسول الله مما يعتبر تعويضا لمشاعرها فوق ما كانت تحلم به.
وذلك الـزواج الفاشل اولا: أكد ان النـاس سواسـية في الاسـلام والّا فرق بين الموالي والاسياد. وثانيا: ألغى فكرة البنوّة بـــالتبني وامر ان يُدعَى الناس لآبائهم الحقيقيين.
وكل هذه الامـور مما لا يفهمها الملحـدون. فهو يقـول: (ولا يكف الله عن تحذير المؤمنين من الخروج عما اختـاره لهم حـتى ولو كـان هـذا الذي اختـاره لهم ضـارا بهم وفي غـير مصـلحتهم كما رأينا في الحالة السابقة). تأكيدا لما قلناه من ان الملحد لا يتسع فهمه لمعـاني آيـات الله. فالله سبحانه وتعالى لا يختار للمؤمنين ما يضرهم ابدا. وحتى لو

بـدا ان اختيـار الله فيه ضـرر في الظـاهر فإنه بلا شك يحمل الخـير المحض في بواطنه. كما ضربنا مثلا للأب الذي يؤدب ابنه.
ثم يتحسر على خلو الاسلام من المعجزات!!!
يقـول هنا: (لكن تظل هنـاك فئة معارضة دأبها المكـابرة والمعانـدة، لقد وضعت يدها على نقطة الضعف التي تتمكن بها من الاسلام وهي افلاسه المطلق في باب المعجزات وعدم اسـتعداد النـبي لتقـديم اي معجزة سوى معجزة القرآن. وهي اسـطورة اسـتولت على الفحـول فما ظنك بما دونهم؟ ولكن المعارضة المشـككة ظلت تتحـدى النـبي انها لا تريد معجزات كلامية فارغة. بل اصرت عليه ان يـأتي بمعجـزة حقيقية من الله تصديقا لنبيه أسوة بسـائر الانبيـاء الـذين جـاءوا قبله في الدهر السالف والذين تحدث عنهم القرآن نفسه. انهم لا يريـدون معجزة "حكي"، بل معجزة "فعل". ويظهر ان النبي كـان يتـبرم بهـذا الطلب ويضـيق ذرعا كلما ألحـوا عليه به لعلمه مقـدما بعجــزه عن تلبيته)!!
الرجل قـام بتـأليف كتابه ليثبت للعـالمين ان القـرآن هو من تـأليف محمد ولا علاقة له بالسماء!!
حسنا ايها الملحد. لو كان القرآن من كلام محمد، وكان محمد يعـرف انه لن يسـتطيع ان يـأتي بمعجـزات، فهل كـان سـيؤلف آيـات عن معجزات الانبياء الذين سبقوه ليطالبه قومه بمعجزات مثلها؟؟!!
هل هنــاك عاقل يؤلف كتابا ليثبت امــرا ما ثم يضع في الكتــاب ما ينقض كل براهينه وادلته؟؟
ان عدم وجود معجزة للنبي عليه الصلاة والسـلام هو دليل على نبوته وليس العكس.
ثم لا افهم انا، لمــاذا يتحسر هــذا الملحد على خلو الاســلام من المعجزات!!
ألم يكفر هو بمعجزة الاسراء رغم انها معجزة في زمانها ذاك؟
ألم يكفر بمعجزة المعراج وبراها ضربا من الاساطير؟
فلماذا اذا يسأل عن المعجزات؟
لكأنه كان سيؤمن بالله لو ارسل نبيه بالمعجزات؟
لا والله. فـإن الله قـال: " سَأَصْـرِفُ عَنْ آيَـاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْـرِ الْحَـقِّ وَإِن يَـرَوْا كُـلَّ آيَـةٍ لَّا يُؤْمِنُـوا بِهَـا وَإِن يَـرَوْا سَـبِيلَ

الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ"([103])

ثم يقول: (الله في القران لا يطيق المعارضة حتى ولو صدرت عن ملائكة السماء. ان موقف الله من المعارض – سواء كان هذا المعارض بشرا او ملكا – موقف واحد لا يتغير. وهو التجاهل والتسفيه وعدم الرد ... والغريب ان الله في القرآن لم يتسع صدره لأحد كما اتسع لابليس فمد له من الحوار والنقاش ما لم يمد للملائكة المقربين انفسهم. ...)

وهذا كلام سفيه نرد عليه بسؤال: كم بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس للاسلام؟

الجواب يعرفه الجميع الا هذا الملحد. لان في قلبه ران.

بقى الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الناس للاسلام ثلاثا وعشرين سنة. اي ان الله صبر على الناس ثلاثا وعشرين سنة حتى اسلموا. فهل ضيِّق الصدر ينتظر كل هذه السنوات؟

مع الله. على الانسان ان يلزم حده

هنا يقول مستهزئاً: (اذكر اصلك ايها الانسان. لا تنس انك من تراب. بل انت من ماء مهين "ألم نخلقكم من ماء مهين"، ولا تكونون من المستكبرين. فالله غني عنك وعن الناس اجمعين. "انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا". ما هذا التحقير وما هذا التيئيس للانسان؟ هل كل ذلك لانه قال: لا؟)

لا ليس كل ذلك لان الانسان قال: لا. بل كل ذلك لانه الحقيقة التي يريد ان يهرب منها الملحد!

الانسان من تراب وهو من ماء مهين. هل في ذلك شك؟

لكن الله لم يذكر ذلك في معرض الاهانة. لان الله سبحانه وتعالى كرم بني ادم وفضله على كثير من خلقه و سخر له ما في الارض جميعا منه. هل بعد هذا يمكن ان يقال انه اهان الانسان؟

اما انه لن يبلغ الجبال طولا فقد اقرّ به الملحد، اما انه لن يخرق الارض فهو لن يخرقها ابدا. اما حشره لمسألة الفضاء هنا فلا اعرف له وجها سوى ان الملحدين يظنون انهم بما وصل اليه علم الانسان في مجال الفلك يمكن ان ينقضوا ما جاء في القرآن ولكن هيهات.

---

[103]) الاية 146 سورة الاعراف

لا يعرف الملحدون ان الله ذكر في القرآن ان في قـدرة الانسـان ان يخرج الى الفضاء. قال تعالى: " يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْـتَطَعْتُمْ أَن تَنفُـذُوا مِنْ أَقْطَـارِ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُـذُوا ۚ لَا تَنفُـذُونَ إِلَّا بِسُـلْطَانٍ"([104]). ولا يقـولنّ غـبيٌّ ان هـذَا لا علاقة له بالسـفر الى الفضاء. فالآية واضحة وصـريحة في ان الجن والانس يمكنهم الفـرار من جاذبية الارض والاجـرام السـماوية مـتى امتلكـوا السـلطان. والسلطان هو القدرة ايا كان نوعها. قوة او علما.

لم يكن احد من سـكان الكـرة الارضـية في عهد نـزول القـرآن يحلم بهـذا مجـرد حلم. فكيف لا يكـون القـرآن من عند الله العـالم بكل ما حدث ويحدث وسيحدث؟

ثم يعود ويصرخ لغياب المعجـزات عن الاسـلام ويقـول: (ان السـؤال الذي طرحه المشركون هو: لماذا يعجز النبي عن الاتيان ولو بمعجزة واحدة من المعجزات الكثيرة التي اظهرها الله على ايـدي غـيره من الانبياء السابقين ولم يحجبها الا عن صفيه وحبيبه خاتم النبـيين وسـيد المرسلين)

لقد تعجبنا من قبل من طلب هـذا الرجل لمعجـزة وهو الـذي يتكلم عن العلم وان القرآن بعيد عن العلم. فلو كان القرآن بعيدا عن العلم لامتلأ بـالمعجزات. اما وانه قد ارسل لزمـان العلم فـان معجزته الحقيقية هو خلـوه من المعجـزات المادية الآنية الـتي تظهر في اوان وجود الرسول فحسب ثم تنتهي المعجزة بموت الرسول.

الاسلام فيه معجزات كثيرة لكن القرآن لم يوثقها:

" معجزات النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة متعـددة، وقـد جـاوزت الألـف، كمـا صـرح بـذلك العلامـة ابن القيم رحمـه اللـه في "إغاثـة اللهفان" (2/691)، وهذه المعجزات منها ما حصل وانتهى، ومنهـا مـا هـو بـاق إلى أن يشـاء اللـه تعـالى، وهـو المعجـزة العظمى، والآيـة الكبرى على نبوة النبي صلى الله عليه وسـلم، وهي القـرآن العظيم، الآية الباقية الدائمة التي لا يطرأ عليها التغيـير والتبـديل، وهـو معجـز من وجوه عديدة : من جهة لفظه، فقد تحدى الله فصحاء العـرب أن يأتوا بمثل سورة منه فعجزوا.

---

[104]) الاية 33 سورة الرحمن (

ومعجز بما فيه من أخبار مستقبلة وقعت كما أخبر عنها، كقوله تعالى : (الم * غُلِبَتْ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ) الروم/1-3 .

ومعجز بما فيه من تشريعات محكمة ما كانت البشرية كلها تهتدي لمثلها .

ومعجز بما فيه من علوم وأخبار عن أسرار هذا الكون، والذي لا يزال العلم الحديث يكتشف يوماً بعد يوم شيئاً فشيئا من هذه الأسرار.

وأما المعجزات التي حصلت وانتهت فهي كثيرة كما قلنا ومن أشهرها:-

1- معجزة الإسراء والمعراج، وقد جاء القرآن بذكر الإسراء صراحة والإشارة إلى المعراج، وجاءت الأحاديث من السنة الصحيحة المستفيضة ببيان المعراج وما كان فيه.

2- معجزة انشقاق القمر، وقد ورد القرآن بذكرها، وتواترت بها السنة، كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى، وأجمع على ذلك المسلمون.

3- تكثير القليل من الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم حتى كان يأكل منه من معه من الجيش، وتبقى منه بقية، والأحاديث في ذلك في الصحيحين وغيرهما.

4- نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وتكثير الماء حتى يشرب منه جميع الجيش ويتوضؤون والأحاديث في ذلك أيضاً في الصحيحين.

5- إخباره صلى الله عليه وسلم بالأمور الغيبية المستقبلة ثم تقع كما أخبر، وقد حدث مما أخبر به شيء كثير، ولا نزال نرى أشياء تحدث مما أخبر به صلى الله عليه وسلم.

6- حنين الجذع إليه لما فارقه إلى المنبر . والحديث في صحيح البخاري.

7- تسليم الحجر عليه وهو في مكة . والحديث رواه مسلم.

8- إبراء المرضى، والأحاديث في ذلك كثيرة في الصحيحين وغيرها .

والمعجزات كما قلنا كثيرة وهذا طرف منها، وقد أَلَّف العلماء في جمع معجزات النبي صلى الله عليه وسلم مؤلفات عديدة كدلائل

النبـوة للـبيهقي، وأعلام النبـوة للمـاوردي، وكتب العقيـدة مملـوءة بذكرها في مبحث الإيمان بالرسل"([105])

ورغم كل ذلك فإن الله لم يشأ ان يثبت معجـزات في القـرآن للنـبي صلى الله عليه وسلم لان زمن المعجزات قد ولى وجاء عصر العلم.

و في نهاية المطـاف آمنت قـريش والعـرب بالله وكـانت الغلبة لله ولرسوله وهذه هي أكبر معجزات الاسلام. انه اقنع الناس بالعقل!!

لقد كان الله عالما بـان النـاس سـيؤمنون بـدون معجـزة. سـيؤمنون بالعقل. وهذا ما اراده الله وهذا ما حدث. وبالتالي فلا معنى لمعجزة. بل ان هذا هو المعجزة بل هو معجزة المعجزات.

---

[105]) https://islamqa.info/ar/103514 (

إله بلا فاعلية

هذا الباب مليء بالفلسلفة العرجاء وبسفسطات لانهائية وبكلام يبدأ ولا يجد له نهاية ولا مخرجا.

فهو يقول: (الله فكرة – وهو ككل فكرة – من ابداع العقل الانساني وانتاج الوعي الانساني لتفسير اصل الاشياء وعلتها ومصادر فعلها. وكذلك الدين فكرة اخترعها الانسان نتيجة التامل في حياته الفردية والاجتماعية وفي مصير الانسان بعد الموت)

هذا نفي لوجود الله بالكلية ولا يحتاج الى شرح.

حسنا انظروا اليه في الاسطر التي تلي مباشرة وهو يقول: (وسواء كان الله موجودا او غير موجود. وسواء كان الدين صادقا او كاذبا فيجب على الانسان ان يؤكد ذاته وان يتصرف في دنياه بحرية ومرونة)

بعد ان نفى وجود الله بالكلية في الفقرة السابقة فاذا به يعود ويشكك في وجوده.

ثم انظروا ماذا قال هنا: (فاذا صح وجود الله – وهو امر لا انفيه بالاطلاق – فليت شعري اين هو؟ اين عساه يكون؟ واذا كان من غير الممكن الاجابة عن هذا السؤال الذي لا يجوز طرحه، فأين هي آثاره؟)

ويقول في مكان آخر: (وليس معنى ذلك ان الله غيرموجود. بل انا اؤمن بوجوده ترجيحا لا تارجحا.)

هل هناك تخبط اكثر من هذا؟!!

انكر وجود الله بالكلية ثم عاد وشكك فيه ثم ما لبث ان أقرّ به. ثم يعود وينكر ثم .. وهكذا بلا نهاية كالساقية التي تأخذ من النهر وتصب في ذات النهر!!

عجبا للملحدين حينما يسَألون عن ذات الله كما كنا نفعل ونحن اطفال. وعجبا اكثر حينما يسألون عن آثار الله!!

فما تكون انت ان لم تكن أثرا من آثاره سبحانه وتعالى؟؟؟

يقول: (يعتقد اكثر الناس، بل ويشاركهم في هذا الاعتقاد عدد كبير من الفلاسفة الكبار، ان الايمان بالله يدخل في باب الضرورات العقلية واوائل المعرفة. انه احدى البديهيات التي لا شك فيها.

والغريب ان القرآن ينجرف هو ايضا في هذه الدعوى ويذهب في تكريسها الى حدها الاقصى " أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ"، وفي راينا ان هذه المسألة فيها نظر. فلو كانت معرفة الله ضـروريَة، اي مغـروزة في النفس بـالفطرة والطبيعة، لما احـتيج في اثبـــات وجـــوده الى دليل. ولما انكر وجـــوده احد كما لا احد ينكر الضرورات)!

اولا ان وجود الله لا يحتـاج الى اثبـات ولا الى دليل. انت موجـود؟ اذا الله موجود. لانك لا تستطيع ان تنكر انك مخلوق، فاذا لابد من خالق. انتهى الامر.

ولا يقـولنّ احد ان الصـدفة خلقت. لان هـذا مما لا يقبله عقل. بل هو تسفيه للعقل. وهو في النهاية احالة الى مجهول.

اما قوله "والغريب ان القرآن ينجرف هو ايضا"، ما الغريب في ذلك؟ ان كل دعوات القرآن قائمة على مفهـوم ان الله معـروف بـالفطرة. فهل هنا غرابة؟

ثم انها ليست الآية: " أَفِي اللَّهِ شَـكٌّ فَـاطِرِ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" هي التي يحتج بها هنا. انما هنـاك آية تقـرر صـراحة معرفة الله بـالفطرة. وهي الآية الكريمة: " وَإِذْ أَخَـذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُـورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْـهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِـهِمْ أَلَسْـتُ بِـرَبِّكُمْ ۖ قَـالُوا بَلَىٰ ۛ شَـهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ"([106])

ثم ان الانسان الاول وهو آدم عليه السلام يعـرف الله. لان الله خلقه بيديه واســـــكنه جنته وتكلم معه وانزله من الجنة الى الارض. اذاً الاصل في الانسان هو معرفته بالله. ثم لما امتد الزمـان وبـدأ ابليس ينفذ وعده " وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَـادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِـينَ"، حينها بـدأ النـاس يضـلون عن الله. بقـوا على ايمـانهم بالإله لكنهم فقـدوا المعرفة بكنهه فاتخـذوا آلهة حسب ما زين لهم الشـيطان. ثم أرسـل الله الرسل ليعيدوا الناس الى الجادة.

اما الالحـاد والكفر بوجـود الإله مطلقا فهو أمر متـأخر ربما ظهر في عهد نوح عليه السـلام. لان قصة ابن نـوح تـبيّن ان هـذا الابن لم يكن مؤمنا بـأي إله. اي انه كـان ملحـدا. فقـد نـاداه النـبي نـوح: " يَـا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ" قـال: " سَـآوِي إِلَىٰ جَبَـلٍ يَعْصِـمُنِي مِنَ الْمَاءِ". ورغم ان والده النـبي قـال له: "لَا عَاصِـمَ الْيَـوْمَ مِنْ أَمْـرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ"، الا ان الولد الملحد ما كان يصـدق ان مياهـا، مهما بلغ، يمكنه ان يغرق كل الارض بما فيهـا من جبـال. فهو بلا شك كـان

---

[106]) الاية 172 سورة الاعراف (

ممن يـدعون الى تقـديس العقل. ولكن فـار التنـور و فتحت السـماء بمـاء منهمر وفجـرت الارض عيونـا و التقى المـاء على امر قد قـدر. وهلك المشركون وهلك الملحدون الـذي لم تسعفهم عقـولهم. ولات حين مناص.

وفي خاتمة كتابه يقـول: (وفي الختـام اعـود الى تـذكير القـارئ بـان كتب التفسير فيها غث كثـير لا يسـاوي المـداد الـذي اهـرق فيها. لقد فاضت قرائح مفسرينا في هذه الكتب وغرقوا في اوحال لا قرار لها. وكانوا كلما تحركـوا فيها قـذفت بهم الى مكـان سـحيق. فلم يغـادروا صـغيرة ولا كبـيرة في القـرآن الا تصـدوا لها بالعقل حينا و بالسـخف احيانا .... اجل ان كتب التفسير محشـوة بالسـخف والغبـاء والهـذيان والاسطورة ونثر البخور)!

هل هذا كلام انسان له باع او ذراع في العلم؟

لو كان الرجل من زمرة العلمـاء، لتواضع تواضع العلمـاء، ولما جـرى قلمه بمثل هذا القول التافه.

إن اقل واجب علينا تجاه رجـال قضـوا اعمـارهم في العلم والتفسـير ان نقول لهم: احسنتم. جزاكم الله عنا خيرا. اما ان نسفّه مجهـودهم ونقلل من شأنهم فـذاك لعمـري لا يكـون الا من جاهل دعيّ علم. ولا يشتم العلماء الا الحمقى.

والاسـلام نفسه دعا النـاس للاجتهـاد والاسـتنباط. بل و قـرر الثـواب للمجتهد حتى وان اخطأ.

لكن ادعياء العلم ابدا – في اي زمان واي مكـان –يظنـون ان ما جـاء به غيرهم ليس شيئا يذكر.

انظروا الى هذا القول: (انما انا اصف ما وجـدت في القـرآن. واقـرر ما سـمعت منه وما رايت فيه. بيـدي المسـبار، والمـيزان، والمكيـال، وآلة التصوير وجهاز التسجيل. فلست هنا في معرض التقويم. انما انا في معرض الوصف والتقرير)!!

فهل هناك كبر وانتفاخ اوداج اكثر من هذا؟

يظن الرجل ان فهمه – ذلك الفهم السـقيم الـذي رأينـاه – هو منتهى مقاصد القرآن وانه لا يحق لاحد ان ياتي بفهم مختلف. فإن جاء، فهو قد جاء بالحشو والسخف والثرثرة!!!

في الختام

لقد تركت مقالة قالها الرجل في كتابه لأختم به عملي هذا.

تــركت تلك المقالة لا لأبيّن لكم وهن عقل الملاحــدة والعلمــانيين بل لكتشــفوا ذلك بأنفســكم. فهــذه المقالة توضح بجلاء المحنة الــتي يعيشها هؤلاء الناس الذين لم يجعل الله لهم حظا في الايمان ولا في الاسلام.

بعد كل هذا الزعيق الـذي ملأ به الرجل كتابه شـتما في القـرآن ورب القـرآن وفي الايمـان والمؤمـنين، يقـول: (أنا لا ادعو الى التخلي عن الدين، فهذا مطلب عسير، بل هو طلب ما لا يُطلَب).

أليس أمره عجبا هذا الرجل؟ إذا لماذا ألف هذا الكتـاب أصـلا؟ ومـاذا كـان يقصد بحـرق القـرآن و تـرك الحج و شـعائره و إلغـاء غـيره من العبادات؟

ثم إذا كانت الدعوة الى ترك الـدين هو طلب ما لايطلب، فمـاذا كـان يطلب هو في كتابه من مقدمته الى خاتمته؟

ليس هناك تسفيه لعقل القارئ أكثر من هذا.

ثم يســتمر في اللعب بــالعقول قــائلا: (قلت اني لا ادعو الى التخلي عن الــدين، انما ادعو الى عــدم الاحتكـام في كل شئ الى الــدين ... وذلك باعتماد العلمانية منهجا فكريا وحياة. ليست العلمانية إلحــادا او دعوة الى الالحاد كما يصورها اعداؤها انما هي وضع حد للتــداخل بين الدين والدولة، اعتقد ما شئت، لكن إياك ان تلـزم الآخـرين بعقيـدتك وتجعل منها نظاما للحكم والحيـاة، فالـدين لله والـوطن للجميع، هـذا هو شـعار العلمانية، فلا شـأن لله في شـئون الـوطن، هـذا هو شـعار العلمانية)!!!!

بئس الشعار والله هو شعار العلمانية، فإن الدين لله والوطن لله وما الانسان الا عبد لله شاء ام أبى.

دائما ما اصف العلمانيين بأنهم منـافقو هـذا العصر، و احب ان اطلق عليهم لقب "السـلولية" تيمنا بــزعيمهم عــدو الله عبدالله بن ابي بن سلول.

جادلتهم كثيرا على صفحات "فيسبوك"، فما عـرفتهم الا قوما تـائهين ابدا في صحاري الفكر لا يكادون يجدون سـبيلا او مخرجا من المـأزق الـذي وضـعوا انفسـهم فيه. هم والملحـدون سـواء الا انهم يظهـرون الايمان ويبطنون الكفر. يقولون نحن لا نكفر بالدين بل نحن مؤمنـون

بالله وبالاديان لكننا نطلب ان يتم ابعـاد الـدين عن السياسة وشـئون الحكم.
سألت أحدهم: هل انت مسلم حقا؟
قال: نعم، واصلى الخمس واصوم رمضان
سألته: وتطلب عدم تطبيق الشريعة الاسلامية؟
قال: نعم لأن الدولة فيها غـير المسـلمين وهم مواطنـون مثلنا ويجب ان يكونـوا متسـاوين معنا في الحقـوق والواجبـات ويجب ان تكـون المواطنة هي اساس هذه الحقوق والواجبات لا الدين.
ســألته: ألا يمكن ان تتحقق هــذه المســاواة الا بتنازلنا عن تطــبيق الشريعة؟
قال: لا
سألته: هل تؤمن بالقرآن؟
قال مستنكرا في حدة: ما هذا السؤال السخيف؟ قلت لك انا مســلم ومن يدري ربما اكون ملتزما بتعاليم الدين اكثر منك.
سألته: إن كنت مسـلما حقا و ملتزما بتعـاليم الاسـلام حقا، ألم تقـرأ هذه الآية التي تقول: "والسارق والسارقة فأقطعوا أيديهما جــزاء بما كسبا، نكالا من الله" صدق الله العظيم.
سـكت محملقا في وجهي فبادرته: أليس هـذا أمـرا من الله بقطع يد السارق؟
بدا عليه الارتباك فعاجلته: هل هو امر ام لا؟
بدأ يهز رأسه في كافة الاتجاهات ويتمتم بكلمات غــير مفهومة فقلت له: أخي، ان كنت مسلما حقا فليس في يدك ولا من حقك ان تتنازل عن شريعة الله الذي امر بتطبيقها في كل شئون الحياة. اما ان كنت غير مسلم فدعك من النفاق والعلمانية واعلن الحادك صراحة.
وحتى هذه اللحظة لم أجد علمانيا استطاع ان يجيب على ســؤالي. و اعلمُ انهم لن يستطيعوا ما دامت السموات والارض. فما أرى لهم الا واحدا من سبيلين:
أن يتوبوا الى الله حقا ممـا هم سـادرون فيـه، أو ان يعلنـوا إلحـادهم صراحة كصاحبهم هذا.
ليس هناك طريق ثالث. فإن الله يقول: " هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَــاجٍ

نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا"([107])
ويقول: " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ * أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا * أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ * أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ".([108])
فليس هناك نجد ثالث.
فالانسان أمامه سبيلان، إما من أصحاب الميمنة او من أصحاب المشأمة.
والآن دعونا نثبت بالعقل والمنطق دون غيرهما ان القرآن الكريم ليس كلام النبي صلى الله عليه وسلم. وانما هو كتاب الله.
يتكلم الملحدون عن تقديس العقل دائما وابدا وقد رأينا ان عقل الانسان ليس كاملا حتى يعتمد عليه.
ورغم ذلك فإن أسئلة منطقية لابد ان نضعها امام الملحدين.
أول هذه الاسئلة: ماذا يريد كل انسان ان يحقق في حياته؟ او لنقل عم يبحث كل انسان في حياته؟
في علم النفس يقولون ان الانسان جُبِلَ على الراحة. فهو دائم البحث عنها بكل السبل ولو وجد طريقة ليجعل كل الناس خدما لراحته فلن يكون لديه مانع. بل انه فعلا يرغب في هذا ويبحث عنه.
كما ان الانسان جبل على حب المال لتحقيق تلك الراحة اولا و ليكون متميزا يشار إليه بالبنان.
كما انه جبل على حب الزعامة والرياسة ايضا لتحقيق راحته وليجعل الناس في خدمته.
لا يختلف اثنان في ان حب المال والرياسة و الوجاهة هي اهم الشهوات التي يسعى الناس لتحقيقها. و هي سبب اغلب الحروب التي اشعلها الناس في الارض. وتكاد كل الشهوات الاخرى تكون منضوية تحت الشهوات الثلاثة المذكورة.
فإذا كان الامر كذلك. فماذا كان يريد النبي صلى الله عليه وسلم من قيامه بالدعوة؟
في بداية عهد النبوة عرضت عليه قريش ان يجعلوه ملكا عليهم او يجمعوا له من المال حتى يكون اغناهم. فرفض النبي كل ذلك.

([107]) الايات 1 -3 سورة الانسان
([108]) الايات 4 – 10 سورة البلد

فبربكم هل يكتب الكُتّاب كتبهم الا من اجل المال والشهرة والزعامة في مجتماعاتهم؟
هل يسعى كل من يسعى في هذه الدنيا – الا من رحم الله – الا من اجل تلك الاهداف؟
لو لم يكن محمد نبيا. ولو كان يؤلف القرآن من عند نفسه لقبل بعرض قريش دون تردد. اذ لماذا كان يؤلف القرآن – ان كان هو من ألفه؟
هل كان سيصدق ان يبلغ دعوته ما بلغت ان لم يكن من عند الله؟
لو كان هو من يؤلف القرآن كان ليكون لديه بعض الشك مهما بلغ ثقته في نفسه وفي دعوته. لكنه لم يشك لحظة واحدة ولم يتردد ابدا في الرد على قريش بكل حزم وحسم.
لو لم يكن محمد مرسلا من عند الله فلماذا رفض السلطة والمال والراحة و اتعب نفسه كل ذلك التعب؟ حوصر هو واهله بشعاب مكة حتى ما وجدوا ما يأكلون. خرج من بلدته يطلب النصرة في ثقيف التي آذته ورمته بالحجارة حتى سالت كعبيه دما وهو يسير حتى بلا ركاب في هجير الشمس. ثم خرج من بلدته فرارا من العذاب و التضييق الى بلاد غريبة.
بل حتى حينما آواه الغريب لم يجد الراحة فكان يخرج في الحر والبرد الشديدين باصحابه الى المعارك. بل وتعرّض للضرب وسالت دماؤه وكسرت سنه.
ثم عاش فقيرا ينام على حصير يظهر أثره على جنبه ويخرج ليلا او نهارا من شدة الجوع ويربط على بطنه الحجر وبعد هذا مات فقيرا ودرعه – وهي كل ما يملكه من مال – مرهونة؟
كل هذا وغير هذا من النصب والتعب والارهاق والعذاب لماذا؟
بالمنطق والعقل ايها الملاحدة هل يمكن لرجل غير نبي ان يرفض حياة الدعة والترف والعز والمجد ويختار كل هذا الشقاء؟
ثم لو لم يكن نبيا وكانت له دعوة يريد ان يقيمها في الناس او يريد ان يقيم مجدا للعرب لاختار المُلك ثم كان له بعد ذلك ان يدعو الى دعوته وهو في موقف قوة ومنعة ولما استطاعت قريش يومها ان تمنعه او تطرده. بل ولوصل الى مبتغاه بأسرع من درب الكد والجهد الذي سار فيه.
ألا يدل كل هذا على نبوته؟؟؟

اما القرآن فهو شاهد بنفسه على انه من عند الله ...
من أين لمحمد او لأي انسان في ذلك الزمان ان يعرف ان الصوت يمكن ان يقتل؟
فإن القرآن يقول ان أمما قتلها الله بالصيحة. وهذا ما لم يكن يعرفه الناس الى عهد قريب.
من أين لمحمد ان يعرف ان البحار حينما تتلاقى فانها لا تختلط فورا وانما يبقى بينهما حاجز يمنعهما من الاختلاط؟ هذا مع العلم ان النبي صلى الله عليه وسلم عاش في الصحراء حيث لا نهر ولا بحر.
من اين لمحمد العلم بان الشمس والقمر والكواكب والنجوم تدور في افلاك وتسبح في الفضاء؟
فالقرآن يقول: "وكل في فلك يسبحون"
من اين لمحمد او لاحد في زمانه ان يعلم ان جميع الاحياء هي امم وعشائر مثل البشر؟
وهذه الآية الكريمة: " ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ "[109] ألا تدل على انها من عند الله؟ لو كان القرآن كلاما بشرياً ولو كان كلاما لرجل بدوي لما خطرت هذه الآية في عقله أبداً.

و غير هذا كثير.
ولكن أهم ما يتمسك به الملحدون للتدليل على وجود خطأ علمي في القرآن هو الآية الكريمة التي تقول: " يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ " في سورة الطارق.
وتقول الآيات: " فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ "[110]
ظل الملحدون يضحكون علينا حيناً من الدهر و هم يقولون في هزء وسخرية: القرآن يقول ان الانسان يخلق من شيء في عظام صدر المرأة – وهم يقصدون "الترائب" – وقد أثبت العلم خطأ هذ القول.
إستند الملحدون في طعنهم هذا على بعض تفاسير القرآن القديمة الذين فسروا "الصلب والترائب" بأنها صلب الرجل وترائب المرأة. وقد ذهب مفسرون آخرون الى ان "الصلب والترائب" مقصود بهما

[109]) الاية 41 سورة الروم
[110]) الايات 5 – 8 سورة الطارق

صلب وترائب الرجل فقط. وذهب قسم ثالث من المفسـرين الى ان المقصود هو صلب وترائب الرجل والمرأة معا.
رغم كل هـذه الاختلافـات الا ان الملحـدين ظلـوا يتمسـكون بتفسـير واحـد من تلـك التفاسـير وهـو التفسـير الاول وسـحبوه على بـاقي التفاسير بل وقدموه على انه المعـنى الحقيقي للآيـة ومن ثم طعنـوا به في القرآن وظلـوا يتشـدقون بهـذا دهـرا من الزمـان ومنهم من لا يزال يتكلم عما يظنه أكبر الاخطاء العلمية في القرآن.
أول ما ينبغي ان يقـال وقـد قلنـاه كثـيرا هـو ان تفاسـير القـرآن هي إجتهـادات بشـرية قـد تصـيب وقـد تخطئ وبالتـالي ان الطعن في القـرآن باسـتخدام تلـك التفاسـير هـو منـافٍ تمامـا لأسـس البحث والإستقصـاء العلمي. وفي هـذا يخـالف الملحـدون العلم الـذي يتشدقون به وهم أبعد ما يكونون عنه.
الشيء الثاني الذي ينبغي ان يقال وقلنـاه ايضـا هـو ان القـرآن ليس كتابـا لزمـان بعينـه وان لكـل زمـان مفسـروه. وان تفسـير القـرآن يستصحب معطيات الزمان العلمية والبيئيـة وغيرهـا من احـوال اهـل الزمان. ولا يعقل ان يتمسك الناس بتفسير مـرّ عليـه اكـثر من الـف سنة ليلزموا به الناس ولا يجـوز ابـدا قفـل بـاب الاجتهـاد في تفسـير القرآن.
أمـا بالنسـبة للآيـة: " يَخْـرُجُ مِن بَيْنِ الصُّـلْبِ وَالتَّرَائِبِ" فهي في حقيقتها معجزة علمية رغم أنني لست من انصار ما يسـمى بالاعجـاز العلمي في القرآن ذلك لان كـل مـا ورد في القـرآن الكـريم هـو من الحقائق التي لا تقبل الجدل عرفها الانسان او لم يعرفها.
اقول ان الآية: " يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ" هي حقيقة ربانية لا تقبل الجدل حتى لو بدا لنا ان العلم يخـالف ذلـك. لان علمنـا محـدود ولم يحط الانسان بكل شيء علما. وما لا نعرفه اليوم سـيعرفه اهـل الغد. ونظرياتنا العلمية اليوم ربما تهدمها نظريات الغد وتجعلهـا هبـاءً منثورا. لهذا فإن ربط تفسير آيات القرآن بالنظريات العلمية هو خطأ فادح ينبغي الابتعاد عنه. واذا ربطنا اي آية قرآنية بـأي نظريـة علميـة يجب الا نقدمها للناس على ان ذلك اعجاز علمي في القرآن. لانه اذا ثبت مستقبلا خطأ تلك النظرية العلمية فإن هذا مما سيشكك النـاس وسيمنح الفرصة للملحدين للطعن في كتاب الله.

ورغم كل هذا فإن الآية الكريمة: " يَخْـرُجُ مِن بَيْنِ الصُّـلْبِ وَالتَّرَائِبِ" يحتاج حقا الى تفسير عقلي وعلمي لتصحيح مفهومها.

ان التفسير الذي يقول ان "الصلب" هو صلب الرجل وان "الـترائب" هي ترائب المرأة هو تفسير أبعد ما يكون عن الصواب برأينا.

اما التفسير الذي يقول ان الصلب والترائب هي في الرجـل والمـرأة معـا فهـو التفسـير الاقـرب للصـواب لأن الآيـة الكريمـة لم تقـل ان الصلب في الرجل والترائب في المرأة وانما جمعهمـا معـا. وبالتأكيـد ان الـذين قـالوا ان الصـلب والـترائب في الرجـل دون المـرأة هم يقولـون هـذا إجتهـاداً منهم فقـط مسـتندين في ذلـك على ان كلمـة يخرج مقصود به "الماء الدافق" وقالوا ان المـاء الـدافق لا يخـرج الا من الرجل وهو المَنّي.

على ان الـذين قـالوا ان الصـلب والـترائب في الرجـل وحـده او في الرجل والمرأة معا، قالوا ذلك قياسا على ان "يخرج من بين الصـلب والـترائب" هـو اشـبه ب "يخـرج من بين فـرث ودم لبنـا سـائغا للشـاربين". ويقولـون ان الفـرث والـدم هنـا همـا فقـط في المـرأة وبالتالي فان الصلب والترائب يجب ان تكون ايضا في الرجـل وحـده او في الرجل وفي والمرأة كذلك.

أقول ربما "بين فرث ودم" يريد ان يقول بإخراج مادة جديدة من بين مادتين. أما "بين الصلب والترائب" فهو يريد ان يحـدد مكانـا مجهـولا بين مكانين معلومين.

فالصلب هو مكانٌ في الجسد وكذلك الـترائب مكـانٌ في الجسـد. إن تحديد مكان مجهول بين مكانين معلومين يـوجب ان يكـون المكانـان المعلومــان في جســم مشــترك. إذ ليس من المعقــول ان يكــون المكانان في جسمين مختلفين.

فإذا أردت مثلا ان احدد مكان قطعة حلوى بين قطعتي حلوى أُخريين فلابد ان تكن قطع الحلوى الثلاثة موجودة على ذات الطاولة، اذ ليس من المعقول ان اقول ان قطعة الحلوى الاولى موجـودة بين قطعـتي حلوى موجودتين في طاولة اخـرى. هـذا القـول لا يسـنده منطـق ولا عقــل ولا علم. فليس من المعقــول ان أحــدد مكانــا بين مكــان في الرجل "الصلب" وبين مكان في المرأة "الترائب".

وبالتـالي فإنـه حينمـا يقـول اللـه سـبحانه وتعـالى: "من بين الصـلب والترائب" فلابد ان يكـون الصـلب والـترائب موجـودين داخـل جسـم واحد، سواء كان هذا الجسم هو جسم الرجل او جسم المرأة.
وبالتالي أيضا فإن القـول بـان "الانسـان" كمـا في بعض التفاسـير او "الماء الدافق" كما في تفاسير أخرى يخرج من بين صلب في الرجل وترائب في المرأة هو قول لا يصح لغـةً ولا عقلا ولا واقعـا. والصـحيح هـو ان "الانسـان" او "المـاء الـدافق" يخـرج من مكـان في جسـم الانسان - سواء كان هذا الانسـان رجلا او امـرأة - يقـع في المنطقـة بين الصلب والـترائب. لان الآيـة الكريمـة لم تحـدد انهمـا في الرجـل وحده فقد جاز ان يكون في الرجل والمرأة.
وهكذا يتم نسف ادعاءات الملحدين. وقد اثبتت الدراسات العلمية ان خصية الرجل وبويضة المرأة تبدأن في التكون الأوّلِي في الاجنّـة في منطقة بين الصـلب والصـدر تمامـا كمـا جـاءت في الآيـة ثم تهبطـان تـدريجيا الى أمكانهمـا المعروفـة لـدينا. وهـذا يجعـل آخـر إدعـاءات الملاحـدة في اختلاف القـرآن والعلم هبـاءً منثـوراً ككـل مـزاعهم وادعاءاتهم.[111]،[112] وصدق الله العظيم حين يقول: " سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ"[113]
واخيرا أقول لهم: إذا كان الله قد اعطاكم من العلم اكثر ممـا اعطى اسلافكم فكان من الاحرى ان تعيـدوا تفسـير القـرآن حسـب علمكم بدلا من الطعن فيه باقوال السلف. هذا ليس تصـرفا علميـا ولا يليـق بمن يقدسون العقل.
وفي الختام إني أُشْهِدُ كل من يقرأ كتابي هذا بـأنني أَشـهَدُ ألا إلـه إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ونبيـه أرسـله بـالقرآن بشيرا ونذيرا بين يدي عذاب شديد. وأشهد أن النبي صلى اللـه عليـه وسلم قد بلّغ رسالة ربه وادى الامانة ونصح الناس.
"قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ * سُبْحَانَ رَبِّ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَـرْشِ عَمَّا يَصِـفُونَ * فَـذَرْهُمْ يَخُوضُـوا وَيَلْعَبُـوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ * وَهُـوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰـهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ * وَتَبَارَكَ الَّذِي لَـهُ مُلْـكُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

[111] http://www.islamtoday.net/bohooth/artshow-86-3450.htm ()
[112] http://diae.net/5261 ()
[113]) الاية 53 سورة فصلت (

وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ * فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ"[114]

صدق الله العظيم

---

[114]) الايات 81 – 89 سورة الزخرف

المحتويات